258

أنيس منصور

معنى الكلام

مهرجان القراءة للجميع

مكتبة الأسرة

أعمال خاصة





ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة في كل بيت.

شبّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضيء النفوس ويثري الوجدان بكتاب في متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى في كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلئ الإبداع الفكري والأدبي والعلمي لترسخ في وجدان أهلي وعشيرتي أبناء وطني مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

Thurs.
12/7/2012
Riyadh
KSA

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

كتابنا القادم



وَفاءُ أَسَدٍ

معنى الكلام

تأليف: أنيس منصور



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

معنى الكلام

تأليف: أنيس منصور

الغلاف:

الإشراف الفنى:

محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

مقدمة ...

كل شيء له معنى.. أو يجب أن يكون له معنى.. حتى الكلام الفارغ إذا صدر عن إنسان. فنحن نفكر في هذا الذى قال.. فنقول: هذه هلوسه.. أو هذا تخريف.. أو أن المتكلم مسطول.. أو مجنون.. لابد أن نضع صفه أو نصدر حكماً على هذا الذى نسمعه..

أى أننا فكرنا وحاولنا أن نفهم.. ثم أصدرنا حكمنا..

فإذا قلت لك مثلاً: ما وجه الشبه بين الكلمات: أنا ،، خوخ.. توت لا داعى لأن توجع رأسك. أنا أقول لك: إن هذه الكلمات يمكن قراءتها من أولها ومن آخرها..

أو إذا قلت ما دلالة هذه العبارة: قلع مركب ببكر معلق..

وكلمة (قلع) فى اللهجة المصرية معناها: شراع المركب.. وهذه العبارة يمكن قراءتها من أولها كآخرها..

وهذا البيت:

مـــودتـه تـدوم لـكـل هـولٍ

وهــل كــلّ مـــودُتــه تــدوُم؟

هذا البيت يمكن قراءته من أوله ومن آخره أيضا..

وإذا سألتك ما وجه الشبه بين الرئيس السادات ومارلين مونرو.. بالنسبة لى إننى معجب بالاثنين.. فقد عرفت الرئيس السادات طويلا وكثيرا وعميقا ورأيت مارلين مونرو ولا أزال مفتونا بها، ولن يستريح رأسى إلا إذا أكملت كتابى عنها. وكتابى هو: (مارلين وأخواتها.. مأساة شقراء العذاب)..

ولكن هناك شبها آخر يحتاج إلى مجهود عقلى كبير لتعرفه. أنا أقول لك عليه: مارلين مونرو ولدت سنة ١٩٢٦ وماتت سنة ١٩٦٢ .. ولدت ٢٦ وماتت ٦٢ .. أى ماتت فى عكس السنة التى ولدت فيها.. وكذلك أنور السادات ولد سنة ١٩١٨ومات سنة ١٩٨١ .. ١٨ و٨١ ..

وإذا سألت ما وجه الشبه بين هتلر والعقاد ونهرو وطه حسين وعبدالرحمن الرافعى وإيليا أبو ماضى.. وعميد المؤرخين الإنجليز توينبى وأديب فرنسا كوكتو.. ثم هؤلاء الفلاسفة هيدجر الألمانى ومارسيل الفرنسى وفتجنشيين النمساوى والمازنى والشاعرة الروسية أخماتوفا والممثل شارلى شابلن والزعيم الهندى نهرو..

لا توجع دماغك سوف أقول لك فى عبارة واحدة: لقد ولدوا جميعا فى سنة ١٨٨٩ ..

أو ما وجه الشبه بين سقراط والبحترى والجاحظ والحريرى وأبو حيان التوحيدى والجواب أن عندهم أفكاراً فلسفية. ليس هذا هو الشبه الحقيقى. وإنما الشبه أنهم جميعا فى غاية الدمامة!

وإذا سمعت فلاحاً مصريا يغنى:

يـا طـالع الشجرة

هات لى معاك بقرة

تحلب وتـسقينى

بالملعقة الصينى

فما الذى تقول عن واحد يغنى لبقرة فوق شجرة.. والبقرة تحلب نفسها وتقدم له اللبن فى ملعقة صينية؟

طبعاً سوف تقول: إنه مجنون إذ كيف تكون البقرة فوق الشجرة. ولكن أديبنا الكبير توفيق الحكيم جعل عنوان إحدى مسرحياته: يا طالع الشجرة..

وكانت هذه بداية دخول الأدب المصرى الحديث فى (أدب العبث) أو (أدب اللامعقول). وأدب العبث كان قد ظهر فى فرنسا على المسارح بأقلام الأدباء والفنانين المهاجرين إلى باريس..

الأديب يونسكو من رومانيا.. وأداموف من روسيا.. وأرابال من إسبانيا وبكيت من أيرلندا..

وهذا الأدب معناه: إنه لا يوجد شيء معقول.. ولا يوجد شيء منطقي.. بل إن حياتنا مليئة بالكلام الفارغ من المعانى.. وإننا نهرب من المعانى المملة.. ونهرب من الثرثرة.. ونهرب من قيود العقل.. ولذلك فالإنسان يهلوس.. أو يتحدث إلى نفسه.. ولذلك ظهرت مسرحية فيها شخصان يجلسان على المسرح ولا يتكلمان معاً.. وإنما كل واحد يقول وكأنه لا يسمع الآخر.. وهما فى حالة انتظار لمعجزة.. والمعجزة هى أن يكون لكلامهما معنى وهدف ونهاية.. المسرحية اسمها (فى انتظار جودو).. وينتظران جودو ولكن جودو لا يجئ.. وبذلك يبقى الكلام كلاما بلا معنى.. والحقيقة إن المقصود هو أن نقول: إن الكلام لم يعد له معنى.. والحوار لم تعد له جدوى.. فلا أنت ترانى ولا أنا أسمعك والناس يتكلمون وكأنهم لا يتكلمون.. والناس صامتون أو كأنهم..

فما الذى حدث؟

إننا نصنع العلب من الورق ونتركها فارغة.. أى الكلام الذى خلا من المعنى. ولكن لماذا لأننا زهقنا.. قرفنا.. مللنا الناس ومللنا الوجه الذى نراه فى المرآة.. وقد ظهرت كتب خالية تماماً من أية كلمة إلا امضاء المؤلف.. يعنى أيه؟ يعنى أن (المؤلف) يريد أنى

يقول: ليس عندى ما أقوله.. ولكنى أريد أن أقول لك ذلك. ولماذا يقول لى ذلك؟ لأننى أريد أن أفهم المعنى.. معنى ألا يكتب ومعنى أن تجئ الصفحات بيضاء .. معنى أن تسكت وفى نفس الوقت ألا يسكت. فما المعنى؟ هناك معنى وحتى لو لم يقل الإثنان شيئاً.. والعقل لا يستريح إلا إذا عرف وفهم.. ووجد المعنى..

والآن وبعد أن نقلت إليك وجع دماغى فما المعنى؟

هناك معنى طبعاً!

انيس منصور



من الأخطاء ..

مئات الألوف من الشبان سافروا ويسافرون إلى الخارج.. والسفر إلى الخارج هو بعثة دراسية حرة ولأنها حرة فهي ممتعة. ولن تظهر نتائجها اليوم أو غدا ولكن سوف تظهر نتائجها حتما، فهؤلاء الشبان هم رجال الغد:

مدرسوه ومهندسوه وأطباؤه وجنوده وضباطه وحكامه وأزواجه وآباؤهم.. وما داموا قد رأوا الدنيا فإنهم لن يحرموا أولادهم منها وما داموا قد رأوا الأفضل فسوف يتطلعون إلى كل ما هو أروع وانفع لبلادهم.. لمصر ومستقبل مصر..

وسوف يقارنون بين بلادنا والبلاد الأخرى، وسوف يعرفون لماذا تتقدم الشعوب ولماذا هى بيوتهم نظيفة وشوارعهم وملابسهم ومصانعهم.. ولماذا هم متحضرون.. ثم كيف نكون مثلهم.

وسوف يدركون ان الإنسان هو الانسان فى كل مكان وانه من الممكن أن يكون متحضرا وأن الوطنية لها ألف معنى، وليس معناها فقط أن يتحول الإنسان إلى لسان طويل يدافع عن بلده، وإنما الوطنية عمل متواصل فى أى موقع.

فالناس خارج مصر يفعلون ذلك وليسوا مثلنا، إذا تعلموا شيئا ثم آمنوا به وطبقوه أصبحت قدراتهم خارقة.

ولانهم شبان صغار ولان تجاربهم فى الحياة المستقلة محدودة لذلك من الممكن أن يخطئوا ـ ولا أحد لا يخطئ. وقد وقعنا فى مآزق كثيرة عندما سافرنا إلى الخارج لأول مرة.

ولكن الانسان يتعلم من أخطائه ومن أخطاء الآخرين وهى أخطاء يقع فيها بحسن نية. وهى أخطاء ضرورية بالنسبة للتجربة الأولى والمرحلة الأولى. ولكن هناك بعض الشبان عندما يجدون أنفسهم وحدهم فإنهم ينفلتون تماما. ولا أحد يستطيع أن يوقفهم. فإذا حاول أحد تمادوا فى ذلك وهذا الطراز من الشبان هو الذى يضر بنفسه وبسمعة بلده.. وهو الذى يستحق العقوبة وأنا أعرف عشرات الأمثلة الضارة.. ولذلك فأنا أؤيد معاقبة كل من يسىء إلى مصر.. وأقصى العقوبة الا نسمح له بالسفر مرة أخرى.. وأعتقد أن الحرمان من السفر هو أقصى درجات العقاب لشاب رأى ويريد أن يرى أكثر..

فليس من حق أى شاب أن يسىء إلى كل شباب مصر وإلى كل مصر. فهذه جريمة لا تستحقها مصر من واحد من أبنائها!

غداً احاول ..

ملايين من الناس قد آمن بهذه النظرية البسيطة لعلهم يستريحون من عذابهم اليومي، فكل واحد منهم يجلس على مقعد مريح ويغمض عينيه لمدة ربع ساعة قبل الإفطار، ومثلها قبل الغداء، وفي أي وقت من أوقات النهار انتهت النظرية!

أما الذي يفعله كل واحد من هؤلاء الناس فهو أن ينعزل عن العالم الذي حوله، ويتأمل ما في داخله.

وليس من الضروري أن يكون الذي في داخله شيئا مهما، وإنما المهم جدا أن ينصرف تماما عن كل شيء حوله، كأنه لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ولهذه الفترة القصيرة.. لماذا؟

قبل أن تجد جوابا انظر إلى حياتك في أي يوم وأي وقت، فأنت تجيب وتستجيب لكل شيء حولك، كل صوت وكل حركة، أي أنك مثل أي عامل تليفون مطلوب منه أن يسمع ألوف الأصوات

وأن يرد عليها وأن يقلق على هذا المنظر وعلى هذا الصوت، وهذه الرائحة، وأن يأكل وأن يشرب وأن يقول لا ونعم وربما وأنا مالى، أى أنك فى حالة انفعال وتوتر واحتراق عصبى مستمر، وكل أمراض وأوجاع الحياة الحديثة تجىء من هذا الينبوع الذى لا يجف إلا بالجنون والوفاة؟!

فما العلاج؟!

العلاج عند رجل هندى جاء إلى أمريكا سنة ١٩٥٩ واسمه مهاريش مهات يوجى وهو الذى قدم للعالم طريقة بسيطة للخلاص من التوتر والإرهاب والإرهاق والاحتراق العصبى.

الطريقة اسمها «ت. م» أى التأمل المتعالى أو التأمل المتسامى. فأنت تتأمل أى معنى أو أية صورة وتبعد بها عالياً عن حدود الإحساس العادى.

وأن التأمل هو أسلوب للراحة من حياتك اليومية!

الملايين جربت ذلك واستراحت فلا يبقى إلا أنت وأنا، فلنجرب أن نستريح معا من بعضنا البعض!

حاولت ذلك دقيقة واحدة، وصحوت على كوب وقع من يدى الساعى فقد ظننن ميتا، آه لقد نسيت أن أقفل الباب بالمفتاح سأحاول غدا!

بناء الأهرام ..

هذه نظرية جديدة فى تفسير بناء الأهرام فى مصر الفرعونية.

فقد قيل أن بناء الأهرام أكبر دليل على استعباد الحكام لرعاياهم فقد استخدموا ألوف الفلاحين فى بناء هذه المقابر الفخمة وهذه الأهرامات هى أظهر وأقسى دليل على الظلم الذى كان فى مصر الفرعونية.

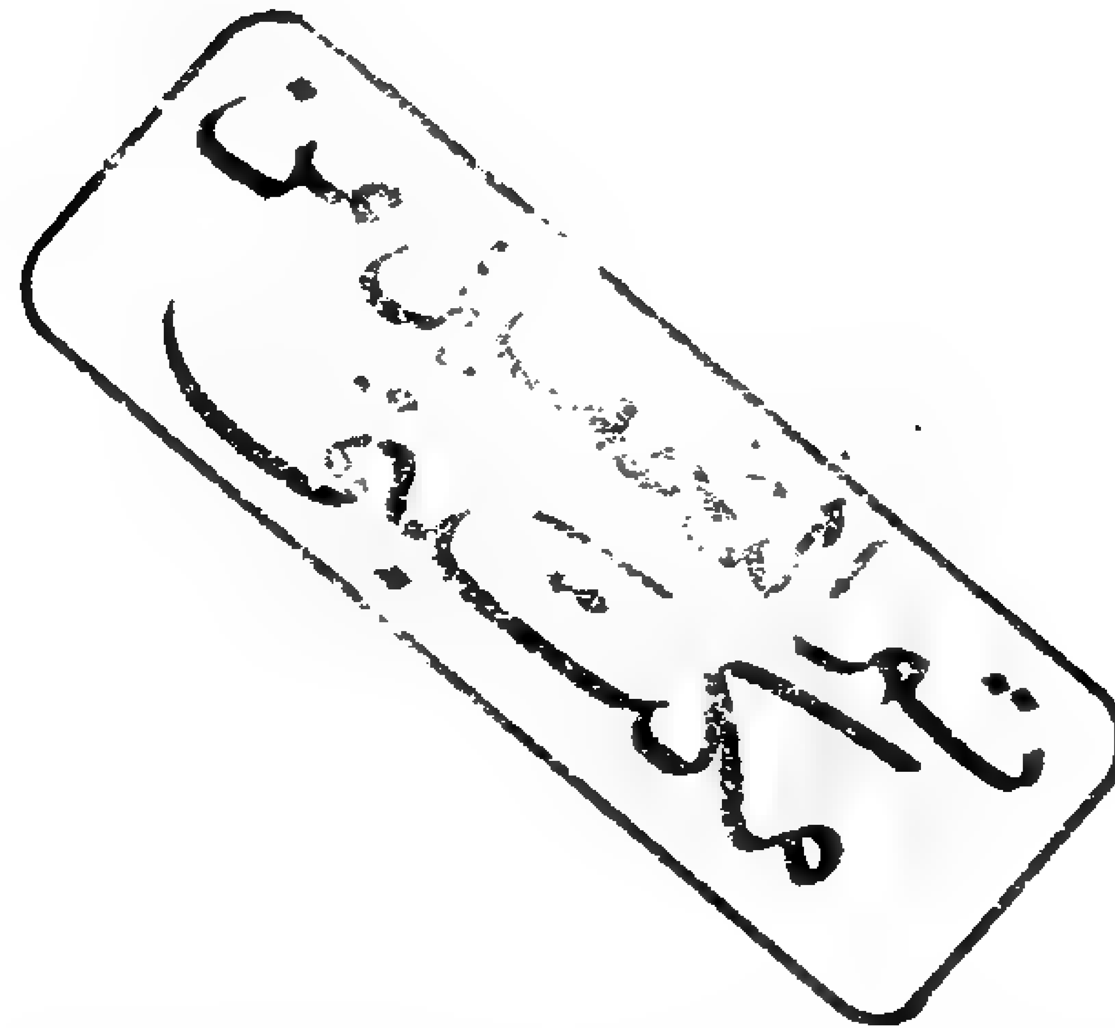
ومنذ أكثر من عشرة أعوام اهتدى الدكتور كورت مندلسون إلى تفسير جديد فقد لاحظ أن المؤرخ هيرودوت عندما جاء إلى مصر لأغراض سياحية أخبره الكهنة بأن الهرم الأكبر تم بناؤه فى عشرين عاما فقد كان مائة ألف عامل يشتغلون فى بنائه ثلاثة أشهر من كل سنة وكان ذلك سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد

ومن الملاحظ تاريخيا أنه فى فترة بناء الأهرام كان يسود مصر هدوء نسبى بعد الحروب التى دامت طويلا بين الوجهين البحرى

والقبلى فلما تم توحيد الوجهين وانتظمت الإدارة الحكومية وانتظم الرى وأصبحت الأراضى المصرية تتغطى بمياه الفيضان ثلاثة أشهر كل سنة.. كان من السهل على الحكومة المركزية تشغيل العمال وإطعامهم من مخازن الغلال الملكية وقد اهتدى الحكام إلى أنه من الأفضل للأمن العام والاستقرار تشغيل هذا العدد الهائل من الفلاحين فى أيام الفيضان.

أن مشكلة اوقات الفراغ من أهم ما تعانيه الدول الحديثة المتقدمة، فالعامل الآن يستريح يوما ونصف يوم فى الأسبوع.. وأحيانا يومين وسوف يستريح ثلاثة أيام فى المستقبل وحينئذ يصبح الفراغ مشكلة خطيرة

ولذلك فبناء الهرم الأكبر كان علاجا علمياً لمشكلة اجتماعية هذه المشكلة جاءت نتيجة حتمية لانتقال المجتمع المصرى من القرية إلى المدينة ومن نظام القبلية إلى نظام الدولة..!



هذا العصر..

لو تسألنى: لو كان الأمر بيدك فأى عصر كنت تتمنى أن تعيش فيه؟ لأجبتك بسرعة: ليس هذا العصر!

وبعد ذلك سوف أفكر فى السبب فمن المؤكد أن عصرنا هذا خلاصة القلق والقرف والخوف والضياع..

إذا كنت تفكر فيما وصلت إليه البشرية بسبب تضارب المذاهب السياسية والدينية والعنصرية فإذا كان الأقدمون قد عرفوا برجا واحدا لبابل احتشد فيه الناس من كل اللغات، فعجزوا جميعا عن فهم بعضهم البعض فهذا البرج قد أقمناه بأيدينا فى كل مكان والنتيجة كما ترى أو كما لا تحب أن ترى!

يكفى للدلالة على ما أقول إحساس واحد: القلق.. الذى هو رعشة العين ورجفة اليد، وبرودة القلب، وظلام العقل حتى عجزنا عن التفرقة بين اليوم والغد والبداية والنهاية وحتى اصبح الموت مرادفا للحياة التى هى بلا معنى!

فهل عصرنا قد انفرد بكل هذه الصفات؟

الجواب: في كل العصور سنوات مظلمة ومن يقرأ أكثر الناس حساسية: الشعراء والفنانين يجد أن دموعهم على خدودهم لم تجف وعندما جفت استعاروا من القلب دموعا أخرى. وهؤلاء المعذبون النبلاء هم شهود على عصرهم، وعلى تعذيب الانسان للانسان.

ولكن لم يحدث أن تقدمت وسائل الحياة، التي هي وسائل الموت، كما حدث في عصرنا..

ففي السنوات الأخيرة الماضية دخلنا في العصر النووى.. الرعب النووى.. ورحنا نلهث في سباق إلى الكواكب الأخرى.

ولا توجد قنبلة ذرية واحدة ليس مكتوبا عليها مذهب سياسى أو دينى. فقد قررنا إفناء بعضنا البعض لأسباب فلسفية.

لقد انتقلنا من سكنى البيوت إلى سكنى القنابل نفسها.. فليس قلبك هو الذى يدق في ضلوعك.. إنها قنبلة زمنية!

ثم لا تقلق بعد ذلك؟!



غشاشون ..

اذن فالغش طبع فى البائع!

هو غشاش لأنه يريد أن يظفر أكثر.. أو هو يريد أن يظفر بكسب أكثر ولذلك فهو غشاش، وأمامى صورة لا تتغير: رجل فاكهانى أتردد عليه وفى جميع الحالات اكتشف أنه غشنى، وفى كل مرة أندهش وأتساءل: ألا يخطر على باله أننى سوف أكتشف ذلك بعد لحظات؟ فإذا عرفت أنه غشاش ألا يخطر على باله أننى لن أعود إليه، فإذا فعلت أنا ذلك وغيرى أيضاً ألا يتصور أن عدد الزبائن سوف يتناقص يوما بعد يوم.

ولابد أن الذى يشجعه على الاستمرار فى الغش أننى أتردد عليه بعد ذلك وغيرى يفعل نفس الشيء!

وهذا معناه: أننى اعتدت على غشه وهو اعتاد على أن يرانى وعلى أننى أشترى منه، فهناك موافقة ضمنية بيننا: هو يغشنى وأنا أعود إليه.

فالغش أسلوب مقبول مع البائع والمشترى، هو يغشنى وأنا أجرى إليه لأننى لا أجد غيره أو لأننى أستطيع أن أنبهه إلى هذا الغش فيمتنع عنه مرة كل ثلاث مرات، ولابد أن يكون عندى أمل فى أن أقضى على عادة الغش هذه عند التاجر مادمت حريصا عليه.

أى حريصا على أن أشترى منه ولابد أن يستحى مادمت أصبحت زبونا عنده، ولكنه لا يفعل.

أما منطق البائع فهو أن الزبون لايدوم. مرة يجيء ومرة لا يجيء. ولذلك فالسرقة والغش والكسب الحرام ضرورة لأنه لا يضمن عودة الزبون.

هذ الشعور عند البائع المجاور لى فى نفس الشعور، عند معظم الباعة فهو لا يضمن أحدا، ولذلك يجب أن يتصيد الزبون فليست هناك صله أو علاقة أو صداقة تصيبه بالخجل.

وهذا ما يعانيه السياح الأشقاء أو الأجانب كل سنة أيضا، سيجدون باعة قد استعدوا للضحك عليهم وبحيل متنوعة والنتيجة، أيضا صورة سيئة بشعة للبائع المصرى والمواطن المصرى وكل ما هو مصرى لمصر.

وإذا كان من الممكن الإساءة إلى مصر وشعب مصر فى ثانية فإن اصلاح هذه الصورة يحتاج إلى عشرات السنين.

وكل ذلك لأن تاجرا أو عشرات قرروا أن يكسبوا بالغش قروشا معدودة تكلفنا ملايين لا عدد لها.

أيها الغشاش أنت عدو لمصر.. بل أكثر عداوة لها من أعدى أعدائها!

هذا العنف ..

ليس موضوعا وخاصاً ولا قانونا أن نتساءل: لماذا ضعفت المستويات الرياضية فى مباريات مصر والمباريات الدولية.

كلنا يتساءل وكل واحد منا يقنع بالإجابة التى تريحه ولكن القضية عامة وقومية فليس بيننا واحد لا يشاهد مباريات فى لعبة من اللعب، وليس بيننا واحد لا يتعصب لأحد الاندية أو يستنكر التعصب فى الرياضة أو التعصب على وجه العموم.

سمعت فى أحد البرامج أحد المشتغلين بكرة السلة يقول: إن سبب هزيمة الفريق المصرى أن اللاعبين عندنا لا يزيدون على مترين بينما اللاعبون الامريكان يزيدون عليهم حوالى العشرين سنتيمترا.

وربما كان هذا أحد الأسباب ولكن ما الذى يقوله عن بقية الألعاب الأخرى، مثل كرات القدم والماء والطاولة والطائرة.

إنها اللياقة البدنية هذه بديهة وليست نظرية.

ولكن هناك شيئا قبل هذه اللياقة البدنية ويجب أن يكون قبل أى شيء آخر، ويجب أن يتوافر عند الإداريين والمدربين والمدرسين والحكام والنقاد والمتفرجين.

هذا الشيء النادر عندنا هو: أن الرياضة علم وفن: أى أن لها قواعد وأصولا وهى فن أى ممارسة متفانية فى تطبيق الاصول.

ثم هى اولا وقبل أى شيء آخر: خلق، أخلاق.. احترام جميع الاطراف لجميع الاطراف.. احترام اللاعب للمتفرج.. احترام المتفرج للحكم.. احترام الحكم للناقد.. واحترام الناقد للجميع.

وهى خلق: لأن الغش ممنوع فالذى يغش فى اللعب يغش فى حياته والذى يسرق فى الملعب يسرق فى اى مدينة والذى لا يهمه الا الهدف لا تهمه سمعة بلده.. والذى لا يعرف الشرف لا يعرف الوطنية.

فالملعب مدرسة والذى يؤمن بأن الملعب مدرسة هو الذى يؤمن بأن المدرسة ليست ملعبا لأنه يعرف أن للعب مكانا وللدرس مكانا، وانه لا تفوق بغير فن، ولا فن بغير علم ولا وطنية بغير إيمان ولا إيمان بغير خلق

لهذه الأسباب معا تأخرنا.

وباحترام هذه العلاقات والمبادئ يمكننا أن نتقدم وان نتفوق فى مصر وفى غيرها!

يوجا..

هناك كتاب عن اليوجا اسمه «حركات جسمية لراحتك عقليا وجسميا» للعالم الالمانى ارتو هوفمان، فإذا الكتاب يقول لك: ضع أمامك شمعة مضيئة وركز نظرك فيها. واستمر فى عملية التركيز حتى تجد أمامك شلالا من النور.. ثم من النار.. ثم ظلاما تاما.. فإذا وصلت إلى مرحلة الظلام التام هذه فقد نجحت.

فما الذى فعلته لكى يوصف بأنه نجاح لك؟

ليست الاجابة عن هذا السؤال سهلة وان كان السؤال نفسه سهلا.. ولكن على كل حال سوف احاول.

المطلوب منك ان تجلس على الأرض يستحسن ان تكون عاريا وان تجلس مثل الكاتب المصرى القديم وان تكون مشدود الظهر مرفوع الرأس، المهم ان تكون مشدودا، وان تركز كل طاقتك العقلية فى النظر إلى شمعة مشتعلة لا تفكر فى اى شيء آخر، ولا تفكر

فعلا فى سخافة هذه الفكرة ولا فى الوقت الضائع أو الذى سوف يضيع وأنت تجلس هكذا عاريا بلا حركة لأنه لا داعى للتفكير فى أى شىء آخر. ثم أن هذا الذى تفعله ليس سخيفاً ولن يكون سخيفاً.

والآن انقل لك ما يقوله د. أرتوهوفمان أحد علماء «اليوجا» الكبار: ليس سهلا هذا الذى تفعله ويجب الا تنظر إليه على أنه شىء سهل، ولا داعى لأن تفكر فيما تفعل!

هل فهمت شيئا مما يقوله هذا الخبير الالمانى؟!

أنا أقول لك المعنى الذى فهمته من أكثر من مائتى صفحة. والمعنى: هو ان الانسان فى حياته اليومية ضائع مبدد مشتت وفى حاجة إلى من يركزه، هذا التركيز يجب أن يكون فى شىء صغير ليست له أية منفعة مطلقا. وهذا التركيز غير النافع هو الذى يحقق الراحة لكل قواك الجسمية والعقلية بشرط أن تكرر ذلك كثيراً وبانتظام وبمجهود أول الأمر ثم بعد ذلك بلا أدنى مجهود.

ونحن سكان المدن نظن أن الراحة هى ان يسرح الانسان ببصره فى الافق ـ وليست هذه راحة انها مرهقة جدا فى معظم الاحيان.

الراحة هى ان تنظر إلى عود كبريت عشر دقائق أو شمعة دون تفكير فى العود أو الشمعة أو حتى فى التركيز.

على كل حال جرب!!

دائخون..

الدوخة: أحد أمراض الصحفيين إما لأنهم يسمعون كثيرا والذى يسمعونه يتركونه مدة طويلة فى أذانهم أو لأن الذى يسمعونه يديرونه فى رؤوسهم حتى تدوخ رؤوسهم!

تمددت أمام الطبيب الكبير. وقال: إنها الدوخة بسبب تعب فى أذنيك؟

وكان التشخيص سليما

فذهبت إلى طبيب اخر كبير.. وكأننى سمكة ألقى بها الموج بين فكى قطة.. ذهبت أشكو من الدوخة.. وبدت السعادة على وجهه. إنه مشغول بكتابة بحث عن الدوخة لينشر فى إحدى المجلات العالمية، وبسرعة دخلت فى غرفة مظلمة. وتمددت والتفت الاسلاك الكهربية حول رقبتى وحول أذنى.. والتصقت الأسلاك تحت العين وعلى الجبهة. وأضيئت الأنوار الحمراء والخضراء فى السقف.

ولم أعد قادرا على الحركة وتذكرت ملابس رواد الفضاء التى رأيتها فى المعرض الدولى للطيران فى باريس.. وكان المطلوب منى أن أقلب عينى يمينا وشمالا، وكنت أسمع عبارات الاستحسان كلما قلت شيئا ولم أفهم ما الذى يستحسنه لا أعرف وإنما هناك أصوات غريبة تتلقى إشارات من الأسلاك التى التصقت بكل أعصاب العين والأذن.

وبعد ذلك انتقل الدكتور الكبير إلى تدويخى.. فراحت المياه الباردة تصب فى أذنى اليسرى.. وأدوخ ومطلوب منى أن أتكلم وأدلى بمعلومات وانتقلت المياه الباردة إلى الأذن اليمنى.. ثم جاء دور الماء الساخن.. وتكررت الدوخة.. وأنا لا أعرف ماذا أقول.. ولكن هناك أجهزة الكترونية تسجل كل حركات العينين. وتدحرجت إلى الأرض كأى رائد فضاء بلا مظلة.

وفى اليوم التالى تكررت تجاربى على الاصوات والصفافير والاشارات الصوتية.. ووضعت السماعات على أذنى.. وكان المطلوب أن أحدد بالضبط الفوارق الصوتية بين الإشارات التى أسمعها.

وجلست أمام الطبيب لأعرف النتيجة.. ما الذى حدث؟ وكيف حدث؟ وما الحل؟ وكان يقوم بعمليات حسابية معقدة لردود فعل الأذنين وحركات العينين.

والنتيجة وهذا هو الأهم لنا جميعا: ليس هناك غير علاج واحد.. الراحة.. الراحة!!

كل إنسان من الضرورى أن يستريح على قدر ما يستطيع.. تعبت من المشى.. مدد رجليك.. إذا لم تستطع أن تنام فاجلس. إذا لم تستطع أن تذهب إلى السينما فاخرج إلى الشارع.. المهم أن تكون على راحتك وعلى مهلك.. هذه ضرورة لتستريح الاذن وتذهب الدوخة وأكثر الناس دائخون ولكنهم لا يعرفون السبب.

وهذا هو أهم الأسباب؟!

إننى كلما تذكرت ما حدث لى فإننى أدوخ، ولذلك لن اتذكر ما حدث!



احترسوا

أحدث طريقة للطلاق ابتكرتها سيدة المانية منذ مدة. وتكررت فى المانيا والالمان يضحكو لسذاجتها وإنتشارها ايضا. فقد نهضت السيدة فى الليل وصرخت بالقرب من نافذة تركتها مفتوحة وانزعج الجيران. ونهض الزوج أيضا وهو منزعج يسأل، ولم يخطر على باله أنه هو الذى أزعج الزوجة. ولما فتحت الزوجة الباب للجيران ولرجال الشرطة، فوجئ الزوج بأنه هو الذى هجم على زوجته وحاول قتلها بسكين. وقبل أن يفكر الزوج فى مكان السكين كانت الزوجة قد أعدت السكين ووضعتها بالقرب من السرير. وحاول الزوج أن ينكر ما حدث، ولكن من الذى يستطيع أن يصدق زوجا أمام هذا العدد الكبير من الناس وأمام الزوجة التى ذابت دموعها وأنهارت على الأرض تطلب إخراجها من البيت.. ومن حياة هذا الرجل فورا!

وبعد ذلك كل شئ سهل.

فالطبيب الشرعى يحلل السكين ويجد عليها بصمات الزوج.. ولكنه وجد أن كل بصمات الزوج واضحة.. وهذا يدل على أنه لم يمسك السكين ويضغط عليها. وإنما الزوجة وضعتها فى يده وهو نائم، وأن أصابعه لمست السكين لمساً هينا، وفى ذلك دليل كاف على أنه حاول فلما صرخت القى بالسكين فى الإرض..

وإذا لم يكن الزوج قد فعل شيئا من ذلك فالضجة تكفى جدا لأن يطلق زوجته.

وقد تم أكثر من طلاق بنفس الطريقة فى مدن مختلفه فى المانيا، ووصفت الصحف هذه الحوادث بأنها الطلاق على الطريقة الألمانية! واندهشت زوجات كثيرات كيف فاتهن مثل هذ الموقف البدائى.

وظهرت الصحف تقول للازواج. احترسوا من السكاكين.. أو أحسن طريقة هى ألا تستعمل السكاكين.. أو أن تضع يديك فى جيبك.. أو تلبس الجوانتى بصفة دائمة!

ويظهر أن هذا الأسلوب فى الطلاق ليس جديدا تماما فقد حدث أن أحد أباطرة الرومان قد وجد نفسه مفضوحا بسبب قطعة من حبل حريرى عثرت عليه الزوجة تحت مخدته.

وكان من عادة الرومان اذا أهدى الواحد منهم «حمارة» لأى امرأة.. أن يجعل للحمارة حبلا من حرير.. واتهمته الزوجة بأنه أهدى حمارة لامرأة أخرى!

أما الحمارة فقد كانت تقوم فيما مضى بما تقوم به دور التجميل الآن.. فقد كانت من عادة المرأة أن تستحم فى لبن الحمارة.. لأنه يجعل البشرة اكثر بياضا وأكثر نعومة!

طرزان آخر..

أفلام جيمس بوند تعجبنا لأنها خيالية وممكنة فى نفس الوقت. فهى تعتمد على العلم الحديث.

والحيل التى نجدها فى هذه الأفلام هى نوع من الذكاء. فإذا رأينا جيمس بوند يطير بمقعد فى الهواء.. فالعقل الان يستطيع أن يطير المقعد، فالطائر بها عشرات المقاعد.. وكلها مقاعد طائرة يكفى أن تركب للمقعد محركا نفاثا. أو تضعه فوق صاروخ موجه.. فهذا المقعد الطائر ممكن من الناحية العلمية.

والذى يضحكنا فى هذه الأفلام هى أن فيها «شقاوة» الاطفال والشقاوة معناها استخدام العلم الحديث فى اغراض صبيانية. أى اننا نضحك لأن العلم اصبح ضعيفا كأنه قط أو كلب.. وأن الذى يستخدمه أو يعبث به طفل شقى!

وهذه الأفلام اصبحت تستهوى الكبار والصغار فالكبار كانوا صغار ايضا.. ثم إن العلم الحديث أصبح يحقق أشياء خرافية..

فالأقمار التى تنطلق إلى القمر وتبعث بألوف الصور من مسافة ربع مليون ميل. وتغير وضعها وتنفخ فى سطح القمر لتصور التراب الذى يتطاير، إن كان ترابا ثم تلتقط لنفسها صورا، والتى تقفل نوافذها وأبوابها وتغمض عدساتها تنفيذا لأوامر صدرت من الأرض فى ليالى القمر المظلمة والتى تصل فيها درجة الحرارة إلى مئتين تحت الصفر. ويسكن القمر الصناعى ويجمد كأنه ثعبان أو ضفدعة فى حالة «بيات شتوى».

وكل هذه الأعمال العلمية العظيمة تكاد تقترب من الخرافة. ولكنها حقيقة. ولم يحدث فى عصر من العصور أن الحقيقة قد اقتربت من الخرافة كما حدث فى هذا العصر. فقد تقدم العلم بصورة مذهلة. أى بصورة جعلتنا لا نصدق ما نرى كأن الذى نراه خرافة!!

والشبان والاطفال هم أكثر تأثرا بجيمس بوند.

ولذلك لم أندهش عندما قرأت عن اثنين من الطلبة فى إحدى الدول يستخدمان راديوهين ترانزستور فى الغش.

تماما كما رأينا فى أحد أفلام جيمس بوند فتاة ترى الورق الذى مع اثنين من المقامرين وتخبر أحدهما عن طريق جهاز ارسال ترانزستور..

وجيـمس بـوند ليس إلا طرزان فى غـابات المصـانـع والمعـامل الحـديثة.. وطرزان وجيـمس بوند ليسـا الا صـورة جـميلة لأحلام الطفولة عند كل متفرج!



الفن أطول عمراً..

بيكاسو واحد من كبار المسئولين عن ظهور اللوحات والتماثيل «الملخبطة» الألوان والأشكال والأحجام. وقد عرض فى باريس ألف لوحة. اللوحات قيمتها ملايين من الدولارات.

وبيكاسو لم يبدأ حياته الفنية سيرياليا. إنما بدأ يرسم كأى إنسان عاقل جدا.

الخطوط ناعمة والفرشاة ثابتة والألوان صريحة..

ويوم عرض لوحاته الأولى لم يتردد انسان فى أن يصفه بأنه أستاذ.. وبأنه سوف يكون عظيما.

وانتقل بيكاسو بصورة واضحة من لوحات فيها ملامح الوجه واضحة وكل عين فى مكانها، وكل أذن فى مكانها.. والأسنان بين الشفتين.. والرأس فوق الكتفين.. وبعد ذلك انطلقت هذه الملامح كل واحد فى مكان.. أو كلها فى جانب واحد من الوجه..

واختلطت النسب: فالرأس أصغر من العين.. والعين أكبر من البطن.. والذراعان فى ضخامة جذوع الشجر هذا إذا كانت اللوحات مفهومة. أما لوحاته التجريدية، فهى تعبر عن المعانى وليس عن الاشخاص عن الفرح: ليس عن الانسان الفرحان، عن الجوع: وليس هذا الانسان الجائع.. وحاول كتابة الشعر والمسرحيات. وأنا ترجمت له مسرحية منذ ثلاثين عاما اسمها «اللذة من ذيلها». وهو فى هذه المسرحية قد سبق الكثير جدا من مسرحيات «العبث».

وهو رجل حريص على المال. ومن الممكن أن يقال أنه بخيل وزوجاته يروين نوادر كثيرة عن بخله.

واحدة قالت: ان بيكاسو يتمنى لو كانت السماء حبراً أزرق يغمس فيه فرشاته حتى لا يضطر إلى شراء علبة ألوان واحدة.

وزوجة أخرى قالت: انه لا يرهق نفسه أبدا انه يفضل ان يقرأ لمن قبله فى قصيدة على ان يقوم هو بتقبيل أعز الناس عليه.

وعندما تقدم له أحد الشحاذين اخرج بيكاسو ورقة مالية صغيرة من جيبه، ثم رسم عليها شجرة وعصفورا ووقع بامضائه عليها. وقال للشحاذ فى استطاعتك ان تبيعها بمئة جنيه احجز لى نصفها.

وهو من المؤكد رجل ظريف ومحب للحياة والمرح. ولابد انه رجل عملاق واثق من نفسه، وهو يقول عن نفسه: ان هناك اثنين من الناس لا يستطيعان مقاومتى: التاجر والمرأة.

وبيكاسو كان حريصا على صحته وعلى ماله وعلى عواطفه.

أما لوحاته فستبقى بعده بالاف السنين.

.. فالفن أطول عمرا من الفنان!

البقاء للمرأة ..

يظهر أنها حكمة الله ألا يعيش الرجال طويلا.. وأن تكون الأرض ومن عليها وما عليها للمرأة!

وربما خلق الله الرجل أولا ليموت أولا: فآدم عليه السلام خلقه أولا.. وأماته أولا أيضا!

صحيح أن الرجل عضلاته اقوى.. ولكن اعصابه اضعف والصدمة تقتل الرجل. ولكن المرأة مثل «مانعات الصواعق». تمتص الصدمات والكوارث وتعيش بعدها.. وكل صدمة هي امتحان جديده لاحتمال الرجل وامتحان جديد لاقتدار المرأة كم من أم فقدت أعز الناس عليها ولم تمت كم من أب فقد أعز الناس إليه: فشاب شعره أو اصابة السكر أو تساقطت اسنانه أو ذبحته الذبحة ولحق بأنبه.. وعاشت الزوجة تبكى الابن وتبكى الزوج معا!!

وكم من ملايين الرجال يشعلون الحروب التى تأكلهم وتبقى المرأة بعد ذلك أرملة ـ أو يتيمة ـ ولكنها تبقى!

وإذا انتقلنا إلى عالم الحشرات لوجدنا أن الموقف أوضح فمثلا نجد الانثى عند بعض الحشرات تفترس الذكر بعد أن يقوم بدوره الجنسى ومقتل الذكر ـ أو اغتياله ـ ضرورة حيوية.

فالانثى فى حاجة إلى مزيد من الطاقة لكى تحتمل الامومة لعشرات أو مئات من الحشرات.. ولكى تتمكن من إطعام هذه الاسرة الجديدة فالذكر ـ أو الزوج ـ هو اقرب الاطعمة إليها وإلى أولادها وفى اغتيال الذكر ـ أو الزوج أو الأب ـ اختصار لكائن واحد فقط بعد أن قدم للحياة مئات أو ألوف الكائنات الأخرى..

فكأن الحياة أو الجنس أو النوع قد حذف واحدا فقط ولكنه اضاف المئات فالحياة ـ إذن ـ قد كسبت الكثير ولم تخسر إلا القليل.

وعندما أخطأ آدم وحواء عاقبهما الله ـ كما جاء فى التوراة ـ بأن يظل آدم يعمل حتى يموت وتظل حواء تلد حتى تموت.

فالعمل عقوبة للرجل ـ أن يعمل هذه عقوبة وألا يعمل هذه عقوبة اشد وأن تلد المرأة ليست عقوبة وإنما هو عذاب فقط وأكثر الامهات يجدن فى الولادة عذابا ولكنها رغم ذلك على استعداد لأن تتعذب الف مرة.. فالولادة ليست عقوبة ولكن تربية الأولاد هى العقوبة.. ثم جحود الأولاد بعد ذلك اقصى درجات العقوبة للام وللأب ايضا ـ وهذه حكمة الحياة.

والرجل ـ أو الذكر ـ مشغول بالعمل.. أى بالنشاط من أجل أن يبقى وأن يبقى غيره ايضا والانثى مشغولة بالحياة بحياتها وحياة

صغارها .. ولذلك كان الذكر ينسى أن يعيش لأنه لا يتذكر إلا أن يعمل والأنثى تنسى أن تعمل ولا تتذكز إلا أن تعيش..

فالرجل ـ أو الذكر ـ عمله هو حياته..

والمرأة ـ أو الأنثى ـ حياتها هي عملها..

ودور الانثى أهم من دور الرجل والحياة أو حكمة الله حريصة على الانثى أكثر من حرصها على الذكر.. ولذلك فموت الذكر ـ أو الرجل ـ ليس خسارة فادحة ولكن موت المرأة ـ أو الأنثى ـ خسارة فادحة للحياة.. ولغريزة البقاء. لأن الأنثى هي: حاملة البقاء ووالدة الحياة.



الموت للذكور ..

لا علاقة للمرأة بهذا الموضوع؟.

فقد اكتشف العلماء أن هناك نوعا عجيبا من الخنافس ـ الخنافس أنواعها ربع مليون وتعيش على الأرض منذ ٣٢٠ مليون سنة ـ لا تعيش إلا على أشجار الصنوبر. فإذا غزت هذه الأشجار بمئات الألوف فرزت مادة لها رائحة قوية.. الرائحة ليست كريهة.. وهذه الرائحة تفرزها الاناث فقط عند الأكل، فقد يتصور الانسان أن هذه الرائحة هى دعوة للأكل.. دعوة الخنافس الاخرى البعيدة.. ولكن هذه المادة هى نداء الانثى إلى لذكر. ولا تكاد الذكور تشم هذه الرائحة حتى تهجم بالملايين على أشجار الصنوبر تشارك فى الأكل والقضاء على هذه الأشجار.

ولكن السبب الحقيقى فى هذه الدعوة ليس الأكل وإنما حاجة الاناث إلى الذكور وتدور المعارك بين الذكور على الإناث ويتساقط

على الذكور بالألوف ولا يبقى من الذكور إلا القوى. الأقوياء فقط. ثم تقوم الاناث بافراز سوائل لها رائحة كريهة تخنق الذكور. ومعنى ذلك ان الذكور تطرد بعيدا عن الاناث.. أما الاناث فتتوقف عن افراز السوائل المغرية المثيرة وبذلك يتوقف زحف الذكور على الاناث وتهدأ المعارك. ويصبح عدد الذكور ثلاثة أمثال عدد الاناث.

ثم تبدأ المعارك من جديد عندما تختار الانثى الذكر الذى يعجبها، وليس معروفا بالضبط على أى أساس تختار الانثى الذكر وإن كان المؤكد هو انها تختار أقوى الذكور وأصغرها، وعلى هذا الذكر أن يؤكد أنه عند حسن ظن الانثى. فأول ما يفعله انه يقتل لها اثنين اخرين من الذكور. وتقوم الانثى وتتمشى على جثث الضحايا وعلى الذكر ان يطير بعيدا عن الشجرة ثم يعود ليجد الانثى قد القت بالجثتين بعيدا. وعندما يعود الذكر يجد الانثى قد اختارت ذكرا آخر أكثر حيوية وقوة. وهذا الذكر يقضى عليه فورا.

وهكذا تختصر الذكور نفسها وتدور المعارك بين الذكور على الاناث ويتساقط الذكور بالالوف وتدور المعارك على الانثى.

ويتساقط الذكور يمينا وشمالا من الارهاق ومن الجراح، وتظل الاناث فى هدوء وفى صحة جيدة. لأن الانثى تتفرج على معارك الذكور ولا تبذل جهدا واضحا. ولكنها فى معظم الوقت تأكل وتنام وتنتظر نتيجة المباراة فى العاب القوى وهى عادة لصالحها.

.. فالموت للذكور والبقاء للاناث من أجل الصغار التى تواصل المعارك وتجدد الحياة!

انها أطول عمراً ..

كان المفروض ان يعيش آدم عليه السلام ألف سنة. ولكن عندما أطلعه الله على مستقبل أولاده لاحظ آدم أن النبى داود سيموت شابا، فطلب آدم إلى الله أن يأخذ من عمره ويعطى داود ولذلك عاش آدم ٩٥٠ سنة فقط. ويقال ان نوحا عليه السلام عاش ١٤٥٠ .. ويقال ١٢٠٠ سنة، ونوح هو أول المعمرين فى تاريخ البشرية ونحن لا نعرف لماذا عاش نوح طويلا، ولا نعرف ماذا كان يأكل كم ساعة يعملها فى اليوم، هل كان مرحا، هل كان ينام كثيرا، وكيف يعالج نفسه إذا مرض، كيف عاش مئات السنين بعد محنة الطوفان الأطباء يحاولون أن يجدوا اجابة عن هذه الأسئلة عندما يدرسون حياة المعمرين فى روسيا وفى الصين. فقد عثروا فى روسيا على أناس تجاوزوا المئة بعشرين سنة أو بخمسين سنة.

فمن بين الاسباب ان هؤلاء يمشون كثيرا وانهم يعملون كل يوم.

وأنهم يصعدون الجبال وينزلون إلى الوديان. وإنهم ينامون فى ساعة مبكرة وانهم لا يسرفون فى أكل الحلو والملح والشطة. وانهم يستمتعون بأعصاب هادئة ورغم انهم متزوجون ولهم أبناء وأحفاد وأبناء للأحفاد. فليس من بينهم رجل واحد أعزب. وان أكثرهم يأكل الزبادى فى الليل ويأكل عسل النحل فى الصباح. والقليل منهم يدخن والنادر يذوق الخمر. وليس من بينهم واحد يشتغل بالأعمال الفكرية. فالأعمال الفكرية هي التي تقصف العمر.

ولذلك عاشت المرأة طويلا فهى أطول عمرا من الرجل لأنها تعمل بيديها وتضحك بوجهها وتبكى بعينيها. وانفعالاتها لا تحرقها كما تحرق الرجل. وهناك نظرية تقول ان الأنسان إذا استطاع ان يعيش حتى الخامسة والسبعين ففى امكانه ان يعيش حتى المئة لأنه بعد الخامسة والسبعين تتوقف كل أعمال الهدم فى الجسم.

ولذلك يستطيع الانسان ان يحمل عظامه ولحمه خمسة وعشرين عاما أخرى. أما القاعدة الوحيدة التى اكتشف العلماء ان المعمرين يمشون عليها فهى الاعتدال المنظم أى أنهم يعملون ويستريحون ويأكلون وينفعلون باعتدال وبصورة منتظمة، وهذه القاعدة نفسها هى التى تجعل من المستحيل على ابناء العصر الحديث ان يعيشوا لأنهم ضحايا حرب نفسية لا ينفع معها الزبادى والعسل والحبوب المنومة!

حسن ظن !.

لابد أن حسن الظن من المسلمين فى جزيرة بالى هو الذى جعلهم يجتمعون فى بيت واحد منهم بعد صلاة العشاء ويبعثون فى طلبى.

وجاءنى فى الفندق وفهمت منه أن الدعوة عاجلة، وضغط على كلمة عاجلة، وفهمت أنه لا داعى لأن ارتدى الكرافتة وأن اكتفى فقط بالبنطلون والقميص. وأمسكت المشط فى يدى، وسألته إن كان ممكنا أن أسوى شعرى.

ويبدو أنه لم يدرك بالضبط معنى هذه الاشارة.

فأنا أعبر عن شعور داخلى، فشعرى أكرت وشعورهم كلها سايحة سوداء لامعه، وأنا أريد أن أرتفع إلى مستوى الشعور الناعمة. وإننى لا أريد أن أبدوا افريقى الشعر، وذهبنا معا إلى بيت واحد من ابناء حضرموت الذى سكن جزيرة بالى الاندونيسية من خمسين سنة.

ونهض الناس واقفين، وترددت السلامات والتحيات، وهى جميعا باللغة العربية.

وعلى الفور اقترب شاب صغير وقدم لى ابريقا من الماء لكى اغسل يدى، وغسلت يدى دون أن أفكر وقدم لى فوطة، وجففت يدى، وجلست انتظر الخطوة التالية، وساد صمت رهيب، وأحسست كأنه من المطلوب منى أن أتكلم، ولم يتكلم أحد، ولاحظت أننى لا شعوريا قد جلست مقرفصا، ثم متربعا كما يفعل القارئون، وبسرعة أنزل رجلى حتى لايتصور أحد أننى سوف أتلو القرآن الكريم.

وتساءلت: خيرا إن شاء الله؟

وقالوا: إن شاء الله.

وأشاروا إلى كبيرهم أن يبدأ هو بالسؤال.

وهز رأسه وقال: إنما أردنا أن نستوضح منك معنى ألم..و .. وآلر..و.. كهيعص.. و.. طسم.. فقط..

وكان ردى أنى معنى هذه الكلمات وأن أكثر العلماء تعمقا فى الدين يقول: إن الله أعلم..

وفهمت من كلماتهم الأندونيسية ولهجات الامتعاض وعدم الارتياح، وسمعت كلمة مصر تتردد عشرات المرات ولابد أنهم يقولون: كيف تكون من مصر بلد الأزهر الشريف ولا تعرف معانى هذه الكلمات؟!

وخرجت عائدا إلى الفندق وحدى، دون أن يرد واحد منهم السلام.. فسامحهم الله.. والله أعلم!

منتهى التفانى..

أم كلثوم: هذه الظاهرة الفريدة فى تاريخ الغناء العربى والغناء العالمى أيضا.

لابد أن يحقد عليها الكثيرون من الرجال والنساء. الذين لهم علاقة بالغناء والموسيقى، والذين لا يفهمون ولا يتذوقون الفن.. لأنها بوجودها وصوتها واستمرارها تتحدى الزمن.. وتتحدى الكسل، تتحدى الاستكانة. إنها لا تطيق أن يقال كانت سيدة الغناء العربى أربعين عاما أو خمسين عاما، إنها تريد أن «تكون» سيدة الغناء وسفيرة العرب إلى العرب فى كل مكان، ومتعة للأذان، كل أذن سمراء أو سوداء أو صفراء، أو بيضاء.. وهى التى وحدت بين العرب قبل أن يتفقوا أو يختلفوا على حدودها الحديثة.

لم تكن أم كلثوم قضية «مطروحة».. وإنما هى قضية مسلم بها.. لاخلاف عليها ولا اختلاف فى شأنها. إنها بديهية فنية.. وهى

لذلك ليست واردة فى اتفاق أو معاهدة أو حلف.. لانها قبل وبعد وفوق الاحلاف والمعاهدات.

ولابد أن أم كلثوم ظاهرة تغيظ الكثيرين من الناس الذين حطمهم الزمن وغيرهم وبدلهم والقى بهم إلى جوار الحائط أو داسهم أو ترفع عن أن يدوسهم وهى فى مكانها فوق.. على العين والرأس.

وأم كلثوم لم تبلغ هذا السمو الفنى بجهود عام أو عشرين أو اربعين، انها تعبت وتعبت.. وهى ككل إنسان يمرض ويشفى ويحتار ويتردد ويتردى، إنها بشر، ولكن حنجرتها ليست منها، ولا من عندها إنها هبة السماء.. وكان من الممكن أن تضيع هبة السماء لو لم يعطها الله ايضا ارادة من حديد على البقاء والنقاء، ولذلك فقد صانت ما اعطاها الله، فصانها الله لنفسها وللملايين من العرب فى بلادنا ووراء البحار.

ولم يكن يتغير شيء من أم كلثوم ولا من صورتها ولا من صفتها لو قالت لنفسها أو للناس: وإلى هنا وكفى..

فالذى قدمته للملايين كان يعطيها هذه الحرية المتواضعة: أن تمدد رجليها على أى شاطئ أو فوق أى جبل فى لبنان أو سويسرا وتملأ صدرها بالهواء وهى مستريحة الضمير..

وكان من حقها أن تستريح كما يفعل بعض الناس، ومن حقها أن تستمتع بمجدها وأن «تشم» نفسها وأن تنتقل بين القارات ملكة على عرض اقيم على الاستفتاء الحر المباشر. ولكنها مثل جندى يريد أن يقوم بواجبه حتى آخر انفاسه.

منتهى التفانى فى الفن وفى الناس.. يرحمها الله..

يعيش قليلاً..

وفى هذا الزحام بلغت الأربعين. وهى سن النضج وفى نفس الوقت سن التداعى.. فالجهاز الذى تضغط عليه منذ ولدت بدأت يتعب.. فأنت لا تستطيع كل شىء الآن.. الاسنان تتساقط والشعر الأسود، والأمراض تزحف والادوية والميكروبات، وفى هذه السن زادت التزاماتك أمام الناس وأمام الأهل والوطن والعلم والمال.. وعليك أن تشد نفسك وجسمك وعقلك وقلبك وان تمضى فى طريق مرهق لا لأنه طويل. ولكن لانك قد بلغت سن النضج.. نضج كل الأشجار التى غرستها.. وعليك ان تقطف جهودك. وكما تتساقط ثمار الشجر، تتساقط أفكارك وتتضح الرؤية أمامك. هذا الوضوح يغريك بمزيد من العمل والمكسب والسلطة.

واحساسك بأنك فى الخمسين وان الذى يتبقى من عمرك قليل يدفعك إلى مزيد من التحصيل والرغبة فى الراحة.

والحقيقة انك فى حاجة إلى راحة. ولكن هذه الراحة لا تجيء بهذه السهولة فأنت اعتدت على العمل. واعتدت على أن تكون مسئولا.. وهذه العادة قد سيطرت عليك. وهى التى تهد حيلك وترهقك وهذه العادة هى التى تنسيك من أنت وكم عمرك وكم تبقي لك بعد هذا كله؟

وفى الستين تريد أن تستريح حقاً.

ولكن الإنسان لكى يستريح يجب أن يكون قادرا على الراحة. وهذا موقف غريب.

فالإنسان المتعب يجب أن يستريح لكى يشعر بالراحة فالموجوع لا يستريح. اى انك يجب أن تستريح لتستريح. وفى هذه السن من الصعب أن تستريح.. لأنك مجموعة من العادات، من الأكل والشرب والنوم والعمل. وقد انتهى كل شيء.. اى انك اصبحت مجردا من عاداتك اى من مقوماتك كلها فكيف تستريح..

ولا يهم كم سنة بعد ذلك تعيش ولكن النتيجة هى:

ما الذى استطعت أن تعرفه، وما الذى استطعت ان تفهمه، كم خلوت إلى نفسك، كم التقيت بنفسك فى هدوء. كيف يستطيع المقاتل الذى يحمل كل سلاح ان يتجاهل ما يحمله، وان يتجاهل المعركة وان ينسى النصر، ان أحداً لا يستطيع ذلك.

ولهذا فالانسان «يستمر» طويلا ولكنه يعيش قليلاً.. ولذلك فلا ذنب عليه اذا لم يفهم، ولا جريمة له اذا مات كما ولد لا يدرى شيئاً عن دنياه.. وكلنا ذلك الرجل!

اهرب..

جلست أعد الكثير مما كتبت من مقالات للنشر فوجدت عدداً كبيراً منها على مدى عدة سنوات يتحدث عن ضرورة الراحة..

ضرورة أن يهرب الانسان من عمله..

من الناس.. إلى أى مكان بعيد لا يرى أحداً يعرفه، ولا يتكلم لغته ولا يأكل طعاماً، ولا يقرأ صفحة.. أو لا يقرأ ولا يرى ولا يسمع ولا يتكلم..

وكثيرا ما حسدت الصخور يضربها ويغسلها فى نفس الوقت موج البحر وتلفها الرياح. وتبقى هكذا هادئة جامدة نظيفة الوف السنين..

بل ما رأيت البحر الا حسدت الموج.. انه ماء يعلو الماء ويندفع يزحزح الشاطئ، ولابد أن هذا الموج يتحرك اثناء النوم. والا كيف يفعل كل ذلك دون أن يتوقف، كأنه لا يعرف أن جهوده ضائعة مبددة..

وأنه لا أمل فى ان يزحزح الشاطئ إلى بعيد.. ولو كان الموج صاحيا لادرك أن الجهد العظيم الذى يبذله هو «عبث» اى بلا معنى ولا منطق ولا هدف.. ولكن الموج نائم غائب عن الوعى.. يا بخته!

ما من مرة ارى السمك فى البحر، الا احسست أنه مثلنا: الكبير يأكل الصغير.. والكبير يأكله الكبير جداً.. وهكذا تتحول أرواح الأسماك من جسم إلى جسم، كارواح المؤمنين بالديانة الهندوكية.. وهكذا تنتقل الروح من سجن إلى سجن حتى يتم تطهيرها فتكون كلها ملائكة ارواح الحيوانات والانسان والاشجار.. فحياة الاسماك هى حياة الطهارة..

والاسماك يأكل بعضها البعض جوعاً والاسماك فى ذلك لا تكذب ولكننا نحن نكذب ونخدع ونأكل ولسنا جياعاً.. ونشرب ولسنا عطاشا.. ونقتل لاسباب كاذبة. ونحارب لمعتقدات باطلة.. ولابد ان الاسماك اوضح شعوراً.. فهى تعرف نهايتها عند ولادتها ولكننا لا نعرف من البداية حتى النهاية!

وفى كل مرة اجدنى عاجزاً عن نشدان الراحة.. فكيف استريح وعقلى يدور فى دماغى ودماغى يدور بين الناس.. كيف اتخلص من كل الناس.. ممكن احيانا الا من أقرب واعدى الناس لى: نفسى!

ولذلك وجدتنى فى عشرات المقالات، اعترف باننى لم اولد للراحة، وانما للحديث عنها فقط!

لغتنا..

لابد أن ننشغل جدا بما أصاب اللغة العربية على ألسنة المصريين.

ومن الأشياء التى تدهشنى جدا أن أسمع الشبان فى برامج الإذاعة أو فى الندوات يتكلمون بسرعة تطير لها النقط فوق الحروف والحروف أيضاً وتدوس الكلمات بعضها بعضا.. لماذا هذه السرعة أو هذا التسرع؟

إننى أكره الذين يأكلون الحروف وأكره الذين يعجنون الكلمات.. هل الكلام هو الآخر أصبح مثل قزقزة اللب أو مثل مضغ اللبان أو هو مثل العطس: أصوات نطلقها دون أن تكون واضحة؟

إننى ألجأ إلى المشتغلين باللغة والبلاغة والتدريب على الكلام وأساتذة الصوتيات والآباء والأمهات.. أريد أن يدلنى أحد على معنى

ذلك، وإلى أن أجد ردا شافيا فإننى اتجه مرة أخرى إلى السيدات والسادة المذيعين والمتحدثين فى الإذاعة والتليفزيون.. إنهم «مانيكانات» الأداء الصحيح والتعليق الجميل.. إنهم «موديلات» الأناقة اللفظية.. ونحن نقتدى بهم.. ولذلك ليس مقبولا أن تكون المانيكان عرجاء، وإلا كان معنى ذلك أن «العرج» موضة، وأن «الكساح» آخر تقاليع العصر!

وفى كل مرة أناقش قضية اللغة العربية أجد من يسألنى: ولماذا لا أو نجعل اللغة العربية سهلة النطق أو سهلة الأداء أو سهلة اللفظ!

هل هناك أسهل من لغة الميكروفون والشاشة والصحافة؟ إنها أقرب إلى اللغة العامية.. ولكن يبدو أن المطلوب هو لغة المدارس أى كتب المدارس ومحفوظات المدارس.

وأرى أنهم على حق فى ذلك.. وأن حب اللغة العربية أو كراهيتها تبدأ فى هذه المرحلة.. وهى قضية كبرى تستحق أن نهتم بها.. ولا أقصد أن نجمع المجمع اللغوى وإنما كل الجامعات والوزارات والأحزاب والهيئات الأدبية!



غراميات كارمن ..

ولا أنسى كيف اهتزت أعماقى يوم رأيت فيلم «غراميات كارمن» بطولة ريتا هيوارث وجلين فورد.

والقصة من تأليف الأديب الفرنسى ميريميه.. ولا أعرف كم عدد المرات التى رأيت فيها أوبرا «كارمن» ولا أعرف لماذا دمعت عيناى أكثر من مرة.. ان كارمن غجرية جميلة وعندها شجاعة وشخصية وجرأة واعتزاز بنفسها، ورغم أنها لا تقف على أرض ولا تربطها أسرة طويلة عريضة وتشدها حضارة غربية أو شرقية. فإن ينبوع قوتها يتفجر من أعماقها. وهذا الينبوع يتدفق قوة وجمالا وجلالا.. وهى عندما تقف وحدها فإنها مثل مليون امرأة قد تحولت جميعا إلى خلايا حية فى جسم امرأة واحدة تكاملت محاسنها وتعاظمت مفاتنها ـ هكذا رأيتها.

وكتبت كثيرا عن هذا الفيلم وكيف أن عبارة واحدة قالها بطل هذا الفيلم قد غيرت مجرى حياتى وجعلتنى اتحول من مدرس فى الجامعة إلى أديب فقط وحريص على أن أظل كذلك. أما العبارة فهى ان الانسان ليس دائما ما يفعله.

اى أن الانسان لا يمكن أن نحكم عليه مما يفعله لأنه من الممكن أن يكون قاتلا وهو مضطر إلى ذلك. ويكون لصا وهو مرغم على ذلك. وكان البطل يفعل بالضبط ما يفعله الغجر مع أنه ليس غجريا.. ومن الممكن أن يفعل الانسان أى شىء. وهو فى أعماقه شىء آخر ووجدت هذه العبارة تنطبق على حياتى بعد أن تخرجت فى الجامعة. فقد اتجهت إلى التدريس.. ولكن لا أحب ذلك. واتجهت إلى الطريق الأكاديمى الجاف القاسى ولكن لا أحب ذلك ولا أقدر على هذا الاختناق المنظم العظيم الاحترام.

ولما رأيت هذا الفيلم للمرة الثانية أى بعد ثلاثين عاما لم أجد هذه العبارة التى زلزلت وجودى. لم أجد المعنى الذى يشير إليها! إذن فهذه العبارة قد خرجت من أعماقى لأنها أعماقى.. وجاء هذا الفيلم تفسيرا جميلا انيقا لها..

واكتشفت انى واحد من أبناء الغجر.

فقد تنقلت طويلا فى الريف المصرى.. كان والدى يعمل فى أماكن كثيرة ونحن وراءه نجرى ونلاحقه، ونتدحرج على الريف المصرى ولا نثبت على أرض وتثبت لنا علاقات اجتماعية: الأصدقاء والاقارب والجيران.. فكأننا نقيم فى خيام على أطراف المدن

ولأسباب ليست واضحة نضع خيامنا، ولأسباب ليست واضحة نفك خيامنا ونحملها.. ثم نمضى إلى مكان آخر..

وعرفت طفولتى الخوف معنى «المسافة» فأنا على مسافة من الناس. وأنا فى حالة من الخوف. من الذى جعل هذه المسافة بعيدة لا أعرف. من الذى وماالذى أخافنى؟ لاأعرف.. ولكن لم نشعر بالدفء.. ولم نشعر بالأنس.. لم نجد العشرة.. لم نعرف المودة.. ولا حرارة اللقاء.. ولا ثقل الفراق.. لم تر الأيدى تمتد للسلام، ولا عند الوداع. فنحن نجىء ولا يشعر بنا أحد. ونمشى ولا يدرى بنا أحد.

هل هناك يد تمتد خفية فتنزعنا فى أرض غريبة ثم تمتد مرة أخرى فتنقلنا إلى أرض غريبة.. لم أشعر لحظة أنى نبات زرعوه ثم اقتلعوه.. دائما كنت أشعر انى نبات ملقى دائما بعيدا.. ثم انقل من مكان وألقى فيه، ثم إلى مكان اخر وألقى فيه.. وكان انتقالنا ليلا لماذا؟ لا أعرف.. وعرفت مع الليل المزيد من الخوف.

هذا التاريخ

هل يكرر التاريخ نفسه؟ نعم. فبعد الحرب العالمية الاولى حاول الحلفاء تطبيق معاهدة فرساى على المانيا فلا تكون لها دبابات ولا مدافع ولا طائرات ولاغازات سامة ولاقيادة عسكرية. ولم يستطع الحلفاء ان يدخلوا ارض المانيا.

والآن وبعد سبع سنوات من حرب الخليج يحاول الحلفاء منع صدام حسين من أن تكون له أسلحة نووية وميكروبية. وقد فشلت الولايات المتحدة والامم المتحدة فى ذلك

ولم تستطع قوات الامم المتحدة احتلال ارض العراق ـ تسللوا بضع كيلو مترات فقط.

وتحاول امريكا ان تحشد وراءها رأيا عالميا وعربيا ليعطيها الحق فى ضرب العراق من البحر والجو وإبادة الدروع البشرية كما فعلت فى هيروشيما ـ ثم تتلقى التحيات والتبريكات من كل الشعوب الشقيقة لشعب العراق؟!

وعلى الرغم من ان طائرات امريكا وفرنسا وبريطانيا تمسح سماء كردستان سبع سنوات، فإن الدبابات العراقية اقتحمت منطقة اربيل وكانت شرارة الحرب الاهلية.. وفى ذلك الوقت ارسل الرئيس كلينتون المرشح لفترة رياسة ثانية صواريخ من 500 كيلو متر إلى العراق مما اسعد الناخبين الامريكان.

وتعالت اصوات معارضة للرئيس الامريكى فى موسكو وباريس وبكين والقاهرة والرياض ضد عدوانه على الشعب العراقى. وفى نفس الوقت طرد الرئيس صدام مراكز وبؤر المخابرات الامريكية فى شمال العراق. وظل الجيش العراقى مكونا من نصف مليون جندى والف دبابة. وفشلت امريكا كما فشل الحلفاء سنة 1920 فى موقفهم من المانيا.

وقد انقلبت موازين القوى فى الشرق الاوسط ضد امريكا ومصالحها فى المنطقة. وإذا كانت امريكا قد جمعت العرب والعالم وراءها سنة 1990 ضد العدوان على الكويت، فإنها قد فشلت تماما هذه المرة فى ان يقف وراءها احد اللهم إلا بريطانيا.

ولاتزال امريكا ومعها بريطانيا تحاول عزل العراق.. وعزل ايران ايضاً. ولكن شركات البترول الفرنسية الجبارة والامريكية والايطالية والصينية والروسية لاتزال اقدر واقوى..

وبدلا من ان تعزل امريكا كلا من العراق وايران. فإنها عزلت نفسها فكأن(الحكومة) الامريكية تعمل ليلا ونهارا ضد (الادارة) الامريكية.. أى ضد مصالحها فى الشرق الاوسط!.

اعلام مقلوبة

فى احد احتفالات المحاربين القدماء فى بريطانيا فوجئوا بأن وزارة الدفاع قد علقت العلم البريطانى قديما مقلوبا. فثارالمحاربون رجالا ونساء ووجدوا فى ذلك جهلاً واستهتاراً بهم. فبادر رئيس الوزراء تونى بلير بالاعتذار، وكذلك وزير الدفاع، ولكن لماذا حدث ذلك؟ يمكن ان نقول أنه الجهل واللامبالاة.. ولكن من المستحيل السكوت على ذلك. فلم يسكتوا ولم يسكت رئيس الوزراء..

ولكن الحال عندنا غير ذلك.. فقد حدث كثيرا ان وجدنا على موائدنا ـ على سبيل الحفاوة بنا فى العواصم الأوروبية والآسيوية ـ علم سوريا أو العراق أو اليمن فهى لا تختلف كثيرا عن العلم المصرى. والخلاف فى عدد النجوم أو الصقور أو النسور، وكثيرا ماوجدنا العلم مقلوبا. فلم يتطوع واحد منا باصلاحه. فالعلم ليس له طعم ولا معنى. ومايزال كثير من المصريون يحنون إلى العلم الأخضر القديم.

وكنا ـ زمان ـ نضع العلم فى كل المؤسسات والمعاهد والمدارس والمحلات التجارية.. فخورين وسعداء بهذا الانضباط. وكان العلم جديدا متين القماش دائماً. أما الآن فقد اختفى شكله ولونه ورسمه غير مأسوف عليه.. إنه الاهمال واللامبالاة.. مع ان هذا العلم رمز الدولة.. ومفخرتها فى السلام وفى الحرب ايضاً.. ولأننا رفعناه على أرضنا المحررة، فقد ارتضيناه رمزاً للنصر والكرامة..

ومع ذلك فكثيرون لا يعرفون العلم الرسمى.. أو العلم الذى يجب ان نعلقه أو الفرق بينه وبين العلم الذى نرفعه لرئيس الدولة..

وقد حدث ان رأى الرئيس حسنى مبارك. وهو دقيق الملاحظة علما على مبنى محافظة الإسماعيلية. هذا العلم قد رآه مئات الآلوف. ولم يلاحظوا أنه ليس العلم الذى يجب أن يوضع فى هذا المكان.. فالمفروض ان يكون العلم الذى عليه صقر قريش وليس العلم الذى عليه نسر صلاح الدين فأنزلوا علماً ووضعوا واحدا آخر.

ايهما وضعوا؟ أكثر الناس لا يعرفون!

ونحن طلبة فى الجامعة كنا نذهب كل يوم جمعة إلى بيت الأستاذ العقاد.. وكنا نذهب على أقدامنا سعداء بذلك.. وكانت الأعلام مرفوعة فى الطريق إلى مصر الجديدة إلى 13 شارع السلطان سليم.. وكنا نشعر أنها مرفوعة تحية لنا.. الذين يطلبون العلم فى جامعة العقاد..

ولم يعد هناك صالون للعقاد فقد مات العقاد.. اما الاعلام فلم يظهر منها إلا القليل.. كأنها هى الأخرى قد نكست حدادا على أكبر المفكرين المصريين فى زماننا.

.. المعنى؟!

اذكر انني توقفت عن الكتابة تماماً. وقررت ان اكتب بطريقة مختلفة. وان تكون عباراتى اسهل ومفرداتى أقل.. وموسيقى مقالاتى اهدأ.. وان تكون افكارى على وجه الالفاظ. أو قريبة من أصابع الناس.. وان تكون الفاظى فساتين قصيرة شفافة.. على قدر المعنى وأن تكون «محزقة. أو ملتصقة فلا يتعب القارىء فى ان يفهم.. ولا يحتاج إلى ثقافة كبيرة لكى يدرك ما اقول..

وظللت اكتب نفس المقال فى البيت عشرين مرة. ولا ازال احتفظ بالصورة العشرين لهذه المقالة.. ثم نشرت المقالة من جديد وباسم آخر، ولم أشأ ان أسأل الاستاذ العقاد.. فقد قررت ان اكون مختلفاً. لاننى مختلف ولأن السهولة من طبعى.. والبساطة فى خلقى.. والوضوح طريقى واملى.. ولم يدرك الاستاذ العقاد اين وقعت كلماته الطيبة من اعماقى لقد زلزلتها.. وحمدت الله أنها لم تحطمنى أو لم تصنع منى صورة منه هو أو من أى احد!

وحدث أيضاً عندما ذهب الاديبان العظيمان ماكسيم جوركى وتشيخوف لمقابلة الاديب تولستوى.. اتفق الاثنان على الموضوعات التى سيناقشانه فيها.

ولقياه ساعات.. وخرجا.. وامام قصر تولستوى وقف الرجلان يتساءلان: هل صحيح ما قاله؟

فأجاب جوركى: أنه اكبر مما تصورت.

قال تشيخوف: واكثر انسانية.. ولكنه..

فعاجله جوركى: لاتحاول ان تفسد هذه المعانى الجميلة التى استقرت فى نفسى. دعنى سعيداً حتى الغد.

واعتذر تشيخوف: لن افسد عليك شيئاً وإنما اريد فقط ان اعلق على كلمة واحدة.

قال جوركى: اعرفها: دعنا إلى الغد.

والتقيا فى اليوم التالى.. قال جوركى: اعرف الذى اوجعك منه واوجعنى.. عندما سألنا: هل من الضرورى ان يكون الطريق إلى الامل يمر بكل مستنقعات اليأس وحشرات الهوان وجفاف الجوع. ألا تريان ان ضوء النهار يهدى إلى الشمس.. شمس اليوم وشمس الغد.. لماذا انتما يائسان هكذا؟؟ أليست هذه هى العبارة الأخيرة!!

وكانت هذه العبارة الأخيرة هى التى اوجعت الأديبين الشابين. لقد نبههما تولستوى إلى ضرورة التغلب على اليأس.. وان يتعاونا على اخراج الشمس والعمل واكثر ثورية!!!

وكانت هذه العبارة مصباحاً هادياً، وسلما امتد امامهما لكى يتسلقاه إلى ما هو ارفع واشمل واكثر ثورية!!

وعندما ذهب الفيلسوف الالمانى شوبنهور إلى امير الشعراء فى عصره: جيته. قدم له عملاً فلسفياً وطلب إليه ان يبدى رأيه. وفى اليوم التالى عاد الشاعر يقول له: قرأت كتابك.

ـ فكيف وجدته؟

ـ اعجبنى لولا.

ـ لولا ماذا؟

ـ لولا ان شيئاً هاماً ينقصك؟

ـ كل انسان ينقصه شيء هام.

ـ انت بالذات ينقصك اهم شيء فى حياتك كلها.

اما الذى قاله امير الشعراء جيته لرواد الصالون الادبى فهو: هذا الشاب فيلسوف ما فى ذلك شك. ولكن ينقصه هذا المعنى: إذا اردت ان يكون لأى شيء فى هذه الدنيا معنى، فاجعل لنفسك معنى!!



تكلم يا هذا

إذا اردنا ان نعالج مريضاً ليس مصاباً فى جسمه فلابد ان نعرفه، ولن نعرفه دون ان نلتقى به.. ولن نلتقى به دون أن يكون امناً على الذى يقول، ولن يتحقق هذا الآمان إلا إذا كان الذين يتولون الحوار معه هيئات علمية محترمة.. كما حدث فى امريكا بعد حرب فيتنام.. وكما حدث فى بريطانيابعد العدوان الثلاثى على مصر، وكما حدث فى فرنسا بعد وفاة ديجول.. وهذا هو الذى ينقصنا وليس يكفى ان نعترف بالنقص.. ونكافىء انفسنا على ذلك بأن نقول: أن الاعتراف بالرذيلة فضيلة.. إنما يجب ان نعالج انفسنا قبل ان نعالج غيرنا.. ان نزيل نقصا قبل ان نعرف «النواقص» فى حياتنا الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية.

ان المثل الذى دخل به التاريخ رجل اسمه سبارتاكوس على أنه محرر العبيد يجب ان نذكره فى مناسبات عديدة. فهذا الرجل اتى بجيش من العبيد ليحرر العبيد. وكل الذى فعله ان وضع السلاسل

فى ايدى السادة، وجعلهم عبيداً للعبيد.. إنه لم يحرر العبيد إنما اضاف اليهم عبيداً آخرين.. فكأنه انتقم من الهوان الذى لحقه، بأن خلعه على الآخرين.. فلا حرر العبيد من عقدة انهم عبيد، ولا استطاع ان يغرس فى السادة انهم ليسوا كذلك وانهم عبيد.. فنحن نريد ان نحرر انفسنا من نقص المعلومات.. والجهل بمجتمعنا، لكى نصبح قادرين على تصحيح الاخطاء وتقويم المسار الطويل وتجفيف الدماء.. ولكن إذانحن لم نكن جادين فنحن إذن كالطبيب الذى يجرى عمليات جراحية بأدوات ملوثة.. ومهما كان الطبيب بارعاً.. فإنه سفاح قد ارتدى ملابس الاطباء.. وهو قاتل يطبق احدث نظريات الجراحة!

فإذا كان الملل قد تسرب إلى نفسك من كثرة ما يقال عن ازمة الشباب.

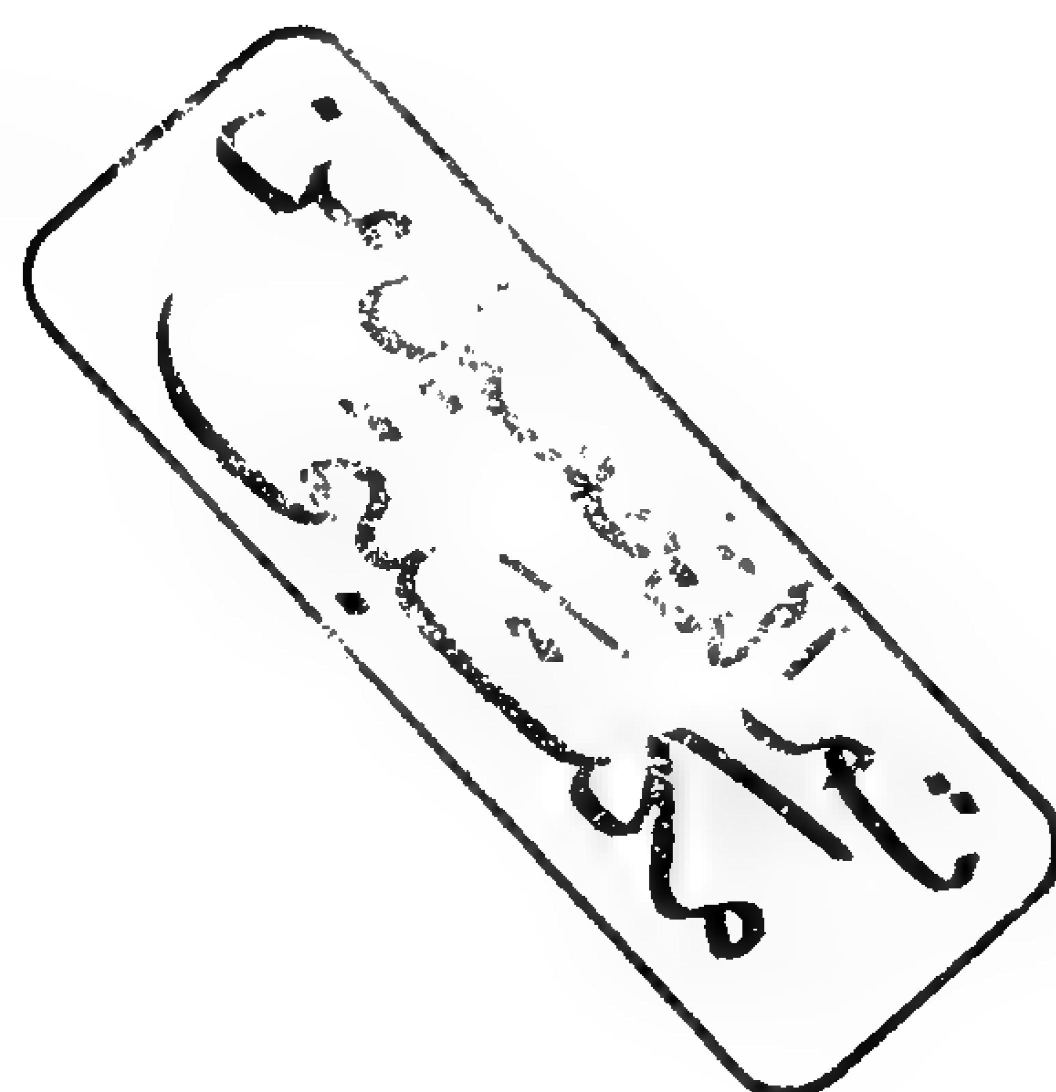
وليس اكثر خطورة على دراسة هذه القضية من الملل عند سماعها أو قراءتها. إلا استعجال حلها.. كان المرض معروف، والتشخيص معروف، ولم يبق إلا العلاج والعلاج هو أى حل سريع ؟!

ويقال ان الامام الشافعى قد لاحظ ان واحداً من مريديه لم يتكلم.. وقد تهيب الامام الشافعى ان يجلس على راحته فى مواجهة هذا الرجل الذى يبدو مهيباً وقوراً. ثم طلب إليه الشافعى ان يسأل ما شاء. فما كان من هذا الرجل إلا ان قال له: إذا وجد الانسان نفسه فى الشمس ولم يجد ماء يتوضأ به أو تراباً يتيمم به، ولم يصل مدى الحياة، فهل يدخل النار؟

وقال الإمام الشافعي: الآن يحق للشافعي ان يمد رجليه!

فقد اكتشف الإمام الشافعي أن الرجل تافه وأنه لا يستحق الاحترام.. وان من حق الشافعي ان يمد رجليه وقدميه ويضعها في عينيه!

فلابد لكي نعرف الشباب ان نسمعهم ولكي نسمعهم فلابد ان نقترب منهم.. وان نؤمنهم، لكي نأمنهم ـ انهم مصر: حاضرنا ومستقبلنا!!



لا يلمس!

لوعرف الذين يكتبون اين تقع كلماتهم من نفوس الناس لارتجفت الاقلام فى ايديهم وترددوا كثيرا قبل ان يقولوا شيئا ولكن هذا لا يحدث الاقليلا عندما تواجهنا الحقيقة فجأة فنعرف أن كلماتنا كانت احجارا سقطت على ماء ساكن فهزته ثم سكن كل شيء أو كانت بذورااستقرت فى ارض واسعة مسطحة كأنها اكف متعطشة تنتظر.. أوكانت سموما جاءت بعدها النهاية.

وقد قابلت شابا قدم نفسه قائلا: إنها كلمات اهداء بقلمك غيرت مجرى حياتى.

ونظرت إلى وجهه.. وإلى بشرته الناعمة وعينيه اللامعتين وملابسه المهندمة وإلى اصابع يديه هناك دبلة من ذهب واخرى من فضة انه ناجح سعيد.

وقلت له وأنا اتوقع كلاماً كثيرا يضاعف سعادتى ويضيف رصيدا لحسابى عنده قلت له: مبسوط ؟

قال: مبسوط..

ولكنك تقولها وكأنك لا تعنيها

فعلا فلم تكن عندى اية اهتمامات ادبية وإنما اريد أن اكون طبيبا وعندما قدمت لك مجموعة من قصصى شجعتنى على الاستمرار... وتمنيت لى مستقبلا ادبيا.

وعدت انظر إليه مرة أخرى فوجدت الحزن عميقا فى عينيه.. بل وجدت ان الحزن ملأ عينيه وندمت على اننى قلت واسرفت فى التمنى له.. ولم اكن إلا مجاملا ومشجعا ولم اتصور ـ لحظة واحدة ـ ان كلماتى قضاء وقدر!

وتذكرت انا أيضاً عندما عرضت قصيدة من نظمى على استاذ اللغة العربية فى مدرسة المنصورة الثانوية ووجدت انه يقلب فى ابياتها ويستعيدها ويزنها فى اذنيه وازداد احمرار وجهى وخجلى وقبل ان يسألنى قلت له: ان هذه القصيدة قد نظمها اخى الاصغر.

وكأننى اعتذر عنها: مع اننى لم اسمع رأيه فيها وهز الرجل رأسه وقال: فعلا كلام موزون ولكنه ليس شعرا.. قل لاخيك يلعب فى الحارة احسن!

ومن يومها وانا لم انظم قصيدة واحدة!

ولما عرضت هذه القصيدة على الاستاذ عباس العقاد قال عبارة لم انسها: هذا شعر شاب يرى ولكنه لا يستطيع ان يلمس ما يراه.. ولكن سوف تصبح ذراعاه قادرتين على اللمس والوصف والغناء!

ولكن جاءت هذه العبارة بعد ان احيلت اوراقى كلها إلى المفتى وحكم بالاعدام اما عبارات العقاد فكانت باقة من الورد على قبر الشاعر الشهيد أو جاءت وساما على مدفع يمشى فى مقدمة جنازة احد المقاتلين فى غاية الادب!

وعندما كتبت مقالا عن «معنى الفن عند تولستوى» فوجئت فى ندوة الاستاذ العقاد بأنه اتجه ناحيتى يقول: قرأت مقالك واعجبنى اسلوبك!

وتحيرت بين السعادة والحزن: هل كل الذى اعجب الاستاذ العقاد هو اسلوبى! الم تعجبه الفكرة؟ الم يعجبه تناولى لمعنى الفن عند الاديب الروسى؟

وفى نفس الوقت اسعدنى العقاد عندما قرأ لى واسعدنى اكثر عندما قال ذلك امام زملائى من الادباء الشبان.. ولكن ضايقنى أن يكون اعجاب الاستاذ باسلوبى فقط!

وعدت إلى البيت اقرأ المقال مرة أخرى ولاحظت ان عباراتى كانت ضخمة وان تراكيبى كانت فخمة وان حفاوتى بالكلمات الطنانة الرنانة كانت أكثر من أى شيء آخر فهل هذا هو الذى اعجب الاستاذ العقاد؟

ان العقاد نفسه له اسلوب صعب وليس من السهل على كثيرين أن يدركوه وإذا ادركوه ان يعجبوا به.

هكذا قال د. عصفور..

جلست ارسم كيف بدأت حياتى فى اخبار اليوم.. قبل ان اعمل بها.. ويوم فكرت ويوم ذهبت اليها مع كامل الشناوى.. فقد كنت أعمل فى (الجريدة المسائية) التى كان يرأس تحريرها كامل الشناوى ـ وكان سكرتير التحرير عبد المنعم الصاوى.. وكان من الزملاء مأمون الشناوى ومرسى الشافعى واحمد نافع وعدلى جلال.. وبعد اربعين يوما اغلقت الحكومة هذه الصحيفة التى يملكها احمد باشا حمزة احد اقطاب الوفد..

وانتقلت مع كامل الشناوى إلى العمل فى جريدة الاهرام سنة 1950 وبقينا معا حتى مايو 1952 عندما قرر هو ان يذهب إلى (اخبار اليوم) لنساهم فى اصدار صحيفة اسمها (الاخبار الجديدة).

ثم طلبنا اجازتنا السنوية، وسافرنا إلى اوروبا.. وفوجئنا ونحن فى البحر بأن (ثورة) فى مصر.. ولم نعرف معنى الثورة.. مفاجأة لنا.. ولا معنى طرد ملك ومجىء واحد شكله غريب علينا جدا اسمه

الجنرال محمد نجيب.. وكان بين المسافرين ضابط اسمه حسنى نجيب.. وانتهزنا الفرصة وقلنا انه اخو الرئيس الجديد لمصر.. ولم نعرف أن محمد نجيب اسمر جدا. وحسنى نجيب ابيض جدا..وقلنا انهما غير شقيقين..

وشاءت الصدفة ان نذهب إلى فيينا عندما تنشر الصحف النمساوية مؤتمرا صحفيا لواحد اسمه د. أحمد عصفور.. ود. عصفور هذا من حزب مصر الفتاة.. وقد خرج من مصر أو هرب من مصر بسبب علاقته بالامير عباس حليم. وتزوج سيدة نمساوية واعلن د. عصفور فى المؤتمر الصحفى ان الرئيس محمد نجيب طلب منه شخصيا عشرة آلاف مدرس للغة الالمانية.

وان يكونوا جميعا من النمسا وليسوا من المانيا؟! والنمسا بلد صغير. عدد سكانه تسعة ملايين.. والخبر غريب وعجيب ومثير. لماذا اختار النمسا؟ ولماذا هذاالعدد الكبير جدا على بلد صغير؟ وكيف يدبرون له هذا العدد من المدرسين للغة الالمانية..

ثم ان الرئيس الجديد لم يطلب من وزارة الخارجية ولا من السفير النمساوى فى القاهرة..

ونشرت الصحف مانشتات حمراء تقول: هكذا قال د. عصفور.. هكذا تكلم د. عصفور..

وبعثت الموضوع إلى مصطفى امين ـ كأول موضوع اكتبه لصحيفة (الاخبار) الجديدة ـ وحدث شيء عجيب جدا فقد تلقيت برقية تهنئة من مصطفى امين.. لقد عرف عنوانى من السفارة.. ثم

بعثت بخبر آخر. فقد اعتقلت السلطات النمساوية بعد ذلك مدرسا مصريا بتهمة اغتصاب طفلة صغيرة. وانقلبت الدنيا فى النمسا وفى مصر. ولم ادرك خطورة هذا الخبر إلا بعد ذلك.. وتلقيت برقية تهنئة أخرى من مصطفى امين مع مزيد من التفاصيل. ولكنى لا اعرف مصطفى امين ولا حتى رأيته.. وان كنت رأيته فأنا لا اعرف ان كان هو مصطفى امين أو على امين.. فلم يمض على التحاقى بالعمل بأخبار اليوم إلا اسبوع واحد..

وهكذا كانت بدايتى فى العمل الصحفى فى اخبار اليوم.. وهذا بالضبط ما لا احب ولا اريد.. فأنى اريد أن اكتب ادبا وفلسفة ولا تهمنى مثل هذه الاخبار. ولذلك عندما عينت للعمل. كان عملى فى مجلة (آخر ساعة) ولم اعرف انى سوف اكون رئيسا لها بعد 18 سنة.. ولكنى لا احب العمل الصحفى البحت.. فأنا اديب، كنت وسوف ابقى اعمل فى الصحافة.

ولم يمض إلا وقت قصير حتى انتقلت للعمل فى الاخبار فى باب (اخبار الادب) الذى كان رئيس تحريره الاستاذ زكى عبد القادر..

وبدأت الطريق إلى كتابة (اليوميات) ورئاسة تحرير مجلة (الجيل) ومجلة (هى) ومجلة (آخر ساعة).. ومقالى اليومى (مواقف).. وظللت اعمل فى اخبار اليوم حتى سنة 1976 عندما تركتها لاكون رئيسا لمجلس ادارة (دار المعارف) واصدر مجلة (اكتوبر).. ولم

تنقطع صلتى بأخبار اليوم فظللت اكتب صفحتها الاخيرة سنوات.. وظلت اخبار اليوم وعلى امين ومصطفى امين فى مكانهم ومكانتهم الرفيعة من حياتى ومن قلبى!.

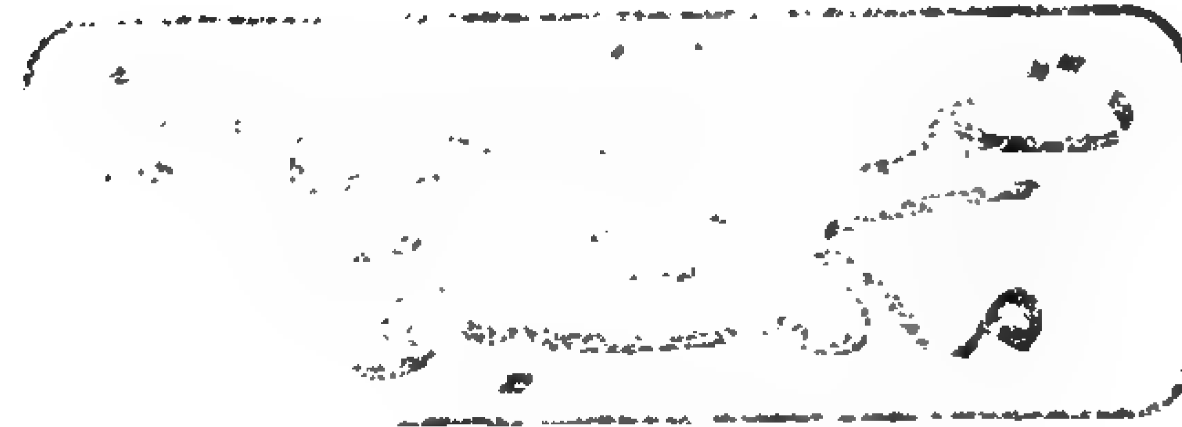
قنبلة عماد اديب !

كنت جالسا افكر عندما ظهر عماد الدين أديب بوجهه المستدير الملامح الذى ليس عليه اى تعبير مثل وجوه لاعبى البوكر.. وسمعته يتحدث عن صحفى كبير ماضيه وتاريخه.. وهنا بدأ قلبى يدق.. وكان ما توقعته لقد مات مصطفى امين.

وكان عماد الدين اديب ينهى الينا هذا الخبر بالطريقة التى يحبها مصطفى امين. المهم الخبر. اما المشاعر واما العواطف فلاتهم. وربما هذا هو المعنى الذى ادى إلى ظهور الارتياح على وجه عماد الدين اديب. لقد انفرد بخبر. وظهر عليه الضيق لأنه أطال فى الخبر. وإنما يكفيه أنه انفرد به وأنه قال كم كلمة رثاء.. ولكن المهم أنه هو صاحب الخبر.. والباقى سوف تتساوى فيه كل الصحف وشاشات الدنيا. واستراح عندما نقل الينا الخبر الفظيع.. واتجه إلى شىء آخر. وترك لنا الهموم ووجع القلب والحزن على استاذنا الكبير الذى جاء نعيه لطيفا لواحد من اهم مبادئه فى الحرفة الصحفية.. الخبر اولا

والخبر اخيرا.. ولا قلب عند الصحفيين.. وعندما مات على امين تصورنا ان نصفه الآخر سوف يموت ـ وعاش بعده عشرين عاما. وعندما انتحرت بنت مصطفى امين فزعنا. ولكنه رفض ان يتلقى العزاء فلم نفعل ولم يظهر عليه لا الحزن ولا الأسى.. لماذا؟ فقد نقلوا إليه الخبر. وقلب صفحة أخرى.. اما على امين الذى كانت تهزه الاخبار فقد مات. فالعواطف تقصف العمر.. ولو كان لهرم خوفو قلب لتحطم من الوف السنين.. ولكنه من الحجارة ذات الترتيب الهندسى الرفيع.. وكذلك مصطفى امين! ولابد انه فى قبره يشعر بالسعادة لأن احد تلامذة تلامذته عماد الدين أديب قد نعاه إلى العالم بنفس الاسلوب الذى يحبه مصطفى امين!! وكنت قد زرت مصطفى امين فى ايامه الأخيرة وقالت لى السيدة الفاضلة زوجته: أنه لا يقابل احدا.. ولكن انت لابد ان يقابلك. فأنت تعرف شعوره نحوك! ياليته ما قابلنى. ياليته رفض أو وجدت السيدة قرينته سببا طبيا حتى لا اراه.. وياليتنى ما رأيت! فلا استطيع ان انسى كيف رأيت المرحوم على امين على الارض يرسم شكلا لصحيفة جديدة.. وياليتنى ما رأيت توفيق الحكيم.. ولكنه د. عبد المنعم حسيب ـ ككل الاطباء لا قلب لهم ـ فرأيت ما احزننى. وياليتنى ما رأيت احسان عبد القدوس ولكنه د. خيرى سمرة جراح المخ الذى لا قلب ولا عواطف عنده وعندهم.. وياليتنى ما رأيت انور السادات.. ولكنه الدكتور مصطفى المنيلاوى هو الذى قال لى زى الفل.. اطلع شوفه.. مع أنه هو أول من قال لى ونقلته وكالات الأنباء ان انور السادات قد نقل إلى المستشفى ميتا اكلينيكيا.

وياليتنى ما رأيت الاستاذ العقاد ممدا على فراشه وابنته المجهولة تضرب نفسها بكل احذيته التى فى ارض الغرفة حدادا عليه.. ولا رأيت عبد الوهاب وام كلثوم وعبد الحليم وكامل الشناوى.. لا اعرف ما الذى مات.. ما الذى راح من عمرى.. ما الذى اخذ.. ما الذى ترك.. تغير مذاق الأيام من خبر مصطفى امين.. أنه آخر عظماء الصحافة.. آخر بناة الصروح الصحفية.. ناظر مدرسة الصحافة الحديثة. لقد رأيت جنازته فى التليفزيون أنها جنازة زعيم شعبى.. مع أنه لا كان زعيما.. ولا قوة ولا سلطان له.. فقد انتهت سلطة الصحافة يوم حطمها عبد الناصر.. لقد حطم انيابها واظافرها.. وظهرت الأطراف الصناعية التى هى من إنتاج أجهزة الدولة.. امن الدولة وحزب الدولة ووزارات الدولة واعلانات الدولة. ولا أعرف كيف أرثى من كان حيا، ولايزال وسوف يبقى.. لا اعرف ماذا اقول عن صاحب اكبر قاعدة لاطلاق الاقمار الصحفية والصواريخ الادبية والمراصد النقدية.. كيف أروى حياتى الصحفية.. ومداراتى العالية فى (أخبار اليوم)..



لو.. لو..

فى دراسة عن هتلر للكاتب الالمانى فرن لا ندر يقول:

لو استطاع هتلر أن يضع اصابع قدميه فى فمه وهو صغير، لأنقذت البشرية من الحرب العالمية الثانية!

وهو يقصد بذلك «اعماق اعماق هتلر وآخرين».

ان هتلر الطفل قد حرم من رعاية امه.. وكان يجد كل شيء بعيداً. ولكى يجعله قريبا كان لابد ان يكون عنيفاً. ولو ادرك هتلر اصابع قدميه، ما احتاج إلى عنف ليجعل افواه الناس عند اصابع قدميه بالنار والحديد.

أى أن هذه الأشياء الصغيرة الضارة للاطفال يجب أن تبحث عنها فى البيت عند الأم. ولا أقول عند الأب. فالأب بعيد عن الطفل. عن تربيته وعن حضانته. صحيح أن الأب ضرورى للأم والأبن. ولكن أثر الأم فى الطفل أعمق. فإذا كانت الأم هى التى

ولدت، فالام ايضاً هى التى تقدم العالم كله للطفل.. قدمته قطرة قطرة من ثديها.. تقدمه ابتسامة وهى ترضعه وهى تحتضنه.. وكل تجارب الاطفال تبدأ فى حضن الام. فالطفل الذى يعض ثدى امه ولا يجدها تمنعه أو تحذره يمضى فى العض والضرب والشتم والاعتداء عليها. وعلى الآخرين ايضاً!

ولا اعرف ان كان احد من علماء النفس قد لفت نظره بعنف طوبة جاءته من طفل فى الشارع اثناء مروره.. أو سقط فوق دماغه قرطاس من قشر اللب أو السودانى أو البطيخ.. أو فردة شبشب.. أو تساءل: ولماذا يكسر الاطفال زجاج البيوت والسيارات.. ويخربشون الابواب والنوافذ.. ويحملون معهم امواس الحلاقة ويفتحون بها بطون المقاعد فى دور السينما ووسائل النقل؟!.

لماذا يدوسون على الاشجار.. لماذا يقطفون الازهار وبعد ذلك يسحقونها باقدامهم. لماذا؟

إنها نزعات عدوانية. والانسان هو أكثر الكائنات شاعرية.. فهو محب ولهان، وهو كاره مخترع، فهو الذى اخترع الشعر والغناء وهوالذى اخترع القنابل والمدافع.. وهو الذى ابتدع مشاهد الغرام، وهو الذى اخترع الحروب.

والطفل فى سلوكه اقرب إلى الحيوانات..

ففى عالم الحيوانات نجد هذه النزعات العدوانية على اشدها. لأنها غريزية. فالطيور تزقزق إذااقترب منها حيوان غريب.. والقردة تصيح.. والذئاب تعوى. فما الذى تدافع عنه؟

إنها تدافع عن «منطقة لها» أو ارضها وتكون هذه الأصوات العدائية انذاراً للجميع بان خطراً يقترب.

فبعض الحيوانات تصنع لنفسها حدوداً.. الكلاب تفعل ذلك عندما تتبول في الشارع.

إنها تتبول في المناطق التي اعتادت عليها أو التي تعيش فيها. وتجيء كلاب أخرى وتفعل نفس الشيء.

أي أن هناك اتفاقاً واضحاً بارزاً على أن هذه الحيوانات تسكن منطقة واحدة. وهذه هي الطريقة العملية لارساء حدود لها روائح نافذة إلى انوف الكلاب.

في الريف يصنعون الحواجز والفواصل من مخلفات البهائم ايضاً!

وهناك انواع من الطيور عندما تشعر بالخطر فإنها تنقض على الغريب أو الاجنبي وتسقط عليه برازها!

ربما كان هذا الدفاع الاقليمي من الطيور والحيوانات هو الذي يعطيها فرصة للتكاثر. فهي عندما تدفع الاعداء من أرضها وأوكارها واعشاشها توفر لنفسها الطعام والمأوى.. أي الجو المناسب للتكاثر والاستمرار.

كهف العبقرية

إحدى الأساطير الالمانية تقول ان هناك كهفاً اسمه العبقرية.. ومن حق كل انسان ان يفكر فى الذهاب إليه وفى دخوله. بشرط ان يدفع الثمن.

وكل واحد يدفع ثمناً مختلفاً. لماذا؟ لا يحق لانسان ان يسأل. لأن احدا لا يعرف من الذى وضع قائمة اسعار العبقرية. ولكن عندما يدخل الانسان يجد أنه دون ان يشعر قد دفع الثمن، ذراعه اليمنى وهو رسام عينه أو أذنه أو أنفه.. أو صحته. أو نومه.. أو سعادته.. أو نصف عمره أو أكثر من النصف. هذا هو الشرط.

فالعبقرية لها ثمن. يدفعه العبقرى ويدفعه الناس من حوله ايضا.. وقد صور أديب الأطفال اندرسون هذا المعنى فى قصة كتبها وهو فى الثالثة والسبعين من عمره.. القصة اسمها: الصحوة.. وموضوعها ان رساماً كبيراً فى السن قد التقى بالفتاة الجميلة التى كان قد اتخذها نموذجا للوحاته الفنية.

وعندما التقى بها فى شيخوخته اكتشف كم هى جميلة. وكيف أنه انشغل عنها تماماً وكان فى استطاعته ان يحبها. ولكنه خاف ان يؤدى هذا الحب إلى القضاء على فنه. فلا شىء يقتل الحب إلا الواقع، ولا شىء يقتل جذوة الشوق إلا الجنس.

فقرر ان يظل مشتعلا بتوهج فى لوحاته الفنية، على ان يطفىء كل هذه المعانى الجميلة فى حب لها..

لقد أحب فنه أكثر..

ولكن قرر الاثنان ان يحاولا من جديد وان يصعدا الجبل. حيث تشرق الشمس بينما كانت زوجته فى أحضان عشيق لها.فقد اكتشفت فى سن مبكرة ان الحياة مع العبقرى هى التعاسة المؤكدة، فلم تضيع وقتها!

ويتساءل اندرسون فى نهاية القصة!

كم عدد الناس الذين ضاعوا واضاعوا الحياة، بسبب اخلاصهم؟

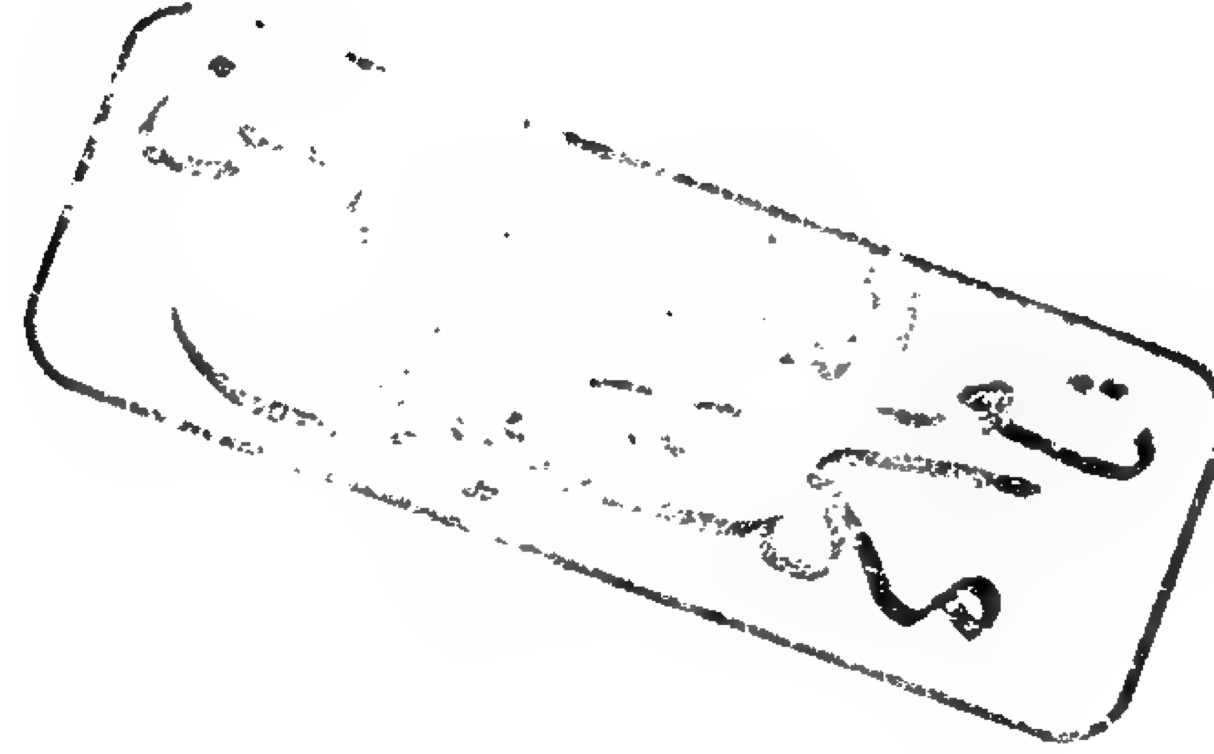
كثيرون جداً هم على استعداد دائم أن يفعلوا ذلك..فالعباقرة لا سلطان لهم على انفسهم.. لكنهم يعيشون ويبدعون ويموتون تبعا لبرنامج لا نعرفه قد اودعه الله فى خلية من خلاياهم.. فما الذى نفعله نحن؟

فقد نفتح الابواب والنوافذ ليدخل الهواء واشعة الشمس.. لا أكثر ولا أقل.. وننتظر العقول الالكترونية فى كل انسان. ان ننشط

وان نعمل وان ننفذ ما جاء فى برنامجها حتى تبلغ عمرها الافتراضى والحقيقى.

المهم أن نقوم بحضانة المواهب وألا ننشغل بصاحبها مبكراً أو متأخراً.

وليس صحيحا أن الديك الفصيح فى البيضة يصيح ولا هو صحيح أنه فى الشيخوخة يصيح.. ولكن من المؤكد ان صاحب الموهبة سوف يصيح.. وان الله لم يخلقه عبثاً.. وانما لوقت ولفائدة ولحكمة بليغة!



فى معامل التحاليل..

ما حكم القانون؟ ما حكم الضمير؟ ما حكم الطب؟ ما حكم الاقتصاد فى هذه القضية الخطيرة جدا على حياة ملايين الناس؟

كثيرا جدا ما يطلب الطبيب من المريض ان يذهب إلى احد معامل التحليل ليقدم عينات من الدم والبول والبراز ـ هذا شىء معروف والطبيب المعالج يطلب انواعا معينة يريد ان يعرف بصمات الميكروب على وظائف الجسم الانسانى وذلك قبل ان يصف له العلاج. هذا يحدث فى كل مكان وكل يوم.

وينتظر المريض والطبيب معا رأى معامل التحليل ومن النادر ان يشك احد فى هذا الذى تبعث به معامل التحليل، فمن عادة هذه المعامل ان تقدم التحاليل على اوراق من نوع خاص وباللغتين اللاتينية والانجليزية.

وتتخلل هاتين اللغتين ارقام بالملايين هى كرات الدم الحمراء والبيضاء.

لا أحد يستطيع ان يناقش، إذا ناقش فلا يستطيع ان يفعل شيئاً إلا إذا ذهب بنفسه وقام بعمل التحاليل نفسها، وهذا ما لم يحدث.

فهذه التحاليل هى البصمات الأكيدة للمجرم الاثيم الميكروب وما يفعله فى جسم الانسان.

ولكن إذا عرفنا أن الكثير جدا من معامل التحاليل تنقصها المواد الأساسية لكى تكون هذه التحاليل دقيقة.. وان الكثير من هذه المعامل تترك اجراء التحاليل للممرضين وان هذه التحاليل اجراءات روتينية تافهة، فهل يستطيع ان يعالج أى مريض، أو أن يضبط هذا المجرم الذى يسرى فى دم المريض إذا كانت التحاليل أو البصمات ليست بصماته؟ هل يستطيع أى ضابط مباحث ان يجرى وراء مجرم بلا بصمات؟ أو له بصمات مزورة؟!

ان طبيبا كبيرا ارسل مريضا إلى معملين للتحليل وكانت النتائج مختلفة تماماً، مع أنه نفس المريض وفى نفس اليوم؟

ان هناك عبثا خطيرا واستهانة لا يمكن ان توصف ولابد من التحقيق فيما يحدث فى معامل التحاليل، وانا أعرف ان هناك شكاوى كثيرة من المرضى.

ان من الواجب الصحى والقومى والاخلاقى النظر فيها وفى غيرها!

رمضان كريم

كل سنة وأنت طيب.. ورمضان كريم والله أكرم. ونحن جميعا نحاول فى هذا الشهر المبارك ان نكون كرماء مع الفقراء والمحتاجين.. وان نكون متسامحين مع غيرنا من الناس، وليست هذه صفات يجب ان تبقى فى الشهر الكريم، وإنما فى بقية الشهور أيضاً.. ولكن فى هذا الشهر نكون أقل اتصالا وارتباطا بالناس، ولذلك فنحن أقل ضررا واقل تعصبا ايضاً. فقد لا نخطىء كثيراً، ولكننا فى نفس الوقت لا نفيد احدا ايضا، لاننا نتفادى الناس بعدم التعامل معهم أو بالنوم.

وأنا شخصيا وليست لى مشكلة فى شهر رمضان.. لاسباب تتعلق بأسلوبى فى الحياة والعمل، فأنا لا أشعر بأى نوع من العطش أو الجوع فى رمضان. لأننى امشى على نظام واحد طول عمرى، فأنا اصحو فى الرابعة صباحا قبل الفجر بساعة. واشرب الشاى والقهوة وابدأ فى العمل ـ قراءة وكتابة حتى العاشرة والنصف صباحا، وبعد

ذلك امارس نشاطى الاجتماعى: لقاءات واجتماعات. ولا اشرب نقطة ماء اثناء النهار.

واعود إلى البيت بعد ذلك لاتناول الغداء.. ويكون ذلك فى حوالى الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة.. أى قبل مدفع الافطار بساعة واحدة. فإن لم استطع ان اغمض عينى ففى امكانى ان اتفرج على عشرات من القنوات التليفزيونية.

ولا يكون مدفع الافطار مفاجأة لى.. فمثل هذه القنوات التى تنقل إليك الدنيا كلها، قادرة على ان تجعلك تنسى الافطار والسحور معا.

ولكن المساكين هم الذين اعتادوا على القهوة والشاى والسيجارة طوال اليوم، وان لم يذوقوا طعاما.. فهذا الكيف أو الكيوف هى التى تنكد على الصائم حياته. ومن أجل ذلك كان الواحد منهم إذا فقد اعصابه أو راح يغلط فى القول فإنه يفرمل نفسه ويقول: اللهم انى صائم.

ومعناها: أنه لا شيء يمنعنى عن أن يدى حول رقبتك إلا الصيام فأتركنى الآن.. والا فقدنا صيامنا نحن الاثنين.. أو حياتنا.

وبعض الناس ينتهز فرصة الصيام ويكمل ما بدأه مع أول العام، وهو الا يعمل ولا يؤدى أى واجب وإنما يقف على الحياد متفرجا على الناس داخلين خارجين مطالبين شاكين.. وينظر إليهم ولا يعمل أى شيء.. لانه صائم دايخ وان الشرر يخرج من عينيه.. أنه يريد سيجارة أو فنجان قهوة.. وهو فى نفس الوقت لا يريد ان يتخانق

مع الناس.. مع انهم على حق وهو كذاب كسول. وهذه اللامبالاة لا علاقة لها بالدين.

تسألنى كيف استطعت ذلك؟

والجواب: ليس معجزة، وإنما هى عادات استقرت. ولا اجد سببا لتغييرها، فقد استرحت إلى هذه اليقظة المبكرة وشرب الشاى والقهوة مرة واحدة فى الصباح.. ومن النادر ان اشرب شايا أو قهوة أو ماء طوال اليوم. لأن القهوة والشاى ملازمان للقراءة والكتابة وأنا لا اقرأ ولا اكتب طوال حياتى إلا فى الساعات الصغيرة من الصباح.

هذا كل ما هناك، ورمضان كريم.



ممنوع عندهم!

نظرة إلى الذين يقودون السيارات.. أن حكايتهم حكاية. فهناك سائق عصبى جدا لا يرفع يده عن الكلاكس.. وسائق لا يضع يده على الكلاكس.. ولا يعرف إن كان نائما أو مسطولا أو مغمى عليه.. والحقيقة أن الكثيرين منهم مشغولون فى الحديث مع الذين معهم فى السيارة.. ولذلك لا يلتفتون إلى العربات وراءهم أو أمامهم.. فإذا أنت نبهتهم إلى ذلك تضايقوا وغضبوا وقد يفتحون الفرصة نافذة السيارة ويقذفونك بكلمات مش هيه! أو ينتهزون هذه الفرصة ويفتحون النافذة ويلقون بمناديل الورق أو يبصقون مع أنك لم تفعل شيئا يستحق هذا الرد ـ أنت نبهت فقط!

أو يكون السائق شابا أو شابة وترفع الكاسيت على الآخر.. ويتابع عمرو دياب أو مايكل جاكسون بالرقص.. ولا يدرى أن كان فى البيت أو فى سيارةواقفة أو تمشى وسط مئات السيارات.. إنه ليس هنا ولا أنت هناك!

وهناك أطفال صغار يقودون السيارات الكبيرة! فإذا استوقفهم عسكرى المرور ـ ومن النادر أن يفعل ذلك ـ كان الرد التقليدى: أنت مش عارف أنا ابن مين؟ الخ..

وهناك سائق التاكسى الذى يلزم الجانب الأيسر من الشارع دائما وفجأة يتذكر أنه من الضرورى أن يتجه إلى اليمين فإذا به يخترق ويصادم ويعطل المرور كله لكى يتجه إلى اليمين من أقصى اليسار أو العكس!

ومعظم السائقين يفضلون الجانب الأيسر من الشارع.. لماذا؟ لأننا عادة نستخدم اليد اليمنى ونرتكز إلى الذراع اليسرى.. أثناء القراءة والكتابة والعمل باليد اليمنى.. وكذلك السائق (يركن) على الشباك بذارعه الأيسر ويستريح تماما.. ثم إنه بذلك لا يضايقه وجود سيارة إلى يساره ولو حاولت أن تنبه السائق إلى ذلك، فلن يغير من سلوكه لأنك أنت أيضاً تفعل ذلك. ولأن الناس عادة متطرفون: أقصى اليمين أو أقصى اليسار.. والمعتدلون فى وسط الشارع قليلون..

فى بريطانيا ممنوع أن يجلس أحد إلى جوار سائق التاكسى.. ولذلك يتركون المقعد الذى إلى جواره خاليا حتى لا ينشغل بأى أحد أو أى شىء عن النظر أمامه.. أما نحن فهناك واحد جالس دائما إلى جوار سائق التاكسى: صاحبه ـ أى صاحب التاكسى أو صاحب السائق أو صاحبته.. والكلام بينهما طول الوقت!

ولا أحد يحاسب سائق التاكسى على رائحة البنزين التى تخرج من السيارة.. ولا على الباب الذى لا ينفتح.. وهو فقط الذى ينزل ويفتحه لك.. هل سرقوا منه «الاكرة» أو هل هو الذى ازالها حتى لايهرب الزبون.. لا أجابة عند أحد.. ولاعقوبة على ذلك..

ثم انظر إلى رقم السيارة سوف تجد أن الارقام ليست واضحة حتى إن أخطأ عجز عسكرى المرور عن التقاط النمرة.. وأما شاكمان السيارة فينبعث منه دخان يضاف إلى السحب السوداءفوق شوارع ونوافذ وأسطح القاهرة والجيزة ـ ولا عقاب له من أى أحد!

والكاوتش ممسوح ينزلق ولا تربطه الفرامل ـ ولاعقاب!



زحمة يا دنيا!

تعال إلى الشارع.. أى شارع فى أى مكان فى أى مدينة.. هذا الشارع فى غاية القلق. فأحيانا هو شارع.. وأحيانا هو ترعة.. وأحيانا هو حقل ألغام.. وأحيانا تقطعه بالعرض.. وأحيانا تقطعه بالطول.. وأحيانا تصل إلى نهايته فتجد ما يدل على أنه لابد من الرجوع والاتجاه إلى شارع آخر لأن هناك (اصلاحات).

هذه هى الكلمة التى أبحث عنها ما هى هذه الإصلاحات إنها إعادة مد الأسلاك الكهربية.. ولكى يمدوها لابد من الحفر.. أى تحطيم الأسفلت وإزالته والوصول إلى مكان عميق فى الأرض لوضع أسلاك الكهرباء.. وبعد مد الأسلاك نردم الشارع الذى ضاع منه الأسفلت.. وتمضى أيام قليلة ويعاد فتح بطن الشارع بسبب أنابيب المياه.. وبعد ذلك يردم الشارع.. ثم يعاد شق جوفه من أجل أسلاك التليفونات..

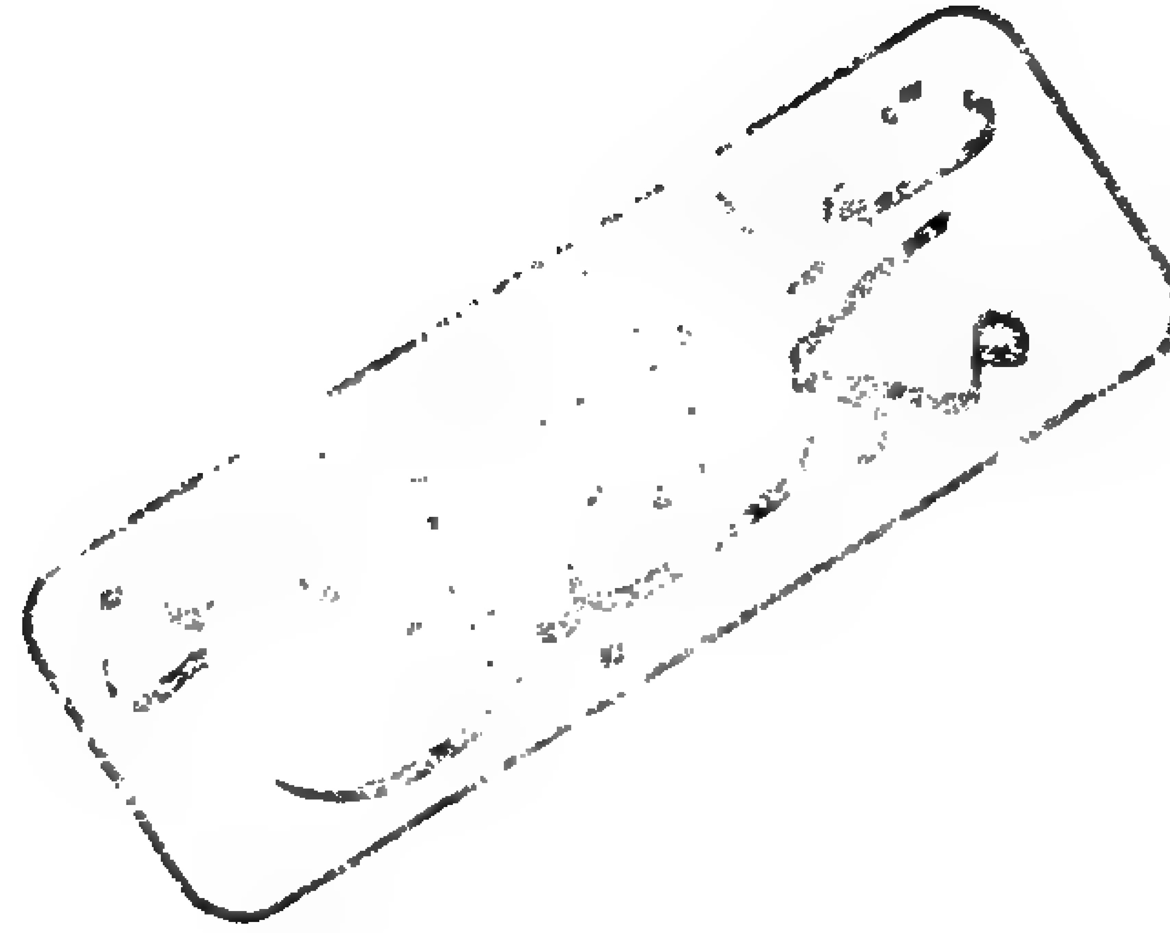
وفجأة تظهر مياه من تحت الأرض. ماذا جرى؟ إن أنابيب الصرف الصحى قد انفجرت.. فقد نسى العمال اغلاقها.. وتفجرت المياه القذرة والروائح.. ولابد من فتح الشارع وردمه..

فى زحمة العمل المتواصل ينسى العمال.. عمال المياه أو الكهرباء أو التليفونات. ان يضعوا تحذيرا مضيئا أو من ثلاثة قوالب طوب معناها: احترس هنا حفر.. أى لا داعى للمضى فى الشارع.. يستحسن أن تعود.. وتكون السيارات قد اتخذت صفا طويلا، فترجع إلى الوراء ويتعطل المرور فى ثلاثة شوارع متجاورة ومتقاطعة.. ويتوقف المرور فى مكان آخر فى أطراف القاهرة. وقد تؤدى مجارى الجيزة إلى موت سيدة وابنتها وكلبها عند مدخل شبرا!

من المسئول؟ ما اسم الهيئة؟ ما اسم صاحب القرار أصحاب القرار؟ هذه قضية لم نحسمها حتى الآن. ولن تحسم الآن.. وإذا رأيت حفرا فى الشوارع: ولم يكن عمال الحفر والتنقيب تابعين لهيئة الآثار وليسوا تابعين للمياه أو الكهرباء أو المواصلات، فمن المؤكد أنهم مواطنون عاديون يبحثون عن الذين أصدروا هذه القرارات.. أخلع الجاكتة والبنطلون وأبحث معهم.. واحتفظ بحذائك.. فسوف تحتاج إليه فيما بعد!

أما هذه الفتحات فى الأرض والتى تراها نهارا، ولا تراها ليلا.. فهى بالوعات.. وهذه البالوعات اختفت أغطيتها الحديدية.. لقد سرقها أولاد الحلال لبيعها فى باب الحديد والسبتية.. ولا يهم من يسقط ولا يطلع ومن يكاد يسقط فيها..

أما الذى تنشره الصحف بعد ذلك من شتيمة للصوص أو تجريح لأصحاب القرار فلا قيمة له.. فأصحاب القرار لا تهزهم ما تكتبه الصحافة، واللصوص ليس عندهم وقت لقراءة الصحف!



بلا أرصفة!

أين يمشى المشاة.. مدينة القاهرة هى المدينة الكبرى التى ليست بها ارصفة.. وكلما زادت حركة المرور ـ مرور السيارات أو تعطلت فإنهم يوسعون الشارع باقتطاع مسافة من الرصيف.. وفى استطاعتك أن تعيد النظر إلى كل شوارع القاهرة والجيزة. سوف تجد ان الناس يتخبطون على الارصفة.. ومن العجيب ان يصدر وزير الداخلية فى مصر قرارا بمعاقبة الذين يمشون فى الشارع.. وتنشر الصحف ذلك، وكعادة الصحف فإنها تطبل وتزمر لاية عقوبة على المشاة والحفاة. وهذا الطبل والزمر يفضح الصحفيين.. فهم يطبلون لأن الطبل والزمر مهنة صحفية قديمة، منذ الحكومات الشمولية من أيام جدنا الأكبر رمسيس واخناتون وبيبى وحتى عبد الناصر. ويفضح الصحفيون انفسهم لأنهم نسوا أنهم من الشعب ولم تكن لهم سيارات قبل ذلك.. فهم كارهون للحالة التى كانوا عليها، وكارهون لمن يذكرهم بها.. ولا أحد يذكرهم بذلك إلا المشاة والحفاة..

وكان منظرا مهينا ان تجد رجل المرور وفى يده دفترا صغيرا لتحصيل المخالفات من المشاة فى الشارع... وبسرعة اختفى هذا الاسلوب. لسبب بسيط فقد خجلنا من انفسنا عندما تساءلنا: نحن لا نريد احدا ان يمشى فى الشارع فأين اذن؟ الجواب: على الرصيف. والسؤال: واين الرصيف والجواب: لا رصيف.. فكيف نمشى على الحائط.. مثل الصرصار والبورص. لقد اختفت الدفاتر بنفس سرعة اختفاء الارصفة. واصبحت مدينة القاهرة هى مدينة السيرك القومى.. فكل الناس اراجوزات يمشون على الحبال التى اشتهرت باسم آخر هو الارصفة!

وبدلا من ان يقال اننا اخطأنا فى تضييق الأرصفة وتوسيع الشوارع.. توسيعها على السيارات وتضييقها على المشاة قلنا: ان اعباء الحياة قاسية، فكيف نعاقب الناس على انهم يمشون فى الشارع. ليس هذا هو السبب. فنحن لم نلغ هذه العقوبة من باب الرحمة، ولكن من باب الكسوف وانعدام المنطق..

ولذلك طلبنا من الناس، أو لم نطلب، ان يمشوا على كيفهم.. على الأرصفة أو بين السيارات أو فوق السيارات..

وليس غريبا ان تجد من يضع فى جيبه مسمارا، فإذا مر على موقف سيارات اخرج المسمار ومزق به ابواب هذه السيارات.. ليس فقط حقدا على اصحابها، وإنما انتقاما من سد كل الشوارع امامه.. فلا يعرف ماذا يفعل!

والمشى على الرصيف ليس سهلا ناعما. فالرصيف مليء بالمطبات.. وبحيرات الماء والزبالة والباعة ايضاً.. وكأن الباعة يريدون ان يقضوا على المشاة بأن يطردوهم إلى ما تحت السيارات. لماذا؟ لأن الناس يمشون ولا يشترون.. ونحن أمام صورة بشعة: المشاة يلعنون السيارات وأصحابها.. والباعة يلعنون المشاة.، والمشاة يلعنون الباعة الذين احتلوا الرصيف..واصبح المشى بين السيارات مغامرة يومية..

والشارع: داخله مفقود، وخارجه مولود!



من هو المنادى؟

ولابد أن تقف السيارات فى الشارع.. على جانب أوعلى الجانبين.. صفا واحدا أو صفين.. هذه مسألة يمكن تقديرها أو تدبيرها من (المنادى) ورجل المرور.. والمنادى كله نظر.. أى يجب أن يفتح مخه مع عسكرى المرور ويدفع له قرشين كل يوم. ولا يهم ماذا يحدث فى الشارع.. فإذا ازدحم شارع سليمان باشا توقف المرور على كوبرى 6 أكتوبر أو كوبرى الجامعة.. فكلها تصب فى بعضها البعض.. ويكون التوقف التام مثل (جلطة الدم) فى الشعيرات الدموية.

يعنى إيه؟ لا داعى للبحث عن معنى الآن.. سوف تعرف ذلك أولا بأول فيما بعد.. معناه أن الشارع ليس مرفقا عاما وإنما جانب منه مرفق عام، وجانب منه وهو الأكبر يشرف عليه ويديره أحد (المنادين)..

وقد سمعت هذه الحكاية من الكاتب الكبير إبراهيم سعدة. زوجته سيدة سويسرية. وفى أيامها الأولى فى القاهرة رأت شيئا غريبا. لم يفلح هو ولا أصحابه الذين كانوا معه أن يقنعوا السيدة حرمه. فقد لاحظت أن واحدا يدفع مبلغا من المال للمنادى. فسألت عن معنى المنادى فقيل لها: إنه حارس للسيارة.

سألت: يحرسها ممن؟

ـ من الناس.

ـ يعنى إيه؟

ـ يعنى حتى لا يسرقها أحد..

ـ ولماذا يسرقونها؟!

ـ يجوز أن يسرقها أحد..

ـ ولكن لماذا؟

فتطوع واحد وقال لها: إن هذا الرجل مكلف من الدولة بتنظيم وقوف السيارات.

ـ هوه ينظم الوقوف.. والناس لا يعرفون ذلك؟

ـ بعض الناس.

ـ لايعرفون كيف ينظمون الوقوف؟!

فتغامز الأصحاب وتهامسوا ولم يعرفوا ماذا يقولون. فقال واحد كأنه يريد أن ينهى هذه المناقشة التى لم تخطر على بال: أن هذا الرجل قد استأجر الشارع..

ـ معقول ؟!

لم تفهم السيدة السويسرية معنى أن يكون هناك واحد اسمه المنادى، لأنه لا يوجد عندها هى سبب واحد لحراسة السيارة.. طبعا لم يخطر على بالها أن أحدا يسرق السيارات التى تراها تنام فى الشوارع السويسرية فلا يقترب منها أحد.. وراح كل واحد منا يحكى حكاية.. أنا قلت إننى نسيت الكاميرا على دكة حول (بحيرة ليمان) فى جنيف.. وفى اليوم التالى وجدتها عندى فى اللوكاندة.. وعشرات من حالات الأمانة النموذجية..

وحكيت أننى قد دعيت إلى عشاء فى أحد أحياء القاهرة، وفوجئت بطفل قفز لا أعرف من أين ووقف إلى جوار السيارة فقلت:أه هذا هو الذى سوف يخلع طاسات السيارة ويبيعها..

فاقتربت منه وقلت له: أنت واد جدع.. آدى خمسة جنيه.. تنام جنب السيارة وعندما أراك ثانية سوف أعطيك خمسة جنيهات أخرى..

وعندما عدت وجدته نائما إلى جوارها.. واعطيته ما وعدته به.. وانقذت أربع طاسات ثمنها بمئات الجنيهات.. هل هذا معقول؟ نعم هذا هو المعقول.



غرباء..

سوف نمضى فى طرح هذا السؤال بأشكال مختلفة حتى نهاية هذا القرن والقرن الذى يليه لأن هذا السؤال سوف يبقى على رقاب العباد متجددا ما تجدد الشباب أو ما تجدد المجتمع أو ما ظهرت فوارق بين جيل وجيل بين الاب وبين الابن وبين البنت وبين امها فهذه الفوارق بين الاجيال هى مصدر قلق وتعب كل الناس وعندما نتحدث عن مشاكل الشباب فلا أحد يتحدث عن مشاكله اليوم أو غدا أو الأمس أو السنوات العشر أو العشرين أو الاربعين وإنما مشاكل الشباب واحدة فى كل العصور من أيام ابن نوح عليه السلام حتى ابن حضرتك الآن.

ايه المشكلة ان الشباب عنده احساس بأنه غريب فى بيته فى مدرسته فى المدينة فى البلد وعن الساسة وعن رجال الدين وأنه مهضوم الحق. ولذلك فهو يؤكد ذاته فى مواجهة الآخرين ويؤكد أنه لم يحصل على حقه ولذلك لابد ان يقاتل وان يسىء الظن

بالناس، هذه المعركة لا تنتهى واساسها أيضا أن الشباب أى شاب وقد كنا شباباً ونسينا ماذا كنا عليه، أى شاب يريد الكثير ولا يقدر إلا على القليل احلامه طويلة عريضة وذراعه مثل ساقه قصيرة فهذا الصراع بين ما يريد وبين ما يستطيع هو أساس كل المشكلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية عند الشبان احفاد اليوم آباء الغد اجداد المستقبل.. والكلام فى هذا الموضوع لم ينته ولن ينتهى وسوف يتناوله الباحثون بأشكال مختلفة وسوف يصلون إلى نتائج متضاربة ولكن المشكلة قائمة والحل مطلوب..

وقد رأيت أخيرا فيلما اسمه «ديسكو ديسكو» من تأليف عبد الحى اديب واخراج ايناس الدغيدى وبطولة نجلاء فتحى وشريف منير ومحمود حميدة وعدد من الشبان الذين سوف يكون لهم مستقبل هذا الفيلم هو تجسيد لأحد معانى الفن. فالفن معناه أنه تكثيف للواقع أى ما يحدث فى عشرات السنين يجعله الفيلم فى ساعة وما يحدث لمئات الناس يجعله الفيلم فى عشرة اشخاص فهو تكثيف للزمان وتكثيف للمكان وقد نجح هذا الفيلم فى لم شمل الاسباب المبعثرة الكثيرة لما نراه من قلق وانحلال عند الشبان فى المدرسة وفى البيت الممزق وبين الأباء الذين يهملون الابناء والذين يدللونهم ونتائج ذلك النفسية والمادية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية.

كل ذلك افلح هذا الفيلم فى أن يجمعه فى نسيج قوى متين فأنت عندما تشاهد هذا الفيلم لا تجد منظرا لا ضرورة له أو عبارة لا

معنى لها. وإنما كل شيء مركز محكم مربوط ربطا منطقيا فقد تعرض هذا الفيلم لأثر السياسة فى الدين والدين فى المجتمع والمجتمع فى المدرسة والمدرسة فى البيت والبيت فى الشارع وانتقل من الدراسة ومن الموسيقى إلى المخدرات إلى الهوس الدينى كل ذلك تجده فى هذا الفيلم الذى هو عمل فنى من الدرجة الأولى.

نصيحتى ان ترى هذا الفيلم ان كنت ابنا أو أبا أو مدرسا أو رجل دين أو مصلحا أو مشتغلا بمستقبل مصر!

بنات الامازون

في الأساطير اليونانية حكاية عن المرأة الأمازون أو نساء الأمازون أو الأمازونات وهي كلمة يونانية بمعنى التي قطعت ثديها ويقال إنه في وقت من الأوقات عاشت نساء مقاتلات شرسات ولكي تتمكن من تثبيت القوس على صدرها فإنها نزعت أحد ثدييها ويقال إن الامازونات مجتمع نسائي قرر أن يعيش بعيدا عن الرجل وفي غير حاجة إليه وإن كانت لهن علاقة بالرجال فهي تحمل وتلد فإذا ولدت طفل فليس لديها لبن ترضعه ولذلك إما أن تلقي به في النهر أو تبعث به إلى أبيه.

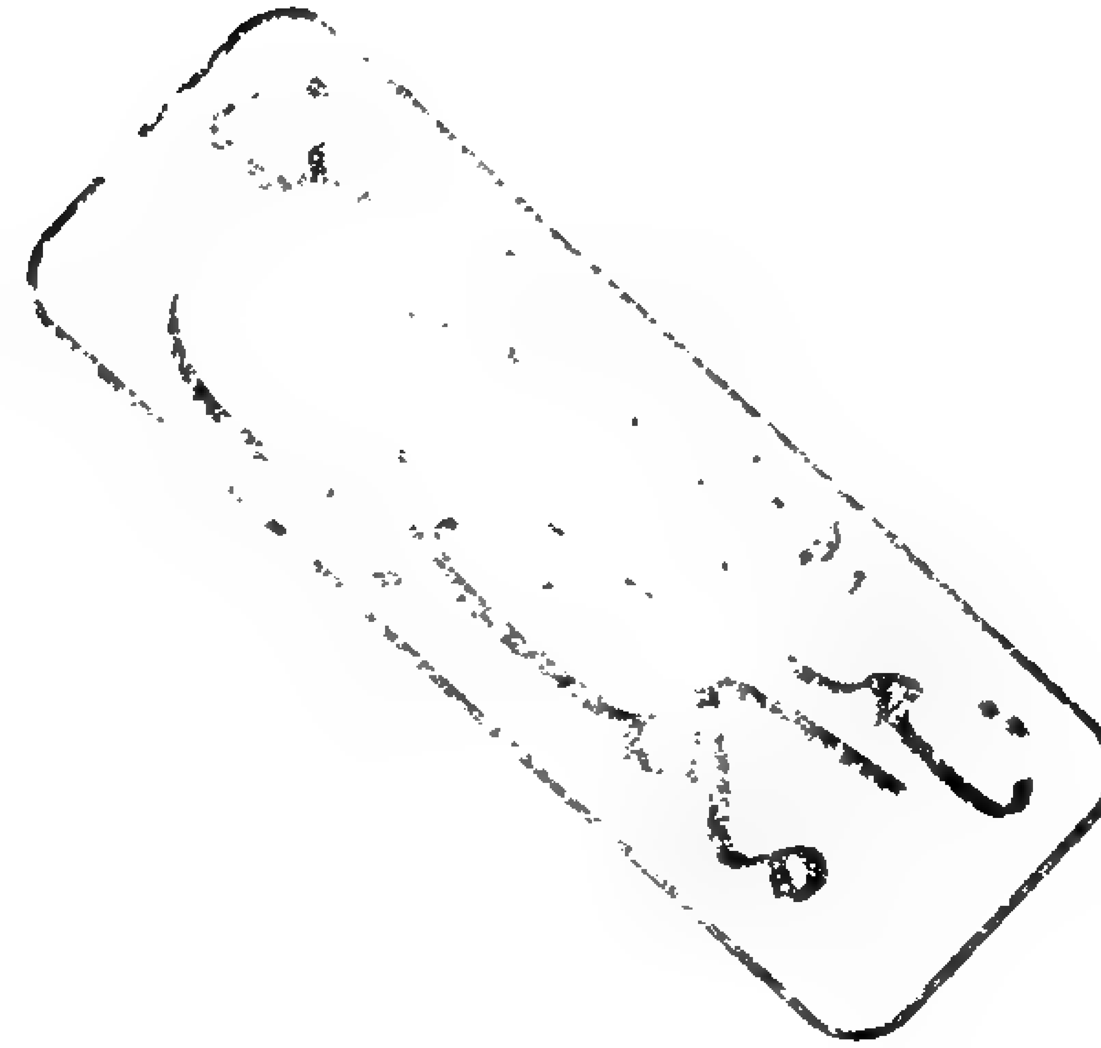
ولكن لم يثبت تاريخيا وجود مثل هذه النوعية من النساء ويقال إن الاسبان عندما اكتشفوا أمريكا الجنوبية اطلقوا على أكبر انهارها اسم نهر الامازون والسبب انهم وجدوا نساء شرسات مقاتلات يشبهن المرأة التي جاءت في الأساطير اليونانية.

ومن خمس سنوات فقط عثرت باحثة أمريكية على مقبرة جماعية فى سيبيريا المقبرة بها سبعون امرأة ومعهن اسلحة والاسلحة عليها بقايا دم أى أنهن مجموعة من المقاتلات إما قتلن معا أو انتحرن معا أى فى جنوب سيبيريا قد عاش عدد من هذا النوع من النساء الشرسات.

وليس من قبيل الصدفة أن تكون المقبرة فى سيبيريا فقد عاشت المرأة الروسية أكثر من سبعين عاما كأنها امرأة الامازون صحيح لم تقطع ثدييها لتثبيت القوس وإنما ابقت على ثدييها وحملت المنجل والمطرقة والمكنسة وراحت تقوم بأعمال عنيفة فى المجتمع الروسى عاشت حياةقاسية تذيب الجليد والحديد والمعنى أنه المرأة سواء كانت اسطورية أوحديثة فى لحاقها بالرجل وفى صراعها ضده ضحت بالكثير من معالمها كامرأة أو من راحتها كام أو كزوجة من أجل أن تقف إلى جوار الرجل معه وضده املاً فى ان تتفوق عليه أو أن تحصل على حقوقها التى استولى عليها الرجل مئات السنين.

. وفى هذا العام نشرت الصحف الأمريكية قصة العالم الامريكى اكلارك جود الذى تزوج امرأة من نهر الامازون امرأة بدائية انجب منها ثلاثة من الأولاد فنحن أمام قصة رجل من عصر الفضاء تزوج امرأة من العصر الحجرى ولم يفلح طوال خمسة عشر عاما أن يقنع زوجته بالبقاء فى المجتمع الأمريكى فهى لم تتوافق مع أى عادة من العادات فعندما تنام تضع السهام تحت المخدة وعندما تركب السيارة تعتقد أن السيارة ليست إلا حشرة ضخمة لها عيون بارزة تنتقل من

مكان إلى مكان ولم تتوافق لا فى الأكل ولا فى الشرب ولا فى النوم ولا عرفت كلمة انجليزية واحدة وأخيرا عندما كبر الأولاد قررت الزوجة أن تعود إلى نهر الأمازون وعادت ولم يعد الزوج يعلم عنها أى شيء إلا أنها تزوجت رجلا آخر وانجبت أولاداً.. ولا يمكن أن تعود إلى أولادها ولا تذكرهم فإن لم تكن كلمة الامازون لها مدلول حقيقى فلا شك أن المرأة الحديثة ومنذ الثورة الصناعية وهى تحاول أن تكون لها صلابة بنات الامازون وقوتهن أو لها من الصلابة والشراسة والأصرار على المساواة العنيفة بالرجل مهما كلفها ذلك من فقدان لبعض أعضاء جسمها أو علاقاتها الاجتماعية وضعف الأسرة وبين الأولاد!



الاطفال اليتامى

فى العصر الذى يعمل فيه الرجل والمرأة، وفى لحظات الحظ يولد الأطفال، ليس هناك وقت كثير لتربية الاطفال. وقد يظهر فى البيت اكثر من خادم وخادمة، ولكن الاب ليس هناك، والأم مشغولة بالبحث عن الأب أو عن بديل عن الأب.. أو شعور بالقرف من كل شيء اشتركت فى انتاجه مع الأب..

والمجتمع الأمريكى احسن نموذج لذلك، فالاطفال يفتقدون الأبوة والأمومة. ولذلك يهربون من البيت. وينشغلون مع الأولاد والبنات من سن واحدة لتكوين اسرة جديدة. يقوم فيها الابن بدور الأب، فيعطى لابنه الصغير ما افتقد، أو يقوم فيها الزوج الشاب بدور الأب لزوجته الشابة، وتقوم هى بدور الأم له.. انهم يحاولون ان يعوضوا هذا النقص الهائل فى الموارد الطبيعية لقلبى الأب والأم معاً..

وليست اساليب الهروب المختلفة فى أوروبا إلا محاولة للعثور على الحنان خارج البيت..

وليست هذه المخدرات إلا وسائل كيميائية لابتكار جنات مزيفة.. فالولد الذى لم يجد الجنة فى بيته، فإنه يبحث عنها خارج البيت، وإذا لم يجدها فى زوجته، فإنه لا يكف بحثا عنها.. حتى يجدها أو يموت وهو يحلم بها..

والذى يقرأ لشعراء شباب الهيبيز أو الأدباء الصاخبين فى امريكا، والأدباء الساخطين فى أوروبا فإنه يجد طريقا واحدا وهدفا واحدا: اين الجنة واين بابها؟

ولن تعود المرأة إلى البيت. ولذلك سوف تحاول أن تكون أما. وفى نفس الوقت سوف تعجز عن القيام بدور الحضانة أو بدور الحنان ـ والحنان هو الحرارة الطبيعية التى ينضج فيها الطفل. ولا يغنى الطفل عن امه ألف مربية والف زجاج لبن وألف لعبة ومليون قبلة من مئات الشفاة!!

ولذلك سوف تكون هناك أمهات دائما، وسوف تكون الأمهات محرومات من الأمومة ومحرومات من الطفل!

كلها سنوات!

أنهار الاتحاد السوفيتي. ولكن جمهورية روسيا وهى الدولة الام لاتزال قوية. قوية جدا. ففيها علماء وجنود وثروات طبيعية تحت الأرض وأكبر احتياطى الغاز والبترول والذهب والفضة وكثير من المعادن الأخرى. وبها عشرات الالوف من علماء الذرة والفضاء.. ولاتزال متفوقة على امريكا فى علوم الفضاء. ولكن امريكا اقدر على تطوير نظرياتها العلمية. ولايزال رواد الفضاء الروس اسبق من الامريكان.. ثم انهم يدربونهم الآن فى المحطة المدارية.. كما ان امريكا حصلت على معلومات جاهزة.. واشترت عددا كبيرا من العلماء الذين يريدون مواصلة البحث فى امريكا الغنية بعد ان انشغل الروس بالطعام لكل فم.

ولذلك يجب ألا نستخف بروسيا وقدرتها الهائلة على العودة إلى المسرح السياسى قوية.. ولكن بصورة أخرى.. بصورة اشتراكية.. رأسمالية معدلة. ولكنها سوف تكون دولة كبرى.. عظمى.. فالدولة

العظمى الآن الوحيدة هى امريكا. اما الصين وفرنسا وبريطانيا فدول كبرى. وكذلك المانيا واليابان. ولكن روسيا فى عشر سنوات سوف تكون اقوى وسوف تزداد روابطها مع الدول التى استقلت عنها سياسيا، ولكن سوف تترابط اقتصاديا وتكون قوة تقف امام اوروبا وأمام امريكا وامام اليابان والصين.. فلا يزال فى جيب التاريخ حيل والعاب كثيرة..

ومنذ أيام اكتشف العلماء شيئا جديداً. اكتشفوا أن جمهورية فى مساحة فرنسا اسمها ياكوتيا. هذه الجمهورية القطبية الجليدية لاتزال كنزا لكثير من الحيوانات التى انقرضت فى العالم وكذلك لعدد هائل من الحشرات والطيور والفراشات والاسماك. فبعض هذه الحيوانات يرجع إلى ملايين السنين. هذه الحيوانات لم تنقرض وإنما احتفظ بها الجليد بعيدا عن سهام ورصاص الصيادين. وقد تعهد رئيس جمهورية ياكوتيا ان يزداد حماية لهذه البيئة الفريدة فى العالم..

صحيح أن هذه الجمهورية لم تسلم من تلوث البيئة الوافدة إليها من المصانع الروسية.. ثم إن الروس قد اجروا تحت ارضها 12 تجربة نووية. ولابد ان تكون المخلفات النووية والاشعاعات المميتة قد امتصتها الارض وانتقلت بها إلى الجليد.. إلى النباتات والحيوانات وبعض الناس. ولكن هذه الانفجارات قد تمت من عشرات السنين..

ومن عجائب المخلوقات فى هذه الجمهورية حصان اسمه (سخا) هذا الحصان يبحث عن طعامه تحت الجليد.. وهذا الحيوان ليس له

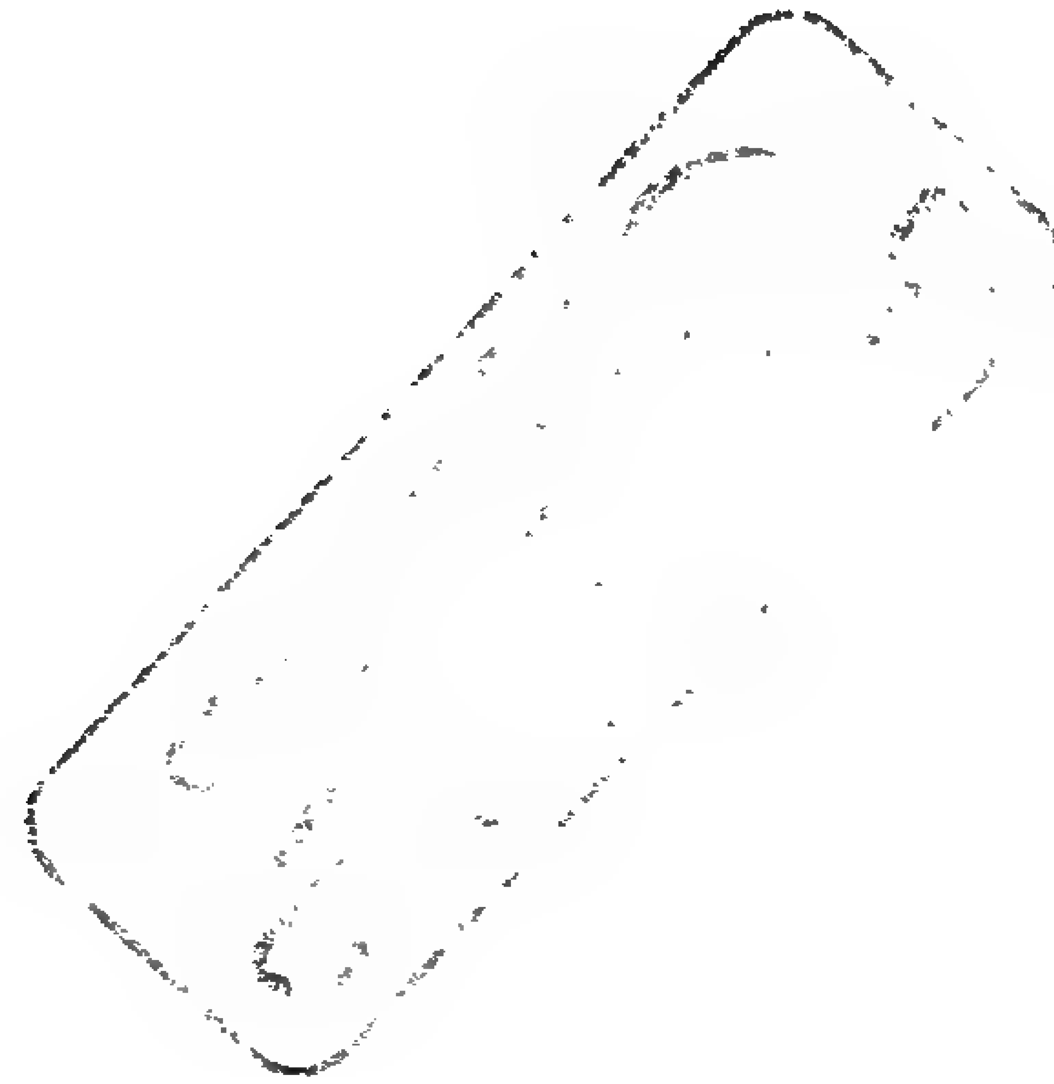
نظير فى أى مكان فى العالم. وإنما عاش على هذه الارض من ملايين السنين!

وفى جمهورية ياكوتيا 99٪ من مناجم الماس فى الاتحاد السوفييتى السابق يسمون هذه الجمهورية الغنية بالماس المملكة العربية السعودية.. وبذلك فهى تعتبر اغنى الجمهوريات لوجود أكبر احتياطى ماس فى اوروبا كلها فيها.. وهذا الماس لا يعود بشىء على سكان الجمهورية وإنما كله يذهب إلى موسكو.. والآن يذهب إلى العصابات الجديدة فى روسيا والعالم..

وقد ذهب عدد من علماء البيئة إلى هذه الجمهورية. وقد كتب العالم الامريكى وليام اوكترى عن هذه الجمهورية: أنها متحف تاريخى نادر. فإذا نظرت إلى النباتات فأنت تعيش على هذه الارض من ملايين السنين.. والطيور لم يرها لا ابونا ادم ولا السيد المسيح.. بل إنها كانت قبل ان تظهر حيوانات لتأكل ثمارها واوراقها.. أما بعض الذئاب والثعالب والدببة فى هذه الجمهورية فلم يرها أحد من قبل.. ولحسن حظ هذه الحيوانات ذات الفراء، أن أحد لم يلتقط لها صورا.. وإلا تكدست الاموال لصيدها ولفها حول اعناق النساء فى العالم!

وقد كتب ايضاً عندما استعرض أنواعاً كثيرة من الاسماك.. فقد وجد العالم الامريكى أن هناك اسماكا لها اجنحة أو لها ريش.. أى أنها فى المرحلة الانتقالية من الاسماك إلى الطيور.. وهذا النوع من الاسماك لم يره أحد..

أن جمهورية ياكوتيا هدية جديدة من القطب الشمالى إلى سكان الكرة الارضية التى تلوثت مياهها وهواؤها وطعامها حتى صارت الكرة الارضية قبرا يدور حول نفسه وحول الشمس!



أين الشيطان..

عند تطهير قناة السويس سنة 1975 كانت هناك حاملة الطائرات الامريكية أوجينا ذهبنا إليها نتفرج على هذه القطعة الامريكية العائمة وعرفنا أن الاسطول الأمريكى كله ممنوع فيه شرب الخمر ولذلك يجب ان يتركوا حاملة الطائرات إلى الشاطىء ليشربوا البيرة فى المطاعم والمقاهى المصرية. ورأينا فى غرف البحارة صورا عارية لجميع الممثلات والراقصات والمغنيات واندهشت فالتفت لى أحد كبار الضباط قائلا: ما الذى تتوقعه من شاب يعيش فى البحر لا يرى ولا يسمع ولا يشرب الخمر ما الذى تتوقعه من إناس فى غاية الصحة والعافية ومحرومون من أشياء كثيرة.

هذا بالضبط ما يحدث فى غرف كثير من الشبان والشابات فى كل مجتمعات الدنيا بما فيها المجتمع المصرى. اذهب إلى غرفة أى شاب فى أى اسرة متوسطة الحال وانظر إلى الصور على الجدران ستجدها نفس الصور: اشهر المطربين اشهر المغنيات ستجد صور

عبدالحليم وعمرو دياب ومايكل جاكسون وكثير من الراقصات والممثلات. ومن الممكن أن تجد المصحف أو الانجيل وسجادة على الارض. ما المعنى؟ المعنى ان صاحب أو صاحبة هذه الغرفة رغم حبه للموسيقى والغناء والطرب فإنه يصلى ويقرأ فى الكتاب المقدس ولا يعبد ما نسميه الشيطان، اذهب إلى المطاعم الليلية ولا اريد أن اذكر اسماء وأنا اعرف عددا كبيرا منها سوف تجد الشبان يرقصون ويغنون والذين يستنكرون ذلك قد نسوا انهم يوما ما كانوا شبانا وكانوا يفعلون ذلك ايضاً.. ولا خطر ولا ضرر.. فقط يظهر الضرر عندما تتحول هذه السهرات إلى ارهاق للجسم والعقل بطرق غير صحية بالاسراف فى الخمر أو فى المخدرات أو السهر أو الانصراف عن الدراسة أو عن العمل وعلى الرغم من الاضرار التى تحيط بالشباب وبالاسرة وبالمجتمع فليس بينهم من يتخذ الشيطان الها.

نحن اخطأنا فى البحث عن اماكن الشيطان. اماكن الشيطان معروفة وموجودة فى البورصة وفى البنوك وفى شركات توظيف الاموال وفى النهب وفى السلب وفى الرشوة.. أن هؤلاء الناس يعبدون الشيطان دون أن يعرفوه دون أن يعلقوا له صورا أما هؤلاء الذين يعلقون صورا للفنانين فهم يعبدون الله ويؤمنون بالله وباليوم الآخر.. فقد ظلمنا هؤلاء الشباب فظلمنا انفسنا.. قسونا على هؤلاء الشبان وقسونا على مستقبل هذا البلد ان معركتنا مع عبدة الشيطان كانت معركة وهمية خرافية. ليس لها ما يبررها. فقد جنينا على كثير من شبان مصر حين صورناهم مخربين ومدمرين ويتربصون بالدين وبالحكم وبكل ما هو جميل وجليل فى مصر. انها أكبر غلطة وقعت فيها كل وسائل الاعلام وتابعتها أجهزة الأمن!

فى شوارعنا

ما الذى يحدث فى شوارع القاهرة.. ثلاثة شوارع أو أربعة هى العذاب اليومى.. وفى هذه الشوارع يقف الزمن.. وفى استطاعتك أن تنقل الساعة من يدك إلى جيبك فلا معنى لها.. فالذى يحرك عقارب الساعة هم الناس فى السيارات.. فالمرور واقف تماما.. أى المرور لا يمر.. وزحام الناس والعربات فى الشوارع مثل الكولسترول فى الدم:

ترسيب واعتراض لمسار الدم.. فلا يصل إلى المخ.. فيصاب الانسان بالاغماء.. وكذلك المرور فى شوارع القاهرة مغمى عليه.. واصبح من المألوف أن تعتذر أو لا تعتذر ـ عن مواعيدنا ـ لأننا فقدنا الأمل فى أن نصل فى موعدنا.. واذا كنت تسكن فى الجيزة وتريد أن تصل إلى منتصف القاهرة فيجب أن تستعد قبل ذلك بساعة . بعض العقلاء يقول: بساعتين .. اما إذا كنت فى طريقك إلى المطار.. مارا بشارع الجيزة وشارع قصر العينى وصلاح سالم..

فانصحك أن تتحرك قبل الموعد بثلاث ساعات.. بعض العقلاء يفضل المبيت فى أحد الفنادق القريبة من المطار.

فالشوارع ضيقة ولن تتسع إلا إذا هدمنا القاهرة كلها. فهذه الشوارع فتحناها أو شرعنا يوم كان سكان القاهرة مليونا أو ثلاثة.. وسكانها الآن أكثر من 15 مليونا ـ أى ربع سكان مصر.

ورغم أن الشوارع ضيقة، كانت هناك سيارات تقف على جانب أو جانبى الطريق. كيف؟ اسأل أنت.. ويصبح مجرى المرور ضيقا خانقا معطلا للحركة.. لا معنى للسؤال عن المشاه.. فإن كنت راكبا فسوف تجدهم يتساقطون من السيارات.. وان كنت ماشيا فسوف تلعن السيارات وأصحاب السيارات و مستر فورد الذى اخترع السيارة وسوف تكون الأسماء القيمة عندك هى:

المرسيدس والتويوتا والفولكس وغيرها. لأنها دليل على الفوارق بين الطبقات وعلى الحظ.. وأحيانا تقول انهم جميعا لصوص و أن اللصوص يحكمون الشارع ويجلسون فى مكان رفيع.

و سوف يقول أصحاب السيارات أن المواطن بطئ بليد..وانهم يحشرون أنفسهم بين السيارات.. لعلهم يريدون أن يموتوا بأمر الآخرين.. ويجدونها فرصة لكى يلعنوا الأغنياء والقادرين.. أو لعلهم يحصلون على تعويض أو على تبرير لبلادتهم وتخلفهم عن المواعيد.. وبذلك يلقون اللوم فوق أدمغة أصحاب السيارات. أما هم فضحايا أغنياء الحرب وأغنياء الانفتاح والتطبيع والسلام.. الخ.

ولا أنسى لوحة رسمها الفنان الروسى كاسيتوف ونشرتها (أخبار اليوم) يصف فيها المرور فى القاهرة من خمسين عاما.. اللوحة نصفان .. واحد يصور المرور من وجهة نظر المشاه. فالمشاه يرون السيارة صاروخية السرعة وتصور السائق مستمرا يغنى ويرقص ويعانق فتاة جميلة ولا يهمهه المشاه..

وصورة من وجهة نظر السائقين: فالسائق .. فى حالة جنون بسبب بطء حركة المشاه الذى يمصون القصب ويقزقزون اللب ويجرجرون أولادهم العشرين وراءهم .. وبعض الأطفال قد جلس فى الشارع يتبول!

والشارع واحد: ولكن هناك أكثر من نظرة له.. النظرة منه وعليه.. والجميع ساخطون!



السلام كلام

ما أكثر الكلام عن السلام وما أسخفه، الكلام عن السلام مكرر معاد وليس فيه جديد أو أننا لا نتصور أن هناك جديدا أو أن الخطأ الذى نقع فيه هو تصورنا أن السلام قطار متجه من محطة إلى محطة بسرعة واحدة لا يتغير. مع أن هذا ممكن. ولم يحدث قط. لأن السلام ليس قطارا و إنما قطارات لها اتجاهات متعارضة أو متضاربة. فليس هناك رأى واحد و إنما هو آراء إناس يعجلون بالسلام واناس لا يريدونه أو إناس يطلبون السلام واناس يرفضون السلام..

أو بعبارة أخرى السلام مفاوضة بين طرفين يحاول كل منهما أن يكسب أكثر من الآخر وفى النهاية لابد أن يتحقق السلام لاحتياج جميع الأطراف إليه فلا جدال فإن إسرائيل تريد السلام على طريقتها و لا شك فى أننا العرب نريد السلام على طريقتنا. وعلى الرغم من أننا متفقون على السلام فإن السلام لم ينطلق بسرعة واحدة السلام بين مصر واسرائيل فاحتاج وقتا طويلا وعناء

شديدا، ووقع علينا الطوب والحجارة من جميع العواصم العربية واتهمونا بالخيانة والعمالة والتصفوية.

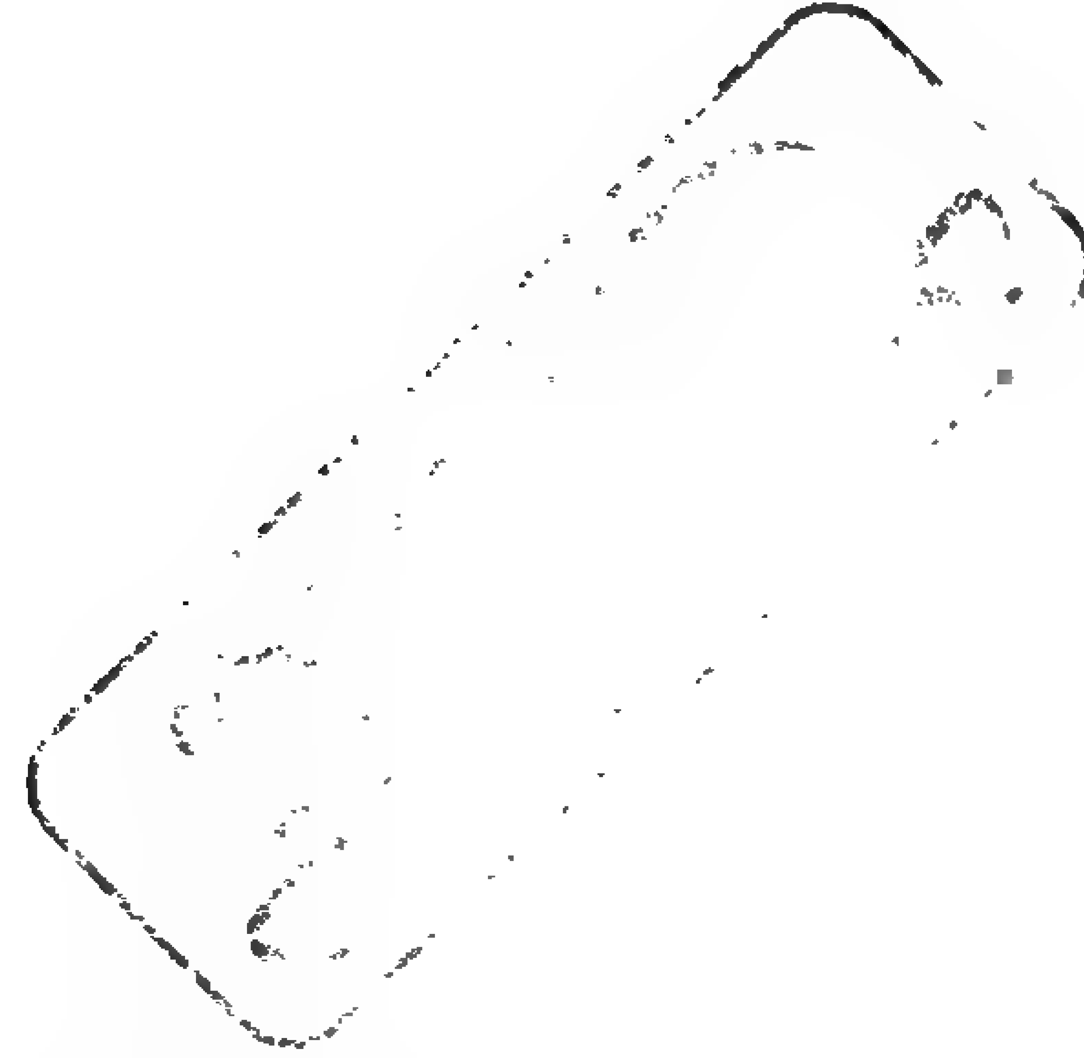
وتحقق السلام وتمنينا أن يتحقق السلام لنا و للفلسطينيين فى نفس الوقت. وكان أسلوب مصر فى تحقيق السلام أفضل وأسرع وأكرم من أسلوب فلسطين فى تحقيقه ولكن كل شعب حر فى أن يرى رأيه ويمشى طريقه ويستقر فى المكان الذى يريحه وينام على الجنب الذى يحقق له أحلاما سعيدة ثم تحقق السلام مع اسرائيل والأردن وهو الآن يتحقق مع الفلسطينيين وأن سلاما آخر بين اسرائيل وسوريا ولبنان.

وليس السلام خطوة على طريق مستقيم معتدل ناعم و إنما السلام أصبح كالرقص اثنان يرقصان رقصة واحدة خطوة إلى اليمين وخطوتان إلى اليسار.. خطوة إلى الأمام . ويدور كل منهما حول الآخر. لم يعد السلام طريقا نمشيه و إنما أصبح نوعا من الرقص أو نوعا من الدوران. ولكن من المؤكد أن السلام يتحقق قليلا قليلا ومهما تغيرت اللهجات ومهما تغيرت الوجوه فإن هذا السلام آت لاشك فى ذلك. وليس صحيحا أن اسرائيل لا تريد السلام فالشئ الوحيد الذى لم تذقه الشعوب اليهودية فى اسرائيل هو السلام هو الراحة هو الأمان هو اليقين هو الاستقرار أنها شعوب كتب عليها العذاب والقلق والفزع والحرب والحقد والغل، هذه الشعوب تعبت .. زهقت .. ملت و لكن الذى نراه فى صوت نتنياهو على وجهه ومن قبله على وجوه أخرى هو طبيعة هذا القلق والفزع الذى استقر

عميقا فى أعماق الشعوب اليهودية. لكنهم أحوج الناس إلى السلام ولابد أن يتحقق عاش نتنياهو أو مات عاش أبو عمار أو مات اذن ما الذى يمكن عمله وما الذى يمكن أن نقوله؟

أما الذى يمكن عمله هو أن نمضى على عملية السلام وأن نصبر علىٰ ذلك وأن نتخذ كل أسلحتنا إلا القتال .. إلا الحرب. فالمفاوضات طويلة ولكنها مضمونة والحرب قصيرة ولكنها مهلكة مبددة..

وسوف تظهر طيور من كل لون ونوع وصوت على أشجار السلام وسوف تظهر غربان ويوم هذه الغربان لا يحلو لها أن تنعق إلا فى الخرائب فيجب إلا نشجع هذه الغربان بأن نضاعف عدد الخرائب ليتعالى صوتها. فقد مات كثير من الغربان.. وظهرت الأشجار فى الخرائب لأن السلام ضرورة حيوية لكل نبات وحيوان وإنسان!



انها نكتة

قال لى المرحوم الصديق ممدوح سالم رئيس وزراء مصر السابق إنه دعا عددا من الخبراء الأمريكان لتنظيم المرور فى القاهرة ـ لأننا عجزنا عن تحقيق ذلك. وسوف نبقى عاجزين .. لماذا؟ سوف أعود إلى ذلك بعد أن أحكى لك ماذا قال ممدوح سالم.. وتصادف وجود الخبراء الأمريكان «يوم المرور» فى القاهرة.. أو يوم انضباط المرور.. وفرحنا بذلك.. ونزل الأمريكان إلى الشوارع وظهر عليهم الانبهار والبهجة.. وقال واحد: والله أنتم أحسن من أمريكا.. وقال واحد: هذا مؤكد!

واندهش ممدوح سالم وقيادات المرور لهذه المجاملة.. ثم عاد أحد الأمريكان يقول: هذا أفضل.. فأنتم تضبطون المرور كل أيام السنة، وتتركون السائقين يفعلون كل ما يعجبهم فى يوم المرور!!

هنا لم ينطق ممدوح سالم ولا رجاله!

أما عدم القدرة على تنظيم المرور فسبب ذلك شئ صعب جدا هو: الناس.. الإنسان.. سلوكيات الإنسان.. ولا يمكن تنظيم هذا السلوك ولا ضبطه ولا ربطه بأى قانون.. و إنما هى تربية وطنية.. تربية الأطفال فى المدارس على احترام المرور.. وتربيتهم فى البيت على احترام آداب الأكل والشرب والحركة.. واحترام حقوق الآخرين.

فنحن نندهش دائما لما يحدث فى شوارع المدن الأوربية .. عندماً نجد سيارة واحدة فى الشارع واقفة عند إشارة المرور.. فلا سيارات أمامها ولا وراءها ولا على شمالها ولا على يمينها .. يعنى لو أن هذه السيارة انطلقت فى أى اتجاه فلا خوف.. أبدا.. تظل السيارة واقفة حتى تنفتح لها الإشارة .

لماذا؟ إنه القانون .. احترام القانون.. وليس فى الدول الأوروبية فقط.. بل فى بعض الدول العربية أيضا.. فى الخرطوم مثلا: رأيت سيارة واحدة بعد منتصف الليل .. سيارة واحدة.. ولم تتحرك إلا مع الإشارة الخضراء.. وفجأة وجدت سيارة تنطلق كالصاروخ ضد كل إشارات المرور.. مع الأسف كان الذى يقودها مصرى و معه أصدقاؤه يقولون: هيه.. ولا مرور ولا زفت!

ورأينا فى السعودية عسكرى المرور و معه عصا .. و هو يقف أمام أية سيارة.. و يوقفها بالعصا.. ولا يهمه إن كان صاحبها وزيرا أو خفيرا.. فهو يشير إليها أن تقف .. فتقف .. ولا كلمة من أحد. ورأيت ذلك فى سلطنة عمان.. فكلمة عسكرى المرور: قانون.. ولا

مناقشة .. أما فى مصر فقد حدث أن جاء عضو فى البرلمان المصرى واكتسح أحد رجال المرور وحمله على مقدمة سيارته ودخل به البرلمان.. ولم تقف الدنيا ولم تقعد .. ولم يتحرك أحد.. كأنه أزال من الطريق صندوق زبالة ـ منتهى الهوان!

كنت أركب سيارة أحد الأمراء.. وحاول السائق أن يحتمى فى حجم السيارة و أناقتها وفخامتها و أنه سائق أمير، ولكن عسكرى المرور هدده بأن يجرجره إلى جانب من الشارع ويسحب رخصته.. فلم ينطق السائق بكلمة واحدة! وعندما تذهب إلى العواصم الأوروبية أو حتى العربية وتمشى بسرعة فوق العلامات البيضاء المخصصة للمشاة، فالسائقون يندهشون لذلك .. لأنه من حقنا أن نمشى على العلامات البيضاء دون أن نجرى فهذا حقنا.. ومن واجب كل السيارات أن تقف تماما ـ إلا فى مصر فأكثر الحوادث تقع فوق العلامات البيضاء المخصصة للمشاة!



عسكرى المرور

نسيت ذلك الغلبان التعبان الشقيان: عسكرى المرور.. هذا الرجل هو رمز القانون.. فإذا وقف فهذا قرار لنا جميعا بأن نقف.

وإذا أشار يمينا أو شمالا، اتجهنا إلى حيث يرى، فلا مصلحة له فى المرور أو الوقوف.. انه يؤدى واجبه. وواجبه: مساعدتنا وحمايتنا جميعا..

انظر اليه: بعض عساكر المرور ضعاف البنية. ومعظمهم لم يتعلم بدرجة كافية.. ولكنه نموذج لأبناء الريف المساكين..

لا تسأل عن مرتبه، فهو واحد من الملايين الذين لهم كادر ودرجة ولن يعامله أحد معاملة خاصة ـ وهذه غلطة. أما الغلطة فهى أن هذا الرجل يشم كل عوادم السيارات . ويمتلئ صدره بالهباب والتراب والرصاص. ولذلك يزداد مرضا وضعفا.. وتتحجر رئتاه .. والسرطان ليس بعيدا عنه. فماذا دفعنا له تعويضا عن هذا السم الذى يعيش فيه ليلا ونهارا؟!

ان لدينا وظائف يحصل أصحابها على (بدل) ضوضاء.. وبدل سموم . أما هذا الرجل فهو احق الناس جميعا بذلك.

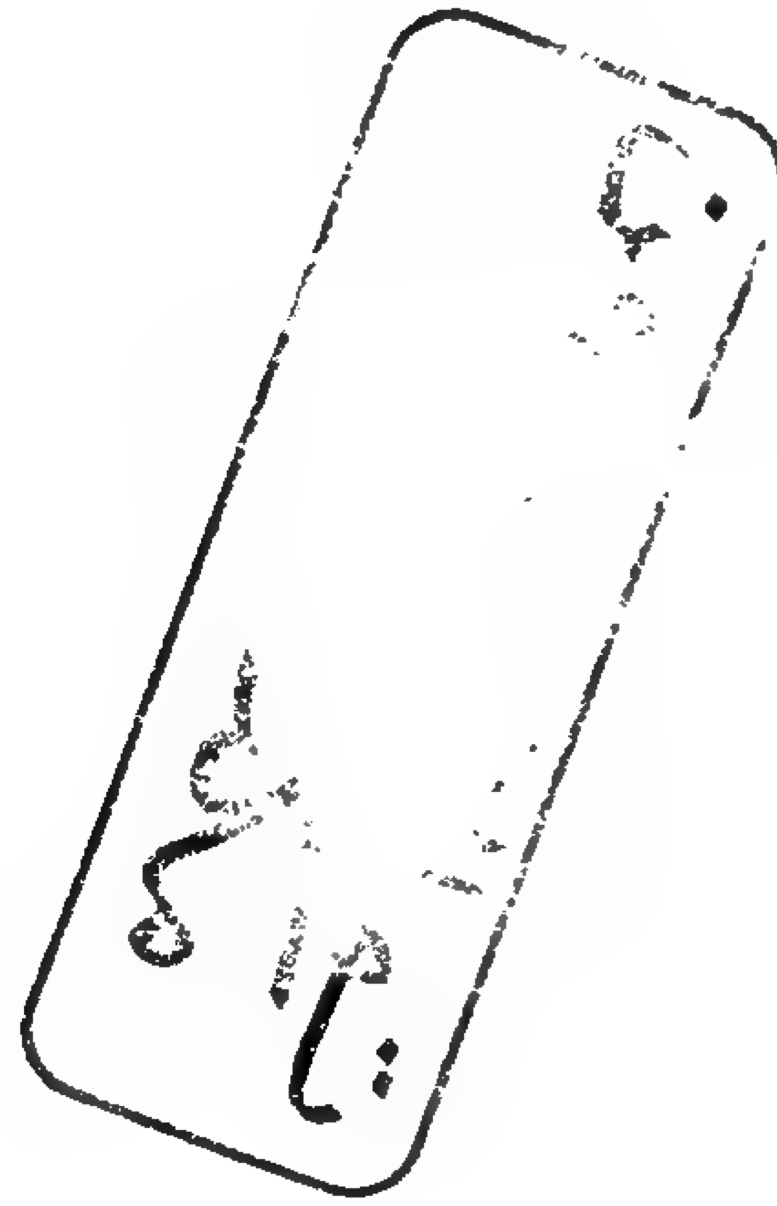
اضرب لك مثلا بما يلقاه عسكرى المرور فى الدول الأوروبية .. نفرض أن تلميذا عنده امتحان.. فوقفت به السيارة أمام فندق هيلتون.. وتعطل عن موعد الامتحان.

فهو يحصل من عسكرى على ورقة تفيد بأن التأخير كان اضطراريا. ولا دخل له فى ذلك. فى أوروبا ممكن. وكلمة عسكرى المرور محترمة وتقبلها الجامعات على أنها وثيقة واجبة النفاذ. هل هذا ممكن عندنا؟ الجواب: لا طبعا!

احكى لك حكاية رئيس وزراء بريطانيا السابق: ادوارد هيث. فمن تقاليد بريطانيا أن يظل أعضاء البرلمان فى حالة يقظة و أن يكونوا قريبين من البرلمان يمكن الاتصال بهم واستدعاؤهم فى أى وقت.. لأنه من الممكن أن يقوم الحزب المعارض بعرض الثقة بالحزب الحاكم ويطلب سحب الثقة منه فى أى وقت .. وقد حدث أن طلب حزب العمال سحب الثقة من حزب المحافظين الحاكم. ولم يتمكن ادوارد هيث المحافظ من الحضور إلا بعد التصويت على سحب الثقة من الحكومة. وقد فازت الحكومة بأغلبية عشرين أو ثلاثين صوتا. أى أن صوت ادوارد هيث لم يكن ضروريا ولكنه تغيب. فتقدم ادوارد هيث بما يثبت أنه تأخر بضع دقائق لأن موكب الملكة قد اعترض طريقه فتعطل المرور.

• وقد كتب له عسكرى المرور ورقة بذلك. فهاجمه الأعضاء. واتهموه بالنفاق لأنه كان يستطيع أن يمضى لأداء واجبه دون أن ينتظر موكب الملكة.. فقدم ادوارد هيث شهادة حارسه الخاص الذى رفض لأسباب أمنية أن يدعه يهبط من السيارة ويمشى على قدميه إلى البرلمان ليصل فى الموعد المحدد! وقدم شهادة عسكرى المرور الذى قال أنه سمع جانبا من النقاش بين رئيس الوزراء السابق وحارسه!

طبعا ما دام أحد أعضاء البرلمان المصرى قد اجتاح بسيارته أحد رجال المرور الذى اعترضه.. وحمله على مقدمة سيارته ودخل به البرلمان، ولم يلق حسابا أو عقابا من أحد.. فهذا أكبر دليل على عدم احترام الذين يحمون القانون! عدم احترام السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية!



فى الشوارع..

إذا جاءنا زائر من بلاد بره فسوف تنتقل الحفاوة إلى الشوارع.. أسهل شئ أن نلون الرصيف .. طوبة سوداء و طوبة بيضاء.. ونضع الزهور .. بصورة بارزة .. و أحيانا نرصف الشارع.. ويكون الرصف قبلها بيوم.. أو فى صبيحة ذلك اليوم ولأن مادة الرصف لا تزال طرية، فإنه بعد يوم واحد من مرور السيارات عليها يزول اللون.. وتلتصق هذه الطبقة بعجلات السيارات وتنكشف أرضية الشارع..

والحقيقة أننا نحن الذين انكشفنا فقد جاء الرصف سريعا. وذهب كما جاء. فإذا ظهر زائر جديد، عدنا إلى الشارع وما نصنعه بالليل تأخذه السيارات بالنهار. وكأننا لا رصفنا ولا غطينا الأرض بطبقة ناعمة من الزفت!

أما الزهور وقصارى الزرع فتجئ السيارات وتحملها إلى مكان بعيد.. لتظهر فى مناسبات أخرى. ويحدث ذلك قبل زيارة الشخصية

الأجنبية.. بل وزيارة الرئيس وحرم الرئيس.. وبعد الزيارة مباشرة تعود الزهور وقصارى الورد إلى مكانها في انتظار زيارة أخرى.. فنحن ـ كما ترى ـ نغسل الأرض ونكنسها ونجملها بمناسبة الزيارة وبعد ذلك يعود كل شئ إلى ما كان عليه و أسوأ.

وهى عادة نتبعها في بيوتنا أيضا.. فعندما يكون عندنا زوار تظهر أدوات الطعام الجميلة الأنيقة و الغالية فإذا ذهب الضيوف، اختفت كل الأدوات الفخمة، وظهرت الأدوات البلاستيك لاستهلاك أهل البيت.. فرأى الضيوف والسياح ـ أى رأى الآخرين فينا ـ مهم جدا. أما رأينا نحن فلا يهم.. والمهم أن يقول الناس: إننا في غاية النظافة والأناقة والشياكة والكرم.. ونحن نعلم أننا لسنا كذلك. بل هم يعلمون أننا في ثوب جميل فقط أمام الضيوف.

ولو تأخرت الطائرة عن الضيف، وقرر لأى سبب أن يعود إلى المقر، لوجد الشوارع قد اختلفت تماما.. فلا زهور و لا ورد ولا عساكر بالمئات على جانبى الطريق!

و من الممكن أن يتوقف الضيف ساعة لسبب لا نعرفه و هو أن أحد أصحاب السيارة قد تركها في شارع سليمان باشا.. واغلقها وأخذ المفتاح معه.. و فرملها أيضا. ويكون الضيوف في شارع صلاح سالم .. أو من الممكن أن يتوقف لأن سائق الأتوبيس نزل يشترى كوب شاى من فوق رصيف شارع 26 يوليو والمرور كله واقف وهو يفاصل الست الغلبانة التى تصنع الشاى على الرصيف.. ومن الممكن أن يظهر أحد أصحاب السيارات ويتخانق مع سائق

الأتوبيس واللى ما يشترى يتفرج .. ويتوقف المرور فى الشارع من أوله لآخره حتى شارع الجيش وشارع صلاح سالم.. هذا ممكن ويحدث كل يوم وفى كل ساعات الليل والنهار!

وبسرعة غريبة (يتحد) كل السائقين فى الشارع من أوله لآخره ضد هذا الأفندى الذ ى يملك سيارة ـ مع أن الحق معه ـ ولكن تعاطف السائقين مع السائق الغلطان يتم بسرعة وبصورة عفوية تكشف لك: الحقد الطبقى فى كل وقت!

وفى استطاعتك أن تجرب ذلك بصورة أخرى عندما تجد سيارة واقفة والسائق يحاول أن يزقها.. وتلعن أنت ذلك السائق الحمار الغبى..إلخ

وبسرعة سوف تجد سائقك أنت يقف مع ذلك السائق ويجد له ألف عذر!



.. عفوا ..

أنت تقول: عفوا لمن يشكرك على أنك أديت له خدمة..

وتقول العفو.. استغفر الله.. يا رجل لا تقل شيئا.. عيب .. نحن أخوة.. لا شكر على واجب..

ومعنى ذلك انك تطلب اعفاءك من هذا الشكر، لأنك لم تفعل شيئا.. لو أن الذى فعلته لا يستاهل الشكر من أحد..

وفى اللغات الأوروبية يقولون: لا شئ.. أى انه لم يحدث شئ يستحق الشكر أو يقول الأمريكان: أهلا وسهلا.. أى وقت ـ اى أنه مستعد أن يقدم نفس الخدمة فى أى وقت!

إلا أن الأستاذ العقاد كنت قد سألته مرة:

لم يا أستاذ إذا شكرك أحد فلا تقول له: العفو.. وكان رد الأستاذ: يا مولانا.. هو يشكرنى على خدمة أديتها له، وأنا استحق الشكر، فلماذا اعتذر عن قبوله؟!

ونحن الآن فى زمن ننتظر الشكر على الواجب الذى اديناه بينما نحن نقول عادة: لا شكر على واجب!

بل الشكر على اداء الواجب: واجب. أحد لا يؤدى الواجب، فاذا حدث، فلا بد من الشكر والتشجيع حتى يكون اداء الواجب، عملاً عاديا. فإذا فعلنا ما هو أكبر من الواجب، كان استحقاقنا لنشكر أكثر..

مثلا: نحن ـ الموظفين والعاملين ـ نتوقع العلاوة والحوافز لمجرد اننا ذهبنا إلى أماكن العمل، حتى اذا لم نعمل أى شئ.. يكفى اننا جئنا وبينما غيرنا لا يجد واذا جاء لا يعمل و اذا عمل، فهو يعطل الآخرين عن العمل.. أو يذهب إلى المقهى . أو يجعل المكتب مقهى!

ثم أرجو أن تتأمل هذه القاعدة التى لا نظير لها فى الدنيا وهى: ان الخسران يكسب..

أى أن المؤسسات الخاسرة لابد أن توزع أرباحا على العاملين. ويستوى فى ذلك الذين عملوا والذين لم يعملوا فالذى لم يعمل يكسب أيضا، كالذى عمل تماما فلماذا يعمل العاملون اذا كانوا يتساوون مع الذين لا يعملون؟!

وكذلك الذين يعملون خارج مصر، يتقاضون الأرباح والعلاوات والدرجات كأنهم فى مصر ـ منتهى الهزل والعبث! وهى غلطة يجب ألا نعفى أنفسنا من وزرها. فاذا أصلحناها فلا شكر على واجب تأخر اداؤه عشرات السنين!

مسلمون فقط

المصريون لا يعرفون الفوارق بين المذاهب.. الشيعية والسنية.. المالكية والحنفية والشافعية.. لا يعرفون ولا يريدون أن يعرفوا .. فنحن جميعا مسلمون.. وخلاص.. و أكبر دليل على ذلك أن الناس يفضلون الصلاة فى مسجد سيدنا الحسين فى رمضان.. لماذا؟ لا يوجد عندهم سبب واضح .. ولكن الجو الروحى فى المنطقة والمسجد نفسه وإمام المسجد أو سيرة أهل البيت.. أو أنها العادة التى تجعل معظم الناس يذهبون إلى الصلاة طوال رمضان فى مسجد الحسين.. ويكون زحاما شديدا، دخولا وخروجا.

و أكثر هؤلاء الناس لا يعرفون ما هى العلاقة بين الحسين وعلى أولاده والمذهب الشيعى لا يعرفون ولا يهمهم أن يعرفوا فسيدنا الحسين هو واحد من أهل البيت رضى الله عنهم .. وبس.

ولو قلت لهم ـ وقد قلت عشرات المرات ـ أن سيدنا الحسين لا وجود له فى هذا المسجد فلم يثبت من الناحية التاريخية أن جاء إلى مصر.. وليس صحيحا أن رأسه وأن لحيته موجودة فى المسجد . مهما قلت فلن يصدقك أحد! وسوف تسمع منهم كرامات الحسين.. وكيف أن الناس عندما وقفوا يقرأون الفاتحة على روحه الكريمة.. وراحوا يطلبون من الله فإن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لهم.. وذلك ببركة سيدنا الحسين.. أى بواسطة أو شفاعة سيدنا الحسين ـ وكلها معان تتنافى مع الدين! وقد نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن احدا لن يصدقك.. ولا يزال الناس الطيبون يلقون بالخطابات فى ضريح سيدنا الحسين والسيدة زينب.. وفى الخطابات شكاوى إلى الله .. كأن الله سبحانه لا يبلغه الدعاء!

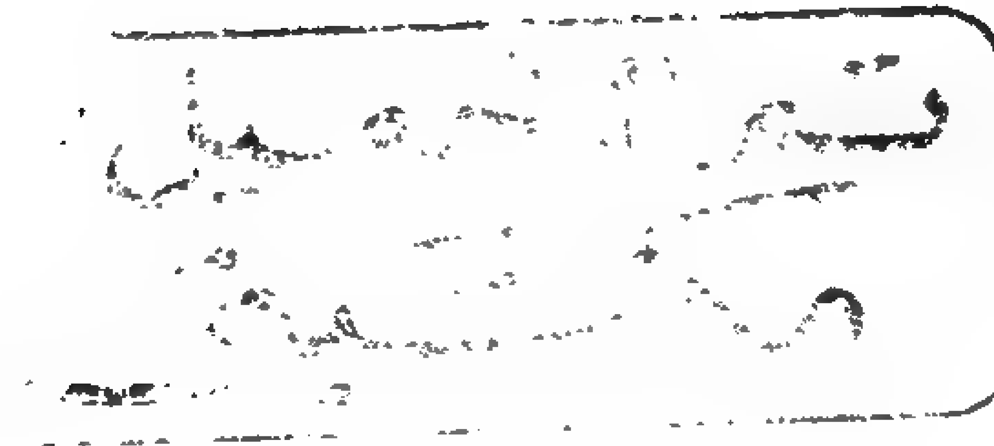
أكثر من ذلك فعند الناس الطيبين اقتناع تام بأن روائح عطرية لا يعرفون مصدرها تملأ مسجد سيدنا الحسين هذه الروائح العطرية لا توجد فى أى مسجد آخر .. ليس هذا فقط بل إن العيش والبصل والفجل والطعمية والفول فى حى سيدنا الحسين.. لا نظير لها فى أى مكان آخر.. ولذلك أصبح من التقاليد أن تجد الناس يحرصون على شراء الخبز ساخنا من أفران حى سيدنا الحسين.. وتجد كميات الخبز واضحة فى النوافذ الخلفية للسيارات!!

ويا سلام على الليمون.. الواحدة قد كده.. من حى سيدنا الحسين.. مع أنه لا توجد مزارع خاصة ولا أفران فريدة لسيدنا

الحسين .. و إنما كل شئ فى القاهرة مثل كل شئ.. ولكن الناس يرون أن بركات سيدنا الحسين تتدفق على الماء والهواء والخضراوات والكباب.. ولا ضرر فى أن يكون هذا هو شعور الناس فى رمضان أو حتى فى غير رمضان.

ولكن أن يتصور الناس الطيبون ان كرامات وقدرات خارقة لأحد من الناس حتى لو لم يكن له وجود فى قبره هو الذى يبعث على الدهشة!

على كل حال رمضان كريم!



تحذير من فوق..

كيف نعرف أن المرور قد وقف فى أحد شوارع القاهرة لكى نتفادى الاتجاه إلى هناك .. لا يوجد وسيلة واحدة!

ولكنهم فى أوروبا و أمريكا واليابان وجدوا الحل، ففى راديوالسيارة إعلان مستمر عن حوادث المرور.. والحوادث .. والأمطار والجليد الذى ينزل من الجبال ويعطل المرور.

وفى بعض الدول توجد طائرات هيلوكوبتر فوق المدينة ترى حركة المرور وتذيع أولا بأول.. وتدعو السائقين إلى الاتجاه إلى شوارع أخرى..

وفى اليابان يستطيع السائقون أن يسألوا بالتليفون ويسمعوا معلومات مسجلة عن حوادث المرور.. وفى استطاعة السائق أيضا أن يشاهد على تليفزيون السيارة خرائط لحركة المرور.. ويتجه بعيدا عن أماكن اختناق أو تجلط المرور.. و هذا يتم بصورة سهلة.. فكل شئ أمامه على الشاشة.

وفى أماكن كثيرة تفتكر لأى سبب؟

لسبب لا يخطر لك على بال. ولكنهم يرونه سببا قويا جدا.. السبب هو أنه يحدث أحيانا أن تتسلق قطة صغيرة شجرة ولا تعرف كيف تهبط.. الخوف دفعها إلى فوق.. والناس غير قادرين على أن يصلوا إليها.. هنا يمكن الاتصال بالتليفون بجهة الأمن التى تحمى الحيوانات والأطفال.. ولا تمضى دقائق حتى يجئ من يضع السلالم وينقذ القطة أو الكلب أو العصفور!

مرة واحدة فوجئ الناس فى أحد شوارع لندن بطفل تسلق شجرة.. ووجد مكانا وغلبه النوم.. والناس يصرخون فى خوف أن يسقط الطفل من فوق الشجرة. وخاف الناس ان أحد تسلق الشجرة أن يفزع الطفل فيسقط على الأرض. وحاول الناس أن يستعدوا لذلك بأن التفوا حول الشجرة وخلعوا جاكتاتهم ووضعوها بعضها إلى جوار بعض حتى إذا سقط الطفل، لم يقع على الأرض..

وبسرعة اتجهوا إلى الأمن و إلى الاسعاف لإنقاذ الطفل الذى ضاع من والديه فى أحد المحلات.. أما كيف فعل الطفل ذلك، فلأنه صغير ريفى وأنه اعتاد على تسلق الأشجار.. وتوجهت أجهزة الأمن إلى والديه وفرضوا عليهم أن يربطوه بحزام فى أمه أو والده..

وفى ذلك اليوم تقرر وضع تليفونات حمراء كثيرة فى الشوارع والميادين لانقاذ الصغار من الحيوانات والانسان والطيور.

اذكر عندما كنت طالبا فى الجامعة أن رأيت حادثة فى شارع سليمان باشا.. عربة حنطور يجرها حصان اصطدمت بسيارة تاكسى.. ووسط الجماهير رجل خواجة بذقن عرفته. انه استاذنا فى اللغة الانجليزية وقد امسك فى عنق العربجى والناس لا يفهمون ما يقول.. ايه الحكاية .. الحكاية ان سائق التاكسى قد اصاب الحصان فى احدى ساقيه. ودفع جنيها للعربجى. وانتهى الموضوع. ولكن الأستاذ الانجليزى رأى ضرورة تقديم العربجى للمحاكمة لأنه أهمل فى حق الحصان. واشترى عقاب سائق التاكسى بجنيه.. والناس لا يفهمون سلوك الرجل.. والرجل لا يفهم كيف يسكت عسكرى المرور عن هذه المخالفات للقانون والاعتداء على الحيوان؟!

لا يعرفون رمضان!

قبل أن يسافر إلى إسرائيل: المرحوم كمال حسن على و د. بطرس غالى لمفاوضات مع السادة شامير وشارون وعيزرا فايتسمان اتصلت بالصحفيين فى إسرائيل اسأل عن برنامج هذا اليوم ـ وذلك قبل السفر بساعات. وكأن قنبلة قد انفجرت فى أذنى عندما سمعت من يقول فى التليفون : برنامج بسيط جدا.. كوكتيل وبعد ذلك عشاء!

فصرخت : كوكتيل؟! اننا فى رمضان.

ـ يعنى ايه؟

ـ يعنى فيه صيام!

ـ يعنى ايه؟

ـ نحن صائمون .. ولا نتناول إلا وجبة واحدة بعد اذان المغرب.

ـ يعنى ايه؟

ـ عايشين مع المسلمين ولا تعرفون شهر رمضان والصيام والامساك؟!

ـ لا أعرف..

فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تستقبل فيها إسرائيل وفدا رسميا من بلد إسلامى فى شهر رمضان.. وعرفت بعد ذلك انهم سألوا علماء المسلمين عن الذى يجب عمله فى رمضان، وترتب على ذلك تغيير الكثير من الطعام.

وقد استبعدوا الجبنة ـ فالديانة اليهودية تحرم ان يجتمع اللحم والجبنة فى مائدة واحدة.. «أى لحم الخروف ولبن أمه» ـ كما تقول التوراة.

وتأخر الافطار عن موعده ساعتين.. و متنا من الجوع . وحكيت للمرحوم كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اننى سبب هذا التغيير..

فقال لى: كانت تبقى مصيبة جديدة.. إذا رحنا ننتقل بين الموائد نبحث عن طعام.. ونحن نأكل جالسين والخواجات يشربون واقفين.

وكانت مفاجأة ظللنا نضحك لها طول الوقت.

ووقعت ادارة البروتوكول فى إسرائيل فى مشكلة اخرى فهى لا تعرف بالضبط ما الذى يمكن تقديمه من الطعام ومتى وكيف. وفى الساعة الحادية عشرة مساء سمعت دقا على الباب.. انه

الجرسون وقد استأذن فى ادخال طعام السحور إلى غرفتى .. وقبل ان أقول لا أو نعم، دفع أمامه منضدة لها عجلات وعليها كميات كبيرة من الطعام، ووقفت اتفرج فقال لى الجرسون: هذه لحوم .. وهذه طيور.. وهذه أسماك.. وهذا خضار مسلوق.. وهذه مكرونة وأرز وفاكهة وحلويات.. فنحن لا نعرف بالضبط ماذا تأكلون فى رمضان.. أو فى هذا الوقت من رمضان.. والتعليمات التى عندنا هى أن أقدم أى شئ وكل شئ .. فسألته: ان كان هذا الطعام كله لى؟

فقال : نعم.. وحتى لا أكسفه شكرته.. ولم يكد يخرج حتى فتحت الباب وأخرجت كل هذا الطعام ووضعته بعيدا عن باب غرفتى. وعندما رحت أقلب فى الأوراق والنشرات المكدسة على المناضد وجدت نسخة من «القرآن الكريم». النسخة مطبوعة طبعا جيدا.. وفتحت الصفحة الأولى من سورة البقرة. وفزعت، فقد جاءت عليها هذه العبارة المطبوعة بالحبر الأزرق : هدية من جيش الدفاع الإسرائيلى؟!

أعوذ بالله ورمضان كريم!

حرفة .. مهنة..

كل الدول حريصة على أن تعلم الشباب حرفة.. مهنة.. يعيش منها.. صناعة يدوية .. تشغيل العقول الالكترونية ولكن شعوب العالم لا تعلم الشباب كيف يكون صادقا، كيف يكون فاضلا.. لا أحد يعلم أحدا أن يفكر وأن يتأمل وأن يتذوق ما فى الحياة من قيم وجمال..

وإنما كل شئ خاطف ومخطوف.. و أن المهم هو أن تصل أسرع قبل غيرك وعلى جثته.. وسوف تجد عند خط النهاية من يصفق لك لأنك وصلت.. ولا يسألك كيف؟

و لذلك فالطالب يغش لكى ينجح.. المهم أن ينجح والتاجر يسرق من أجل أن يكون غنيا.. المهم هو الفلوس.. والأفلام والمسلسلات تختار للفتاة المتعلمة غنيا جاهلا لا فقيرا متعلما مكافحا.. ومعنى ذلك أن العلم لا يهم، الفلوس هى التى تهم،

والفلوس من أى طريق وبأى شكل.. والغنى السجين هو انسان سيئ الحظ.. سيئ الحظ لأنه ضبطوه .. وليس انسانا سافلا فقيرا يجب التحذير منه.

ونحن مبهورون بالتقدم العلمى.. وهو بالفعل تقدم باهر ولكننا لا نلتفت إلى التخلف الأخلاقى.. فالحضارة ليست تطور الأدوات ووسائل الانتاج والمواصلات ولكن الحضارة هى توظيف هذه الأدوات فى تعميق القيم الانسانية، أى القيم التى تجعل الانسان متحضرا. فالقاتل بالسكين كالقاتل بالقنبلة الذرية، كلاهما مجرم .. ولا يقال عن القاتل الذرى أنه مجرم متحضر، والقاتل بالسكين مجرم بدائى لأن الحضارة ليست هى القنبلة، وإنما الحضارة هى تحويل القنبلة لصالح الحياة ولاستمرار الحياة وبقاء القيم ونشر السلام..

وفى استراليا لا يزال يعيش مئات الألوف من السكان الأصليين.. والدولة حريصة على أن تجعلهم يحتفظون بالأسلوب الذى يرونه لسعاتهم، و هى تحميهم وتحمى بقية المواطنين .. ورغم أن هؤلاء البدائيين يستخدمون السيارة والطيارة والتليفون فلا يمكن أن يوصفوا بأنهم متحضرون.. وإنما هم فقط يستخدمون أدوات التقدم العلمى.. ولكن الحضارة هى أن يكتشفوا ما فى العقل من كنوز باهرة تنشر أشكال الحياة الهادئة من أجل رفع مستوى الذوق واستطعام التأمل ـ ارتفاعا بالانسان عن رغباته الغريزية التى تساويه بالحيوان ـ والانسان لا يكون متحضرا وإنما يصير متحضراً.. أى أن الحضارة ليست صفة

إنما الحضارة «فعل» أنت إذا ارتديت بدلة وركبت سيارة وجلست أمام عجلة قيادتها فهذا لا يدل على أنك متحضر .. و إنما يدل على ذلك أن تحترم الناس والعلاقات الانسانية والقانون و ألا تعتدى على غيرك وعلى حقه وحريته وكرامته.. و ألا تكون قد سرقت السيارة.. والبذلة..

ففى مواجهة العنف الذى تراه يجب ألا تقف عند استنكاره فقط فهذا لا يكفى وإنما يجب أن نفكر أفرادا وشعبا فى استئصال جذوره من النفس ومن البيت ومن المدرسة ومن وسائل الإعلام.. ولا نكتفى بأن نقلب صفحة أخرى فى كل صحيفة عندما نقرأ من يدعو إلى التفرقة بين ألوان الناس وأديانهم، بل ألا نقرأ هذه الصحيفة .. وألا نكتفى بالانتقال إلى قناة أخرى اعتراضا على الأحاديث الدينية التى تغرس الكراهية والحقد والتعصب بل أن نمنع هذا الذى يشعل الفتنة بين الطوائف لأنه لا يساوى هذا الضرر الفادح الذى يلحقه بالأمة..

معا وبين كل الناس يجب أن ننشر الرحمة والتسامح والمحبة بين الشباب حتى لا تكبر معهم كل عناصر الدمار لهم ولبلدهم.. ولمستقبلنا جميعا..

عنف كثير..

حتى الأفلام الدينية فيها كثير من العنف.. أى كثير من استعراض العضلات فالفيلم الدينى الذى يقدم للمتفرج قصة الصراع مع الشر انتصاراً للفضيلة والخير والعدل والرحمة يجعل الطريق إلى هذه المعانى النبيلة شائكاً دمويا حتى الأفلام الدينية عندنا فيها الكثير من العنف.. صحيح أن العنف عندنا لا يصل إلى حد القتل وسفك الدماء.. وانما هو العنف المتاح: تشنج الممثلين ونفور العروق فى رقابهم الغليظة وتشنج الحناجر أيضا.. وتستطيع أن تستعيد كل المسلسلات الدينية فى رمضان فسوف تجد الناس جميعا فى حالة من الهيستريا وهم بدلا من أن يضعوا السكاكين والسيوف والسهام فى أيديهم ليطلقوها على اعدائهم يكتفون بتسديدها إلى السادة المشاهدين.

فهذا نوع من العنف العضلى أو العصبى أى العنف المسموح به ولكنه عنف أيضا!

فليس هذا هو الاسلام و هذا العنف يفسد على المتفرج أن يتبع مسار الحق و منطق العدل ومشوار الخير ودرب الرحمة ومساحة التسامح بين الناس فلسنا فى حاجة إلى جرعة كراهية أو شربة تعصب.. وانما نحن فى حاجة إلى من يقول لنا دائما: الرحمة هى التى يجب أن تسود بين القوى والضعيف والغنى والفقير .. والتسامح هو الذى يجب أن يجمع بين الكل. واختلاف اللون أو الرأى أو العقيدة طبيعى.. ولا فضل للون على لون وليست الخلافات فى الدين هى قضيتنا اليوم ويجب ألا تكون فعندنا عدو مشترك هو الأرض البور والبطالة والديون واللامبالاة ليس عدونا هو هذه المعارك المفتعلة بين المسلم المتطرف والمسلم المعتدل.. التعصب الذى يوجد التعصب..

نحن جميعا على أرضنا وعلى خير بلدنا ومن أجل سلامنا ورفاهيتنا وتقدمنا.. يجب ابادة هذه «الواو» فى كل عبارة فتقول: نحن «و» هم.. بل نحن هم .. هم نحن.. نحن فقط.

فإذا لم يكن هذا هو المعنى من كل المسلسلات الدينية فهى ضارة بنا وتتنافى مع الرحمة والتسامح فى كل الأديان، ان بعض رجال الدين ينشرون التعصب دون أن يدروا يكفى أن يقول الواحد منهم: ونحن المسلمين ـ لا داعى لأن يكمل العبارة ـ فقد أقام حدا فاصلا بيننا وبين غيرنا .. غلط .. خطر.. كارثة على البلاد مصيبة تتجدد كل يوم دون أن ينتبه سيادته ما هذا الذى ينشره ويبذره وفداحة ما سوف يتحقق بعد ذلك!

عضلات الشباب

كان لابد أن ألتفت تماما إلى هذه المجموعة من الشبان الذين جلسوا بالقرب مني، فعلا فرجة.. متعة.. كأن ألف كتاب قد انفتحت صفحاتها، كأن ألف كاسيت قد انعكست على شاشة الألوان، إنهم يتكلمون بصوت مرتفع، ويوضحون كلماتهم الصارخة بأيديهم وأذرعهم وسيقانهم .. وبالشتائم و الألفاظ النابية، إنهم يشتمون النادى الرياضى المنافس لهم.. أما المقاعد فإنهم يحركونها بأقدامهم ويتقاذفون الأكواب، ويضربون العشب بالجزمة، ويهجمون بعضهم على بعض.. ما هذا؟!

إنها صورة لما يحدث فى أماكن كثيرة وفى مجالات مختلفة صور من العنف .. فى الكلام والتفكير والسلوك الاجتماعى.. وصور من التفرقة العنصرية بين مدرسة و مدرسة وبين فريق رياضى وفريق آخر.. ومن الكراهية أيضا.

ثم ما الذى قالوه بعضهم لبعض .. لا شئ إلا النكت والقفشات والشتائم الجارحة دون أن يكون وجود الفتيات معهم سببا كافيا للإحتشام.. وحتى الفتيات لم يستنكرن ذلك.

ولم أجد فى أيديهم إلا صحيفة واحدة، حتى هذه الصحيفة يبدو أن أحدا لم يقرأها أو شرع ثم عدل.. لم يعلق أحد على شئ مما يقال بين الناس أو فى الاذاعة أو فى الصحف.. لم أسمع أحدا يجرى حوارا أو يبدأ حكاية أو يبدى رأيا.. لا شئ و إنما ألفاظ من هنا و أصوات من هناك.. كأن الكلمات كرات ساخنة لا يكاد يطلقها أحدهم حتى يهرب من لمسها آخر أو يعيدها آخر.

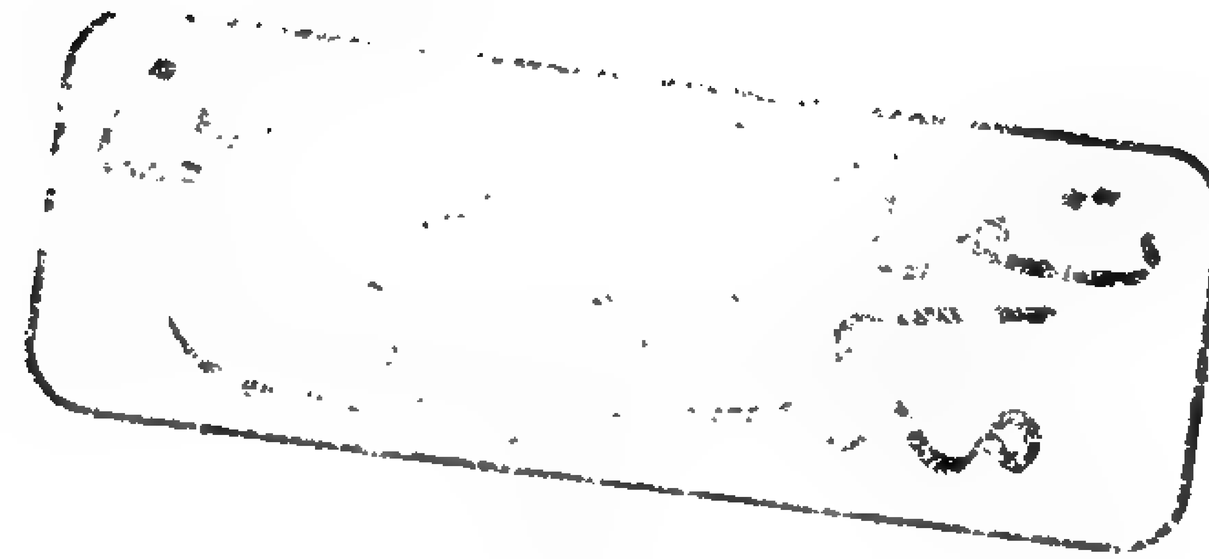
و عندما جاء الجرسون تحدثوا إليه فى وقت واحد، ولما لم يفهم راحوا يسخرون منه، ويتهمونه بأنه لا يفهم لأنه يشجع النادى الآخر .. مثلا يقولون: أنت لا تفهم إذن فأنت زملكاوى.. أنت اللى ستين أهلاوى.. طبعا أنت لا تقدم إلا..و لما ابتعد عنهم الجرسون راحوا يطلقون عليه ألفاظا عارية.. فلما التفت إليهم ليرى من الذى شتمه كانوا قد اتجهوا إلى الناحية الأخرى حتى لا يراهم. فلا هى شجاعة ولا هى جرأة.. و إنما عنف وجبن معا!!

هذا هو المزاج العام لبعض الشباب: العنف فى الكلام والحركة والسلوك.. ولا ثقافة!

والأفلام السينمائية فى العالم كله تعرض العنف والعضلات.. أفلام الحرب والعصابات والسرقة والقتل.. لماذا؟ لأن الشبان هم الذين يذهبون إلى السينما، يفضلونها على التليفزيون، لأن

التليفزيون مفروض على الذين يشاهدونه.. أما السينما فهى من اختيار الشباب.. يذهبون إليها أو لا يذهبون .. ويجدون فى الذهاب إليها والجلوس على المقاعد أو فوقها والزعيق والصراخ والتريقة مجالا لممارسة العنف ونقد المجتمع، ولذلك فشباك التذاكر يسجل ارقاما قياسية للشباب الذى لا يهضم إلا العنف والدم والنار والانفجار.

فالسينما ـ إذن ـ تقدم للشباب بالضبط ما يريدون!



أم كلينتون

يعرض التليفزيون الأمريكى على كل قنواته صورا من حياة زوجة الرئيس كلينتون وزوجة منافسة دول. لكى تكتمل الصورة عند المواطن الأمريكى.. لأن السيدة الأولى لها دور كبير فى حياة صانع القرار: رئيس الجمهورية.. أما زوجة كلينتون وهى المحامية السيدة هيلارى رودهام. فيقولون انها سيدة ذات مبدأ أخلاقى . على عكس زوجها تماما. فهو رجل طموح يريد القوة. و كأى سياسى لا يعطل نفسه كثيرا بالبحث عن المبدأ الأخلاقى الذى يعوق مسيرة القوة. ويقولون أن هيلارى. شخصيتها اقوى من شخصية زوجها . وكانت محامية ناجحة . ولم تغير اسمها من هيلارى رودهام إلى هيلارى كلينتون إلا بعد أن صار زوجها رئيسا للدولة (على خلاف السيدة تانسو شيلر الزعيمة التركية التى لم تغير اسمها وانما زوجها هو الذى غير اسمه وجعله على إسم زوجته. وقد ساهمت هيلارى فى كثير من الخطط الانشائية والصحية لبناء الأسرة الأمريكية.

واختلفت الأراء حول نجاحها بسبب صعوبة تحقيق أمالها العريضة، أو بسبب جهلها واستعجالها. ولكن لا خلاف على جديتها واخلاصها وتفانيها!

وكانت هدفا لحكايات ايضا. فيقال انها كانت على علاقة غرامية بالرجل الذى انتحر فى البيت الأبيض!

اما قصص زوجها الواد الحليوة فلا أول لها ولا اخر.. وحاول خصوم كلينتون ان ينالوا منه.. فتحقق لهم ! ولكن لم يسقطوه.. فالمجتمع الأمريكى يقبل مثل هذه العلاقات خارج الحياة الزوجية..

ووقفت هيلارى إلى جانب زوجها تغفر له ذلك. فالمرأة التى أهينت فى الدرجة الأولى تسامحت. فليس غريبا ـ بعد ذلك ـ ان يغمض الناس عيونهم عن مغامرات كلينتون..

وحاول الرئيس بوش أن يفضح كلينتون بأنه كان هاربا من الجندية أو انه تحايل على عدم دخول الجيش. ولكن اثبت كلينتون انه كان طالبا يدرس فى بريطانيا. والقانون صريح فى ذلك: بأن يظل طلبة البعثات فى معاهدهم ولا يتركونها . لانهم جنود التعليم والتربية والعلوم ايضا. وعيره بوش بانه ابن ممرضة سكيرة متعددة الأزواج!

وكان اتهامه سخيفا لان احدا لا يختار امه! ثم اذا كانت سكيرة فما دخله.. واذا تزوجت عدة مرات فما عيبها.. فقد مات ابو كلينتون وهو فى بطن امه.. واتخذ اسمه من اسم زوج امه الثانى..

و فى مذكرات ام كلينتون الظريفة تحكى عن اول مرة رأت فيها هيلارى تقول: ان ابنى الواد الحليوة يمشى مع بنت شعرها منكوش وتضع نضارة غليظة على عينيها ومتختخة وترتدى بنطلون جينز سألته: من هذه اعوذ بالله؟ فأجاب: انها صديقتى وسوف تكون زوجتى..

ـ ولكن يا ابنى!

ـ أنت لا تعرفينها يا ماما .. انها انسب واحسن واحدة لى.. انها ذكية . ولن اختار غيرها!

وتأسف الام لان ابنها تزوجها ـ هذه البنت الدميمة ـ وكان فى استطاعته ان يتزوج ملكة جمال لو اراد.. وتقول ام كلينتون: فعلا لابد ان تكون شديدة الذكاء وإلا كيف استطاعت ان تطوى ابنى وتضعه فى جيبها الصغير.. انها شاطرة. ولكن ابنى بيل خيبان!

ويبدو أن ظل هذا رأيها .. فقد صدرت مذكراتها وابنها رئيسا لأمريكا!

وكانت هيلارى محامية بارعة. وكانت واحدة من احسن مائة محام فى امريكا كلها.. وكانت تتقاضى اجرا أكبر من أجر زوجها الآن!

أما زوجة المرشح الجمهورى بوب دول: اليزابيث دول فقد كانت وزيرة للمواصلات فى وزارة الرئيس ريجان. وهى خفيفة الدم وانيقة. ولكن يبدو أن الناس لا يجدونها تصلح لأن تكون السيدة الأولى ولا

أن يكون زوجها السيد الأول لأمريكا.. فهو كثير السخرية من كلينتون الذى عرف الشعب الأمريكى انجازاته، ولم يعرف لبوب دول شيئ سوى النكت والقفش - وهى لا تؤهله لأن يكون رئيسا لأمريكا !





سكان وبوابون..

الذين يدرسون حياة العظماء يجدون أن همومهم كبيرة، وان هذه الهموم يطير لها النوم من العين، كأن الهموم اعيرة نارية والنوم غربان سود نوحيه ـ أى من أيام نوح عليه السلام ـ ولكن الغريب ان هؤلاء العظماء ينامون بعمق. ساعات قصيرة أو طويلة .. نابليون مثلا.. ولكن من خلال هذه الحياة المثيرة المتفجرة بالحروب والدماء والدسائس نجد ان هذا الرجل ينام بعمق كأنه طفل أوى الى حضن امه. و كان ينام واقفا، وكان ينام راكبا حصانه.

وكان فى قلب المعركة يأوى الى احدى الخيام وقد خرج بصورة واضحة جدا لخطته القادمة.. ويتصور جنوده انه لا ينام أو انه ينام صاحيا، أو عنده قوى خفية تفكر له وهو نائم. وانه يرى حلول المشاكل الكبرى فى احلامه..

وعدت اقرأ عن الاسكندر وعن تشرشل، وعن هتلر وعن ديجول وعن لينين وعن كثير من أصحاب الرسالات الفكرية والسياسية.. كثيرون جدا يعرفون النوم العميق..

ويبدو انها قاعدة: من يعرف النوم العميق يصبح قادرا على فعل الكثير، لانه يكون اقدر على التركيز والاستغراق.. واقدر على ان يريح نفسه بنفسه، فإذا صحا فإنه يكون قادرا على التركيز فى عمله. وكل الأعمال الجليلة فى التاريخ حققها اناس قادرون على التركيز والتفرغ.. اى الذين عندهم ارادة الاحاطة والشمول والحضانة. ولولا النوم الطويل الهادئ للجنين فى بطن امه، ما ولد سليما. بل لنزل قبل ان يكتمل وجوده.. ولولا المحاريث والمياه والرياح تقلب الأرض على البذور، ما ظهرت بذرة واحدة، ولا شجرة واحدة، ولكن النوم الهادئ والحضانة الآمنة هى التى تجعل الطفل يكبر والشجرة تولد من البذرة.

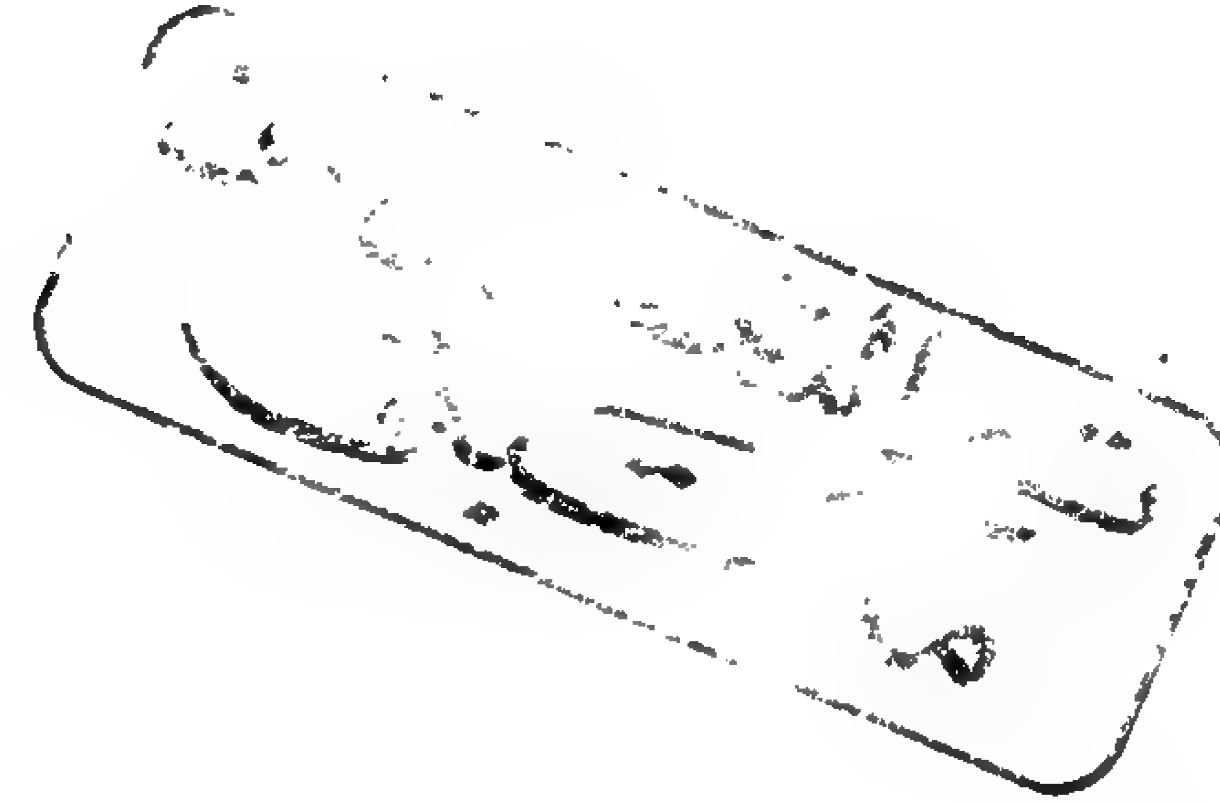
ويظهر ان الناس نوعان:

سكان وبوابون.. ناس ينامون فوق ويتركون السلالم والابواب لمن يحرسها وهم نيام.. وهؤلاء البوابون هم الذين يقفزون عند كل حذاء يطرقع، أو باب ينفتح.. واعترف اننى من الذين يستمتعون بغريزة البوابين . فأذنى مضبوطة على كل صوت وكل باب.. ولا اعرف ما الذى أضاف عليه ولا أعرف ما الذى احرسه.. ولكنه داء قديم أو انها أرواح الوف البوابين قد تلبست جسدى وعقلى وروحى. ولذلك فأنا حارس بلا باب ولا عمارة.. بل اننى انتفض اذا

نمت وتتراقص الصور امام عينى.. لأن الدنيا كلها تدق على طبلة أذنى.

فهنيئا لمن يعرفون النوم الطويل الهادئ، هنيئا لهم بالنوم وبما سوف يتحقق فى يقظتهم من اعمال عظيمة هى التى صنعت التاريخ ..

اما نحن البوابين أو «كلاب الحراسة» فلنا الاخرة.. لأن الدنيا راحت علينا.. ومن يدرى ربما فى الأخرة نكتشف انه حتى هذا النوم القصير كان اكثر مما نستحق .. و على ذلك يجب أن نصحو الى الأبد!



جميلة الجميلات

توفيت فى فراشها أجمل جميلات الدنيا مارلين مونرو عن ٣٦ عاما. ولم تختف صورها حتى الآن.. ولا توقفت الكتب التى تتحدث عنها وتترحم عليها. وانا شخصيا قد اعددت كل الكتب التى صدرت املا فى ان يكون لى كتاب عنها..

مع أننى لم ارها شخصيا الا دقائق. ولكن عندى كلام عنها وعن مثيلاتها من ضحايا السينما. ولا أحد يعرف كيف ماتت. هل انتحرت؟ هل قتلتها المافيا؟

هل قتلتها المخابرات الامريكية بعلم أو دون علم الرئيس الامريكى جون كيندى..

وهل المخابرات هى التى اغتالت كيندى ايضا بعد ذلك بشهور؟!

آخر الاراء فى اسباب اغتيال كيندى أن المؤسسة العسكرية هى التى قتلته لإنه كان داعية سلام. وإن السلام الذى يدعو إليه

سيخرب بيت تجار السلاح فى أمريكا. ولذلك كان لابد من الخلاص منه.

وبقيت قصة مارلين مونرو.. هل هذه البنت المسكينة الجميلة جدا هى التى تعبت من حياتها فقد كانت العوبة فى ايدى الرئيس كيندى وأخيه وهل توهمت هذه الشاذجةأن كيندى صادق فى حبه لها.. إنه رجل سياسى وكلامه فى الليل مثل كلامه فى النهار: كلام.. هل هى ايضا بسذاجتها كانت تتباهى بما يقوله لها كنيدئ.. وكانت تنقل ذلك إلى الناس حولها والذين ينقلونه إلى المخابرات الإمريكية.. وهل هى التى قالت أن كيندى سوف يضرب كوبا بالصواريخ.. فكان لابد من التخلص منها.

هل هذه الفتاة المعذبة قد تعبت من حياتها التى هى كذب فى كذب.. وإنها مجرد سلعة شقراء يتقاذفها المنتجون ويكسبون من ورائها الملايين.. لقد تحدث آخر ازواجها الكاتب ارثر ميللر فى مسرحية (بعد السقوط) عن مارلين مونرو فقال: عيبها هو اعتقادها بأنها مدينة لكثير من المنتجين والمخرجين والممثلين والمصورين.. وإن لهم عليها حقوقا كثيرة وقد حاول ميللر ان يقنعها بأنها هى صاحبة الفضل عليهم جميعا وإنها ليست مدينة لاحد بل هم جميعا المدينون لها. ولم تقتنع. ولذلك كانت تبذل جهدا هائلا ومالا كثيرا فى ارضاء كل الناس حولها..

فلم تتحمل اعصابها المرهقة والمرهفة ايضا كل التيارات العنيفة حولها.. ولم يتسع وقتها لكى تفهم وتستوعب مايدور هنا وهناك..

لقد وقعت فى شبكة التجار والساسة والمخابرات فكانت اضعف من الجميع. وجاءت الحبوب المنومة لتريحها من كل ذلك. وفى نفس الوقت ليتعمق الشعور بالاحباط والفشل والعزلة والبهدلة والهوان..

واحبها الكثيرون وتاهت مع الكثيرين ووجدت نفسها وحدها فى نهاية كل يوم وليلة.. هى تصدق مايقال. والذين يقولون يكذبون عليها.. وقد سمعت كل انواع الكلام الحلو وبكل اللغات فلم تعد تصدق احدا.. ولم يعد لها شئ أو احد تعيش من اجله. فهل ادى ذلك إلى انتحارها؟ ان كثيرا من الناس يشكون فى حكاية الانتحار هذه. ويرون ان الطب الشرعى قد تطور الآن. وإنه فى استطاعة الاطباء والكيماويين ان يعرفوا الحقيقة. فيوم انتحارها لم يكن فى استطاعة الطب الشرعى أن يكشف بدقة اسباب الوفاة.. ولكنه الان يستطيع ان يكشف اسباب الوفاة من تحليل عظامها الباقية.. وأن يقطع نهائيا أن كان موتها انتحارا أو قتلا بالسم.. أو بأى شئ آخر.

ولذلك تقدم عدد من محبى مارلين مونرو والكارهين للمؤسسة العسكرية والمافيا ولجميع افراد اسرة كيندى يطلبون اعادة التحقيق فى اسباب الوفاة.

وان يستخرجوا بقاياها لكى يعرف الناس ماذا حدث لهذا الكائن الجميل المسكين التعيس الذى اوقعه جماله الساحر فى مصيدة اسوأ انواع البشر:

المنتجون والعصابات وجون كيندى والمخابرات الامريكية!!

جورباتشوف فوق

لابد أن يضع التاريخ جورباتشوف فى مكان رفيع جدا بين رجالاته الذين غيروا ملامح القرن العشرين وسوف يبقى اثرهم فى القرن الواحد والعشرين: هتلر وموسولينى وفرانكو وتشرشل وروزفلت ولينين واتاتورك والسادات والخومينى وغيرهم.

فقد استطاع جورباتشوف ان يهد الاتحاد السوفييتى على دماغه ودماغ كل فلاسفة المادية الجدلية التى ترى ان التاريخ عربة حنطور يجرها حصان شيوعى إلى هدف محدد سلفا هذا الهدف هو أنهيار الرأسمالية وسيطرة الطبقة العاملة، فإذا حدث ذلك توقف الحصان وتفككت عجلات الحنطور من تلقاء نفسها.. وهذه هى جنة العمال حين ينتهى التاريخ والصراعات والخناقات بين الفقراء والاغنياء وبين المؤمنين والملحدين.

فبعد سبعين عاما من الشيوعية الماركسية اللينينية وشيوعية بولندا وشيوعية يوغوسلافيا لم تبق إلا شيوعية الصين وكوبا.. ولكنها إلى انهيار وزوال..

فقد حلل جورباتشوف عيوب الشيوعية، فإذا هي عيوب العالم الثالث كله.. وإذا روسيا هي كبرى دول العالم الثالث لإنها متخلفة صناعيا واجتماعيا.. وأنهار الاتحاد السوفييتى وتفكك واستقلت الجمهوريات التى يتكون منها.. واتجهت الشيوعية إلى الغرب.. إلى المانيا وإلى أمريكا.

وقد حاول جورباتشوف ان يوقف الانهيار، فلم يستطع بل أن الشعوب اتهمته بالرجعية أى بأنه يريد ارجاع التاريخ إلى الوراء.. إلى الشيوعية، لقد انتهى كل شئ.

وكان جورباتشوف ولايزال شيوعيا، حاول إصلاح الشيوعية من داخلها، ففشل ولم يكن فى نيته أبدا ان تنهد الدنيا وينهار المعبد الشيوعى فوق دماغ شمنشون جورباتشوف ولكنه انهار واكتسح جورباتشوف الذى هدم الكرملين وفتح المعابد.. وساعد على هجرة اليهود إلى إسرائيل ليغيروا وجه الحياة هناك.. وليأتوا بهذا المتعصب نتنياهو.

انتهى العمر الافتراضى للرئيس جورباتشوف، ولن يسمح له الروس بأن يعود إلى السلطة فقد انتهى دوره التاريخى العظيم، وفى استطاعته ان يجلس فى شمس المجد والشهرة ويكسب الملايين وتشترى زوجته ما تريد من فراء وسيارات، فهى حرة، والناس جميعا

احرار، أما أكثر الناس حرية فى روسيا الآن فهم اللصوص والعصابات وتجار المخدرات والجنس.

وحاول جورباتشوف ـ ومعه حق ـ ان يؤكد أن هناك تشابها تاما بين الشيوعية والمسيحية.. فالمسيحية لها الفاتيكان والشيوعية لها الكرملين.. والمسيح حي ولينين ايضا! والمسيحية فيها جنة والشيوعية ايضا.. والمسيحية لها كتابها «الانجيل» والشيوعية لها كتابها «رأس المال» لكارل ماركس.. ولكن احدا لم يسمع كلام جورباتشوف فى روسيا الملحدة وفى الغرب المؤمن.

يقول جورباتشوف فى مذكراته: إنه لايكره الشيوعية إنما كان يكره التسلط على عقول الناس والمحاولة المستمرة لجعل العقول قوالب من الطوب.. لها نفس الشكل والحجم واللون.. والشيوعية تمنع الاختلاف والاجتهاد والابداع.. فليس مطلوبا من الشيوعى ان يجتهد فى السياسة.. وإنما يكون «اتباعيا» يمشى فى الطابور الذى يبدأ بالكرملين ويعود بعد أن يلف العالم كله إلى الكرملين ايضا.

يعترف جورباتشوف فى مذكراته : أن هذا بالضبط هو الذى جعله يثور على الشيوعية ويحاول إصلاحها فاكتسحه الإصلاح وطرده من الحياة السياسية.. فقد رأى الروس الجدد عالما جديدا باهرا ساحرا وأحسوا أن الزعماء الشيوعيين مجرمون فقد خدعوهم بأن الجنة تجئ فى نهاية التاريخ.. على أن الجنة موجودة فى الدول الرأسمالية، ولا داعى للتضحيات الهائلة من اجل الجنة الشيوعية المزيفة.

معقول؟

تصور نفسك فى حالة ارهاق أو حالة رغبة فى الراحة من الارهاق ودخل عليك رجل ضخم الجثة كل ملامحه غليظة وجهه وشفتاه وأنفه وذراعاه وصوته ومن غير أى مقدمات راح يقول لك وبصوت مرتفع: أترك الكلام الفارغ الذى فى يديك لافائدة من هذا كله.

وقبل أن تتحقق من هذا الكلام الفارغ الذى فى يدك وهل هو كذلك وقبل أن تتساءل إن كان لهذا الغريب الحق فى أن يوجه إليك هذا الكلام دون سابق معرفة فإنه يقول لك كل الأدوية سموم اسألنى أنا الذى تعلمت فى السويد والنرويج والدانمرك.. وغدا اسافر إلى اليونان وهذه هى تذكرة السفر حتى الفلوس قد حولتها إلى دراخمات .. اذا كان عندك أى شك فى أى شئ.

وبعد ذلك أى بعد وضع هذه الأحكام النهائية فإنه يبدأ فى عرض حيثيات هذه الأحكام فهو يقول إنه تجاوز الستين من عمره شعره أسود كل أسنانه تهرس أعواد القصب وعضلاته تحطم أى إنسان إذا عانقه المطلوب هو أن اترك كل الأدوية وقبلها كل ايمان فى الطب وقبل ذلك أن العلاج لأى مرض هو كيمائى لأن العلاج «طبيعى» مثلما وهو الذى يقول أنت تعرف الحركة الدودية للأمعاء وما الذى يجعلها تفعل ذلك؟ ومالذى يوقف نشاطها هذا؟ ليس الدواء ولكنه الكسل والخمول والبلادة والنوم على المكاتب كل يوم.. أى أنك أنت الذى تمرض نفسك وأنت الذى تستطيع أن تشفى نفسك.. والشفاء موجود عنده فى العيادة.. لادواء.. لاماء.. لاحبوب.. لاحقن.. فقط أن تنام وتتمدد وتجئ الألات من حديد وجلد وتحرك بطنك يمينا وشمالا وإلى تحت وإلى اسفل.. أنفاسك العميقة وأهم من ذلك مع رغبتك فى الشفاء..

والكلام معقول طبعا..

وأكثر معقولية من هذا أن الذين يعملون كثيرا جدا وهم ضعاف الاجسام أو مرضى لماذا يفعلون ذلك؟ انهم مرضى ولذلك فهم انتحاريون فقط ادركوا الحقيقة المؤلمة ولذلك لا يبالون بالنتائج وكل المرضى عندهم هذه الرغبة الدفينة فى ان يموتوا وتذكرت القصة التى يرويها الكاتب الكبير بلوتارك من أن أحد القواد أعجب بواحد من جنوده لأنه شجاع ولا يهاب الموت رغم أنه مريض جدا وأوصى بعض الأطباء بعلاجه ولما عولج لاحظ أنه لم يعد شجاعا مقداما فسأله ماذا جرى؟

فأجاب أنت المسئول عن جبنى فعندما لم تكن عندى صحة لم أخف الموت.. وعندما عادت لى الصحة أصبح عندى ما أخاف عليه.

ولو استرد الإنسان صحته لجلس على مكتبة أقل ومشى فى الشوارع والحدائق اكثر فمن غير صحة لاحياة ومن غير مرض لا انتحار.

شئ عجيب أن يصدر الكلام المعقول بصورة غير معقولة.. فالذى ذكرته فى سطور قد سمعته فى ساعات.. وبعد ان خرج الرجل بقى الدوى فى أذنى والزغللة فى عينى ومددت يدى إلى قرص مهدئ واعتدلت على مكتبى فى هذا الذى اسماه بالكلام الفارغ!

.. احمد ربنا!

من عادات اليهود عندما ينهضون من نومهم أن يتوجهوا إلى الله بالشكر على أنهم لا يزالون أحياء وأن لهم أذرعا وسيقانا وأنهم يرون ويسمعون ويأكلون ويشربون وأنهم رجال.. يعنى هناك ألف سبب لكى تشكر الله على أنه أعطاك ذلك كل يوم.

ونحن يجب أن نشكر الله لأسباب أخرى وهى أنه رغم وجود المواد السامة فى الماء والهواء وكل أنواع الطعام فنحن لا نزال أحياء.. فالماء قد لوثته المواد الكيماوية التى جاءت من المخصبات ومن المبيدات ومن الصرف الصحى ومن الحيوانات النافقة ومن مخلفات المصانع على النيل من أوله لآخره ...ومع ذلك فنحن لا نزال أحياء.

أما سكان شمال الدلتا، فلهم صلوات ودعوات خاصة فقد تجمعت كل سموم مصر فى مياه النيل فى الغربية والدقهلية والشرقية وكفر الشيخ ورأوا بعيونهم كيف أن الأسماك تطفو ميتة

على وجه البحيرات.. ورأوا كيف أن الصرف الصحى يصب فى الترع التى يستحم فيها الأطفال والبهائم وتمتلىء منها البلاليص للشرب والطهى.. ومع ذلك لا يزالون أحياء!

إنها معجزة الخالق كل يوم تتأكد فى جميع مدن مصر من أسوان حتى دمياط!

وحمدنا الله وشكرناه على أنه أعطانا هذه المناعة العجيبة إن لم تكن مناعة تامة، فهى مناعة نصف العمر أو بعض العمر أو كل العمر... وفجأة ظهر شىء جديد.. هذا الجديد جعل كل هذه الأطعمة لا طعم لها.. وعلى الرغم من أنها بلا طعم، فإنها لا تخلو من ضرر.. ضرر يضاف إلى كل هذه الأضرار السابقة.

هذا الجديد هو من نتائج «الهندسة الوراثية».. وهذا هو العلم الجديد الذى يتسلطن على كل العلوم وكل العقول.. هذا العلم قائم على أنه عن طريق إعادة تنظيم الخلايا وإعادة تركيبها، يمكن التحكم فى حجم ولون ووزن جميع النباتات والحيوانات.. فعن طريق الهندسة الوراثية يمكن أن يكون للطماطم وزن أكبر ولون أكثر إحمرارا.. ومن الممكن أن يكون وزنها أصغر وشكلها أكثر استداره.. وكذلك البطيخ والبرتقال وكذلك الطيور والأسماك والأبقار والجواميس.. كلها من الممكن أن تكتسب شحما ولحما ولبنا أكثر وأغزر.

وقد رأيت فى تايوان كيف قام علماء الهندسة الوراثية بتطوير «السمك النيلى» فجعلوه أطول وأسمن.. وكيف طوعوا الجمبرى

هناك.. فقد كان الجمبرى ينطلق بعيدا عن شواطىء جزيرة تايوان متجها إلى المياه الدولية ليجد الصيادين اليابانيين فى انتظاره!

وقد استطاع العلماء أن يجعلوا هذا الجمبرى يخرج من المياه الإقليمية ليعود إليها، فيجد الصيادين الصينيين فى انتظاره!

وفى كل الدنيا خضروات وفواكه وأسماك وأبقار وطيور كلها من نتائج الهندسة الوراثية .. فماذا حدث؟

هذه الكائنات الهندسية ليس لها طعم.. لها حجم ووزن ولكن لا طعم لها.

أما الذى له طعم، وإن لم يكن له شكل هندسى فهى الخضروات والثمار التى لا تدخلها المواد الكيماوية سواء المخصبات أو المبيدات.. ولذلك ارتفع سعر هذه الحاصلات الزراعية الطبيعية وليست «المفبركة» هندسيا.. وفى كل أسواق الدنيا لافتات تؤكد لك أن الفواكه واللحوم التى أمامك طبيعية .. أى بلا مخصبات وبلا هندسة وراثية.. وإنها لذلك أصح.

إذن ـ وهذا رأى كثير من العلماء ـ أن الفواكه والخضروات واللحوم التى جاءت من تطبيقات هندسية ضارة مرة أخرى.. ضارة بسبب المواد الكيماوية وضارة بسبب الهندسة الوراثية..

يا شيخ أحمد ربنا أنك على قيد الحياة.. إنها المعجزة اليومية!

الأشياء الصغيرة

لا تصدق أن الأشياء الكبيرة والأحداث الهائلة هى التى تغير الرجال أو النساء، أو ما بين الناس، وإنما هى الاشياء الصغيرة والحوادث التافهة أيضا لماذا؟ لأننا بشر وكما يبكى الإنسان عند خلع الضرس، أو عندما تنفذ فى جلده شوكة، أو يدخل فى قدمه مسمار. كذلك أى تصرف صغير يوجعه بنفس الدرجة.

وكلما كان الإنسان قويا كانت الأشياء الصغيرة التى تضايقه أو توجعه ذات أثر عنيف على غيره من الناس.

فلو فرضنا أن شخصا مهما قال عنك : إن دمك ثقيل. فمعنى ذلك أن فى استطاعته أن يحرمك من أشياء كثيرة وأن يفضل عليك كثيرا من الناس، وربما أدى هذا التصرف إلى تعطيل تقدمك، أو إلى لخبطة حياتك كلها.. هذا ممكن، ولابد أن يكون قد حدث ألوف المرات.

ولابد أن العبارة المشهورة التى تقول إن أنف كليوباترا قد غير التاريخ معناها: أن كليوباترا أو فمها أو قدميها أو قوامها كانت السبب فى هذه الحروب الدموية بين الثلاثى: قيصر وانطونيو واكتافيوس قبل الميلاد بأربعين سنة.

إنها اشياء صغيرة أدت إلى حوادث كبيرة.

وكذلك هيلين حسناء اليونان هى التى أدت إلى حرب طروادة منذ ثلاثين قرنا.. واستمرت خمسة وعشرين عاما.. وأصر زوج هيلين على استردادها من الرجل الذى خطفها وعاد بها وهى عجوز فى الستين.

ومنذ مائة سنة يقال إن المستشار الالمانى بسمارك قد نشر برقية تدل على أن السفير الفرنسى قد أهين فى حضرة الامبراطور الالمانى هذه الاهانة اثارت فرنسا، فنشبت الحرب السبعية.

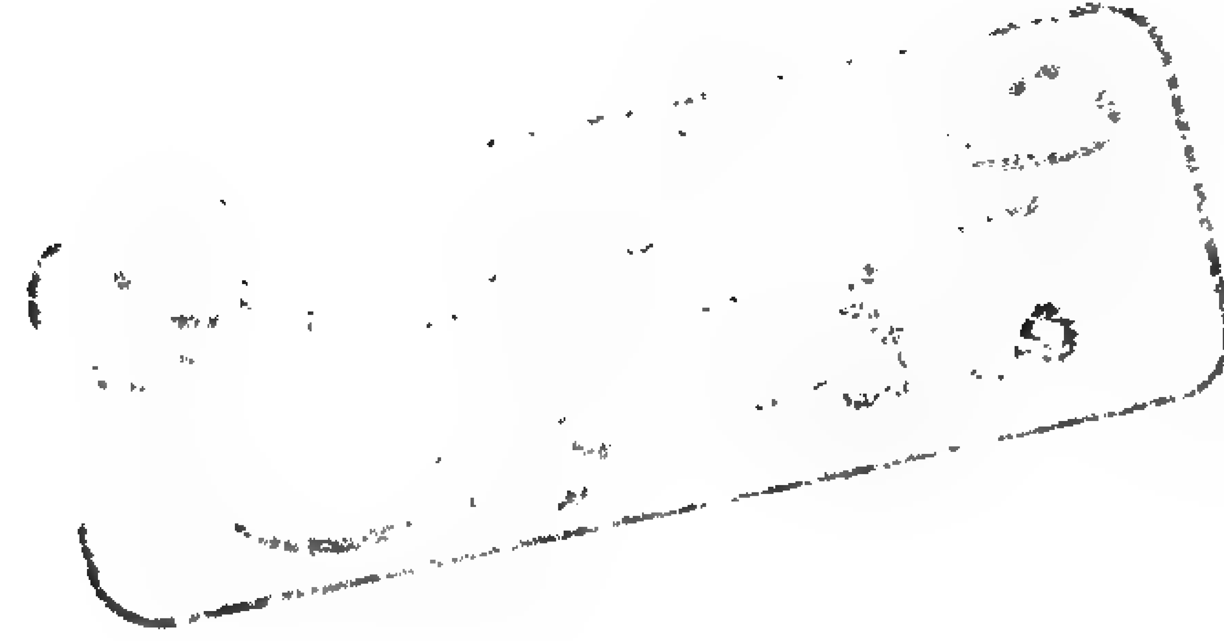
ويقال إن الحرب العالمية الأولى قد جاءت لأن أحد امراء النمسا قد قتل فى يوغوسلافيا.

ومن الأسباب المضحكة لقيام إحدى الحروب أن ضابطا انجليزيا وقع فى أيدى الاسبان فقطعوا أذنه. الضابط اسمه جنكينز وعرضت هذه الاهانة على البرلمان الانجليزى فقامت الحرب البحرية بين انجلترا واسبانيا فيما بين عامى ١٧٣٩ و ١٧٤١ .. والسبب هو احدى أذنى ضابط سكران.

والمثل الذى يقول: النواة تسند الزير، معناه أن هذا الزير إذا سحبنا من تحته النواة الصغيرة فإنه يقع.

إنها إذن الأشياء الصغيرة التى تسند الأجسام الكبيرة وفى نفس الوقت توقعها وتوقع بينها وبين الناس..

فليست الاشياء الكبيرة هى السبب فى عذاب الناس أو تعذيب الناس للناس، إنها الاشياء التافهة لأننا تافهون فى كثير من الأحيان!



ليس هربا

عندما اكتشف الانسان القارات لم يكن الهدف أنه هارب من بلاده من قارته إلى اماكن أخرى .. وإنما الانسان مغامر.. محب للمعرفة مهما كلفه ذلك وقد كلفته المعرفة حياته.. وكل رواد المعرفة فى البر والبحر والجو مستعدون لأن يقدموا ارواحهم مرة أخرى من أجل ان يعرفوا..

ولذلك فاتجاه الانسان إلى الكواكب فوقنا وحولنا ليس هربا من كوكب الارض ولا ضيقا بها وإنما هو توسيع مجال الرؤية وتعميق للحقيقة .. أو لوسائل معرفة حقيقة الانسان على الأرض وحقيقة الارض فى المجموعة الشمسية وحقيقة المجموعة الشمسية فى المجرة وحقيقة المجرة بين الوف ملايين المجرات فى الكون ثم ما هذا الكون؟ ولماذا؟ وما المعنى وما الحكمة؟ وأين كنا؟ وهل هناك كائنات أخرى مثلنا أكثر تطورا أو أقل تقدما؟

إنه الإنسان الفاضل ـ وأرجو أن تتوقف لحظة عند كلمة الفاضل هذه فأنا أقصد معناها فى اللغة الاغريقية القديمة فقد كان الفيلسوف سقراط يقول: إن فضيلة العين أن ترى.. وفضيلة الاذن أن تسمع.. فالعين تكون فاضلة إذا ادت وظيفتها.. ويكون الانسان فاضلا إذا ادى وظيفته ووظيفة الانسان أن يفكر وأن يظل يفكر بحثا عن الحقيقة وراء الاشياء والعلاقات بين الاشياء وبين الناس وبين الكواكب والنجوم فالانسان إذن فاضل ما دام يفكر ويبحث ويتساءل وقد نزل الانسان على القمر.. وفيه اقام الانسان محطة مدارية هذه المحطة هى سكن مؤقت لرواد الفضاء وهى ورشة لاصلاح سفن الفضاء وهى نقطة وثوب إلى كواكب أخرى..

أما الكوكب الذى سوف نفتتح به القرن الواحد والعشرين فهو الكوكب الأحمر ـ أى كوكب المريخ وقد انشغل به العلماء من مئات السنين وذهب بعضهم إلى أن هناك حياة وأن هناك زراعة فقد وجدوا القنوات الطولية والعرضية والتى تتغير من فصل إلى فصل.. أى هناك فلاحون وعمال يزرعون ويصنعون وظهرت قصص وخيالات تؤكد هذه الحياة وانطلقت سفن الفضاء إلى المريخ وانزلت اجهزة اختبار للجو والتربة.. فلم تجد أحدا ثم أرسلوا سفنا أخرى.. وهذه السفن اقتربت من سطح المريخ وانزلت بالمظلات الواقية معامل ومصانع صغيرة.. راحت تحفر فى التربة تبحث عن ماء تحت التربة.. أو عن جليد.. واخيرا جاءت الاخبار المثيرة جدا فقد وجدوا اثار حياة.

وأعادوا تحليل حجر قد عثروا عليه فى القطب الجنوبى.. هذا الحجر تطوح من المريخ من عشرين الف سنة ولكنه ظل يدور فى الفضاء ملايين السنين.. وفى هذا الحجر وجدوا بقايا حياة.. بقايا خلايا حية ميتة.. هذه الخلايا جاءت من المريخ.. أى أنه كانت هناك حياة أى من الممكن أن تكون هناك حياة ولاسباب لا نعرفها انعدمت الحياة والعلماء الانجليز يكذبون كل ذلك!

ويمكن أن نقول: إن الإنسان وسط بين الذرة والمجرة وأن الإنسان هو الكائن الوحيد ـ حتى الان الذى يعرف أنه يعرف ويعرف أنه يدرك الكون..

وأن الكون نفسه لا يدرك نفسه ولكى يدرك نفسه لابد أن تكون هناك عقول كانت خلايا يوما ما!.

أن تعيش..

الحياة مرحلتان: أن تعيش، وان تعيش بعد الموت، أو بعبارة أخرى: هذه الحياة هى مرحلة الإعدادية والثانوية، والموت هو الجامعة، أو بعبارة أخرى أن الإنسان فى هذه الحياة كمن يطارد بطة فيجرى وراءها ثم يجد نفسه فى أرض غريبة لم يرها من قبل هذه الأرض الغريبة هى الحياة بعد الموت.

هذا هو معنى الحياة بعد الموت عند الفراعنة فهم يرون أن الحياة بعد الموت هى الحياة الحقيقية، وليست حياتنا هذه إلا نوعا من العمل الطيب لادخار الحسنات والأموال التى تنفعنا عندما نذهب إلى العالم الآخر، ولذلك حرص الفراعنة على تحنيط الموتى فهم يخرمون الدماغ حتى يخرج منه المخ ثم يحنطونه، ويخرمون البطن حتى تخرج منه الاحشاء ثم يحنطونها ويضعونها فى أناء إلى جوار الميت، وفى سبعين يوما يتم تحنيط الميت بوضعه فى الصمغ وفى

العسل وفى الاملاح والعطور وتجفيفه.. ثم صبغ اظافر الارجل واليدين وتثبيت الاظافر بسلوك من الذهب.

وحول قبر الميت يرسمون له خريطة الحياة الثانية، وتتحول جدران المقبرة إلى بطاقة شخصية يضعون فيها ملامح الميت وأعماله ومايحبه من الاكل والشرب وماقدم من حسنات، ويشرحون له كيف يستعمل أدوات العمل والزينة.

وعندما تنكسر ذراع أو رجل احد الموتى يضعون له أطرافا صناعية وكثيرا ماقام الملوك بنبش مقابر خصومهم من الموتى، وشوهوا صورهم وفقأوا عيونهم، لماذا؟ حتى يعيش هؤلاء مشوهين بعد الموت، والملكة حتشبسوت بعد أن ماتت قام زوجها الثانى وهو فى نفس الوقت ابن زوجها الأول من امرأة أخرى، فحطم تماثيلها ومحا اسمها حتى إذا بعثت بعد ذلك كانت بلا اسم.. كانت فاقدة الذاكرة، فلا تعرف إنها كانت ملكة أو خادمة ملكة.

وكان الفراعنة يضعون عقودا ذهبية وماسية تحت اللفائف التى تحيط جسم الميت ويظهر أن الفراعنة قد لجأوا إلى نفس الحيلة التى يلجأ إليها مهربو المخدرات الآن: أى اخفاء المخدرات فى أماكن من الجسم، والفراعنة يحتالون بذلك على اللصوص حتى لايكونوا مفلسين يوم القيامة.

ومن المؤكد أن هؤلاء الملوك سيمدون أيديهم إلى الناس يوم «القيامة الفرعونية» بعد أن سرق منهم اللصوص والخواجات كل شئ.

حاولت..

بالشروق يبدأ النهار، وبالغروب يبدأ الليل ـ طبعا ليست هذه حقيقة جغرافية أو فلكية جديدة. ولكنى أرى إنها جديدة. فلم أعرف الفرق بين الليل والنهار. فالناس ينامون ليلا ويصحون نهارا. ولكنى لم أعد أنام لا ليلا ولا نهارا. والناس يعملون نهارا أو ليلا. ولكنى أعمل فى الليل والنهار ولذلك لا أعرف متى ابدأ ومتى انتهى. فأنا فى حالة بداية لا نهاية لها.

والذى ليس نائما هو فى حالة يقظة. والذى لاينام هو فى حالة ارق. ولم اعد أعرف الفرق بين اليقظة والأرق فى الحالتين، أنا ملتهب العينين، مصدع الرأسين، فأنا لى رأس واحد، ولكن من عجائب المخلوقات أننى أجد رأسى كل يوم رأسين، واحدا يميل على اليمين وبه صداع وواحدا يميل على اليسار وبه صداع. ومفروض إننى أحمل الرأسين معا والمسافة بين هذين الرأسين أمسكها أو اسندها على كفى. وليس حرصى على أن اضغط رأسى على المخدة

متقلبا على كل جانب، إلا املا أو يأسا من أن الصداع فى رأسى لم يلتحم بعد.

وأنا اعتقد الان أن هناك أكثر من جانبين.. احيانا أربعة وأحيانا ستة وفى معظم الاحيان عشرون. وليس فى استطاعتى أن ارسمها بالقلم. ولكن المسها الان بيدى. فأجد إننى اسطوانة مضلعة.. كثيرة الاضلاع.. وعند الوسط بالذات ينتهى أكثر من عمود فقرى. مؤكد أكثر من واحد. فإذا ملت فى جلستى إلى اليسار أوجعنى الذى إلى اليمين، وإذا ملت إلى اليمين أوجعنى الذى إلى اليسار..

وآخر اقتراح بالعلاج سمعته هو إننى يجب إن امشى اثناء النوم. وهذه الوصفة احتاجت إلى شرح لكى أفهمها ولكنى اكتبها الآن. الاقتراح هو أن اتهيأ للنوم. يعنى أغمض عينى واضع كل اغطيتى فوق كتفى وامشى فى البيت من هنا إلى هناك. عشر مرات وفى رأى آخر لايهم العدد مطلقا. وإنما امشى حتى اتعب. وبسرعة ادخل فى السرير. وسوف يجئ النوم. أى المطلوب هو ان احمل كل مسببات النوم، تماما كما يحمل الجندى كل اسلحته. وامشى حتى توجعنى قدماى أو ساقاى. فإذا حدث ذلك نمت ولكن المشكلة هى أننى بالفعل تعبان مهدود الطول، مهدوم العرض، مهدر الراحة.

ولا اقدر على ان احمل فراشى وادور به مجنونا ولكن المعقول هو أنه إذا احسست بالرغبة فى النوم القيت بنفسى على الأرض حتى لا أفكر فى هذا العمل الابله الذى فعلت. فإذا بدأت أفكر فى ذلك راح النوم واذا راح لايجئ..

أدخلت على هذا الاقتراح تعديلا معقولا. فقد تمددت على الفراش وحاولت أن أغالب التقلب على كل جانب. ورحت اتخيل نفسى رائحا غاديا.. ورحت اجعل تنفسى منتظما لعل وعسى.. ولم أنم ايضا وفعلت ما افعله كل يوم - مع الاسف - ذهبت إلى مكتبى ورحت اقلب فى الكتب، واقف اقرأ. وطلع النهار ونسيت أن أنام. والشئ الوحيد الذى تذكرته بوضوح هو أن أكرر ذلك فى أول الليل لعلى استطيع النوم عند الوقت الذى استراح الناس إلى تسميته بالفجر!



كلامهم فارغ..

في إحدى قصائد الشاعر اليوناني كازانتزاكس يقول: عندما اقتربت من الالهة وجدتهم يتحدثون كلاما فارغا.. ووجدتهم يلعبون في الرمال.. وبعضهم وجدته يلتقط الطيور من السماء ويحولها إلى طوب يرمى به بقية الآلهة!!

إن الشاعر يريد أن يقول: لاتتصور إن الكبار كبار، إنهم صغار ايضا.. بل أفكارهم صغيرة.. هذيان.. عبث..

اذكر أن سيدة سألت زوجها في أحد الايام قل لي ياحبيبي لماذا تزوجتني ؟!

قال: ولا تقولين إنني تافه.

قالت: لن أقول..

قال: انت تعلمين إنني تعلمت في بريطانيا.. احب الشاى بلا سكر.. واحبه ان يكون ثقيلا ويوم زرتكم طلبت منك أن اشرب كوبا من الشاى.. وكان ذلك امتحانا لك..

قالت: هه.. ثم ماذا؟

قال: وجاء الشاى وكان مضبوطا جدا وثقيلا وسكره قليل! هذا الذى اعجبنى فيك.. ولذلك..

قالت: تزوجتنى..

قال: نعم.

قالت: أقول لك الحقيقة ولاتغضب.

قال: لن اغضب..

قالت: فى ذلك اليوم اجازة الخادم.. فدخلت المطبخ لاول مرة. لم أجد الا القليل من الشاى والسكر.. ومن هذا القليل صنعت لك الشاى.. الاترى إنك تزوجتنى لاسباب تافهة.. هاها.. هاها..

وأذكر إننى سافرت فى احدى الطائرات الالمانية.. وفى الطائرة بهرتنى فتاة جميلة وكذلك كل الحاضرين.. سألنى جارى: مارأيك؟ قلت: رائعة.. هل تعرف لماذا هى لاتنظر لاحد.. لأن لديها احساسا اكيدا بأن شكلها الجانبى جميل.. جبهتها وانفها أنها رائعة.. القوام والجمال والدلال.. تحفة.. أنها نموذج للجمال الألمانى.

وكان ذلك رأى الجميع. ولكن واحدا منا تسلل إلى جانبها.. وكما يحدث فى الطائرات فالناس يشعرون بأنهم أسرة صغيرة.. يحيط بهم قلق واحد.. ولذلك فحاجتهم إلى الامان تبدأ بارتفاع الطائرة عن الأرض.. وتحدث إليها وفوجئ بأنها مصرية، وصرخ: مصيبة لقد سمعت كل ماقلناه عنها.. إنها مصرية!

وشعرنا بشئ من الخجل بقدر ما شعرت هي بالامتنان.. فلم نقل أكثر من أنها جميلة والا إنها مفاجأة لنا. فلم نكن نتصور أن فى مصر جميلات.. وأكدت لنا أنها مصرية..

ثم قالت: أنت تقول إننى لا أدير رأسى يمينا ولا شمالا لأننى احس بأن المنظر الجانبى لرأسى وجسمى هو الاجمل.. ولكن الحقيقة مضحكة.. فالماء قد انقطع فى بيتنا. ولم أجد ماء اغسل به وجهى الا الماء البارد. وهذا الماء البارد قد جعل عنقى متصلبا.. هاها.. هاها..

ثم قالت: هل اقول لك شيئا آخر دون أن تغضب.. لم اكن اتصور أن اناسا كبارا يفرحون بهذه الأشياء الصغيرة.. إنهم كالاطفال قد رأوا ظلطة ملونة. أو غطاء زجاجة.. أو كرة.. ولكن يبدو أن الرجل ليس الا طفلا صغيرا جدا واجمل ما فى الدنيا طفل.. صغير أو كبير..

كانت الدنيا كبيرة ..

يوم كنت شابا ـ كيف كنت؟ وكيف كان غيرى من الشباب.. كيف كانت الدنيا، وكيف كنا نريدها، وماخوفنا وماقلقنا، وماهى صورة حياتنا ومستقبلنا وما الذى يحرك أفكارنا وأحلامنا.

كل هذه الأسئلة لا أعرف لها إجابة الآن، ولا أعرف حتى إن كانت هذه أفكارنا فى ذلك الوقت، وإنما هى أفكار الاجيال من بعدنا.

فعندما كنت تلميذا كنت صغيرا، وكانت الدنيا كبيرة، وكنت أرى الشوارع واسعة جدا، وعبورها يحتاج إلى شجاعة، وكانت الميادين شاسعة وعبورها مخاطرة، ولكن عندما كبرت فى السن قليلا وجدت الشوارع ضيقة جدا، والبيوت مفعصة، والميادين لا هى ميادين ولا حاجة، ولا حتى المكتبة الفاروقية ـ نسبة إلى الأمير

فاروق الذى صار آخر ملوك مصر ـ إنها هى الأخرى صغيرة، وكنت اراها واسعة، وأرى الكتب على رفوفها بالالوف، أو عشرات الالوف ثم وجدت عندى شهادة من أمين هذه المكتبة يقول: إن ولدنا الطالب النجيب انيس محمد منصور قد قرأ هذه الكتب وعددها 523 كتابا ـ والامضاء أحمد حسنين المطراوى أمين المكتبة يناير "1944".

أى أن هذه المكتبة لم تكن كبيرة فالكتب التى حولى وأنا جالس الآن لاتقل عن خمسة الاف كتاب، مع أنها ليست إلا جزءا ضئيلا من مكتبتى التى تضم سبعين ألف كتاب، وأرى مكتبى هذا ضيقا خانقا، فالكتب على الجدران وعلى الأرض وورائى وأمامى وتحت قدمى.

فما الذى كنت اراه فى ذلك الوقت؟ بمنتهى الأمانة والصدق، لم أذهب فى تفكيرى إلى أبعد مما تمشى عليه قدماى وتراه عيناى، فما الذى كنت أمشى عليه، إنها بضعة شوارع وما الذى تقع عليه عيناى: لا شئ إلا الكتب، اتقلب بين صفحاتها واقبله بعينى ويدى واضعا تحت رأسى وأحلم بها وأفكر فيها، كل ذلك من أجل ماذا؟ ولا حاجة.. فقط اقرأ واقرأ واتحدث عن الذى قرأت، ولم تكن ملكة النقد قد نشطت عندى، وإنما كنت فى حالة استقبال وتسلية تامة، سببها احساسى بأننى لا أعرف إلا القليل، وأننى صغير أمام كل الذى لا أعرفه، ولم اقرؤه، ودماغى عبارة عن وعاء بلا غطاء يتلقى كل شئ اضعه فيه، واتركه مكشوفا ليقع فيه أى شئ اقرأ وبس!

كان لنا صديق غنى ـ كلمة غنى هذه ليست من عندى، فأنا لا أعرف معنى أن يكون الإنسان غنيا، فلم أكن أعرف ماهى مظاهر الغنى: هل بيوت كبيرة، هل كرافتة، هل هى ساعة.. هل هى الكولونيا التى نشمها فى بعض الزملاء.. هل هو لمعان الوجه؟.. ربما كانت هذه هى الاجابة، فقد كان لنا زميل غنى، وحاولت دون أن يساعدنى أحد أن أعرف معنى هذه الكلمة، فوجدت أنها البدلة التى تلمع والقميص الحرير والكرافتة، ولا شئ من ذلك عندى.

ولا أعرف معنى أن يكون عندى ذلك وليس عندى، لم اتساءل، ولذلك ليست عندى إجابة، ولكن وجدت نوعا من الإجابة وهى لأنه «غنى» فهو لايقرأ ولا يشاركنا فى المشى على شاطئ النيل ذهابا وايابا.. ويحكى لنا ماذا اقرأ.. كما كنا نفعل كل يوم.

نسيت أن أقول إن حذاءه يلمع جدا.. كيف؟ لم اسأل نفسى.. ولكنه غنى ولذلك فهو مختلف، هل هذا الخلاف أحسن.. أحسن له أو أحسن لنا.. لم افكر، ولكنه غنى والسلام.. تماما كما نقول: إن هذا ابيض وهذا اسمر، وكنا اربعة لانفترق واحد يهودى وواحد مسيحى وواحد درويشى شديد التدين وأنا، ولم نختلف بسبب هذه الصفات بل لم نناقشها فيما بيننا ابدا، ولا ادركنا ـ لحظة واحدة ـ إننا مختلفون فى أى شئ بسبب هذه الصفات، ولا فكرنا فى أننا لسنا اغنياء فأحذيتنا لاتلمع وقمصاننا ليست من الحرير، ولا أحد وضع كرافتة حول عنقه، ولا حكى حكاية بنت الجيران التى تنتظر وراء الشباك والتى تلقى له بوردة، أو تلقى بمنديلها على الأرض لكى يلتقطه واحد منا ويقدمه لها وتكون قصة غرام!

قرروا الحياة..

كان استاذنا العقاد الذى حاول الانتحار ضيقا بالحياة أكثر من مرة يقول:

بل يجب أن نقول للحياة نعم.. مهما كان نصيبنا من هذه الحياة!

وقال العقاد للحياة نعم رغم أن نصيبه من هذه الدنيا كان قليلا. وكان يقول ايضا: هناك فرق كبير بين أن تكون غنيا وأن تحاول أن تكون غنيا.

فإن يكون الإنسان غنيا، فقد يكون قد ورث هذه الثروة دون مجهود.. وهو إما أن يحتفظ بها أو يبددها أو يزيد عليها.. أما الذى يريد أن يكون غنيا فهو يحاول وقد ينجح وقد يفشل. ولكن يكفيه إنه حاول وإنه ليس راضيا عن حاله: فالمحاولة شرف له.

ومنذ أيام صرح العالم البريطانى الكبير ستفين هوكنج (٥٤ سنة) وهو أعظم علماء الفيزياء النظرية فى بريطانيا: إن الحياة دفء وسرور وحب!

ولو جاءت هذه العبارة من أى إنسان آخر لكانت عادية جدا، ولكن أن يكون صاحب هذه العبارة هو هذا العالم الكبير الذى يتحرك على مقعد له عجلات فقد اصيب بشلل فى الجهاز العصبى الحركى. واصيب بفقدان للصوت ايضا. وهو ينطق عن طريق جهاز يجمع الصوت ويجعله مسموعا بلهجة امريكية. هذا الرجل تزوج مرتين. فى المرة الأولى انجب ثلاثة ابناء. وفى المرة الثانية تزوج الممرضة التى كانت تدفع مقعده إلى الامام. أما زوج هذه الممرضة فهو الذى اخترع هذا المقعد! وقد اصدر كتابه الشهير (تاريخ مختصر للزمن) وقد باع هذا الكتاب ٢٥ مليون نسخة..

أما عبارة الاستاذ هوكنج فجاءت تعليقا على رغبة احدى السيدات فى ان تنتحر وان تهرب من هذه الدنيا. فهى لم تحصل الا على القليل منها. وسألت الصحف رجلا فى مثل حالها ـ أى البروفيسور هوكنج.

فقال لها: أنا مثلك فكرت فى الانتحار. ولكن غيرت رأيى.. فأنا لا ازال اقول. «ما اريد واجد من يقرأ ومن يسمع. واكسب من وراء ذلك».

ثم إن عندى أولادا احبهم واتمنى لهم حياة سعيدة. ولا اريد أن اصدمهم وإن اكون نقطة سوداء فى حياتهم أو علامة استفهام أو

تعجب تسلبهم نصيبهم فى الحياة الكريمة وقد اعتاد أولادى على أن يرونى بالصورة التى يراها الناس.. وانا وهم لا نملك من امرنا شيئا. فقط نملك ارادتنا فى ان نعيش..

ويقول لها ولكل الناس.. لاداعى لان تبكى على الذى راح منا.. بل يجب ان نبتهج بما لدينا. ولدينا الكثير: لدينا الحياة والفكر والعمل والناس والذين نحبهم والذين يحبوننا.. فأين كل ذلك فى القبر؟! فالقبر برودة وظلام ووحدة ونهاية كل شئ.. وسوف يجئ القبر.. أو سوف نسعى إليه فلماذا نتعجل هذه النهاية الحتمية.. وبدلا من ان نقول ان الموت هو حتمية الحياة، فلماذا لانقول أن الحياة هى الحتمية.. وإنه من المحتم علينا أن نعيشها.. عيشى يا سيدتى.. عيشوا جميعا وابتهجوا ففى الدنيا مباهج كثيرة لا مكان لها فى القبر!

ورد الفعل عند الناس كان عجيبا.. فقد قرر اربعون مريضا العدول عن الانتحار بعد ان قرأوا ما كتبه الاستاذ المشلول هوكنج.

وقد تلقى البروفيسور هوكنج رسالة من قارئه فى استراليا: سيدى جميل الوجه، والعينين، وجميل الفكر، عظيم الإرادة لا أعرف كيف اشكرك.

لقد سمعت صوتك فى التليفزيون ففتحت النافذة والقيت بحقنة السم التى قررت ان اغرزها فى لحمى لكى تنتهى هذه الحياة، ولكن بعد الذى قلت... فاهلا بالحياة ومرحبا بالناس وألف شكر لك!

بيتهوفن..

لابد أنك استمعت إلى الموسيقار العظيم بيتهوفن، فقد أقتبس منه كل المؤلفين والملحنين فى مصر ولا استطيع أن احصى لك العبارات الجميلة التى نقلوها كما هى. ولكن هذا الرجل الألمانى الذى احتفل العالم بمرور قرنين على مولده، كان أعجوبة بين الرجال وبين الفنانين.

فهو أولا يؤمن بأن الفن فوق الجميع. وأن الحكام فى عصره زائلون. وأنه هو الباقى. ولذلك يشعر دائما أنه مندوب الابدية فى كل مكان يذهب إليه ويطلب من الجميع أن يعاملوه على هذا الأساس. ولذلك لم يكن مجاملا. ولا متواضعا. فقد عاملته الطبيعة معاملة خاصة اعطته العبقرية والابداع. واعطته أشياء أخرى لا ضرورة لها.. كالفقر والمرض.. وثانيا يعتقد أن الذى يعيش من أجل الفن، يجب ألا يهتم بأشياء أخرى. وأن الفن قضاء وقدر. وأنه

محكوم عليه بأن يعبر وأن يموت وهو يعبر وأن حياته هى هذا النوع من الاستغراق المميت.

والموسيقار بيتهوفن قصير القامة، ممتلئ كبير الرأس وشعره ثقيل ضخم، وفمه كبير. وأسنانه منفرجه بارزة ولاسباب صحية أو نفسية لانعرفها الان نجد الموسيقار العظيم يبصق على الأرض فى أى مكان هل لان المناديل لم تكن لها شعبية؟ أو هل لأن الشوارع فى المانيا منذ قرنين كانت فى قذارة شوارع القاهرة والجيزة هذه الأيام؟ هل لأنه يتذكر بعض المعانى أو الالحان لا أحد يعرف بالضبط.. واغرب من ذلك أن الموسيقار العظيم لم يكن قادرا على أن يمسك شيئا بيده وكل شئ يمسكه بيده يقع منه الورق والقلم والطعام والملاعق والشوك.

فأصابعه ممدودة إلى الأمام معظم الوقت إنها فى حالة استعداد للعزف على البيانو فقط. ولكن ليس لديها أدنى رغبة فى أن تمسك شيئا..

هذا العبقرى الذى هز الآذان والقلوب فى العالم، هذا البركان الموسيقى لم يكن قادرا على الرقص حاول أن يتعلم الرقص ولكنه لم يفلح. إن ساقيه لاتطاوعانه أيضا أن يتحرك على أى ايقاع آخر غير موسيقاه السيمفونية.. وسيمفونياته لاتشجع على الرقص وإنما على الثورة والسمو!

وقد وجد الموسيقار بيتهوفن حلا لمشكلة الخدم فى عصره، إنه لم يستعن بواحد منهم قط، ولذلك كان بيته نموذجا للقذارة

والفوضى.. الاطباق على المقاعد والسرير. وإلى جوار البيانو كانت توجد «قصرية» دائما!!

وعندما مات بيتهوفن وضع يديه على المصران الغليظ الذى أوجعه طوال حياته ونظر إلى السماء بعد أن اصابه الصمم تماما ثم شد أذنيه بيديه: ورفع يديه يهدد احدا فى سقف الغرفة ثم ارتد بعنف وسال لعابه.. لابد أنه أراد أن يبصق ولكنه لم يستطع هذه المرة!



اقرأ.. اقرأ..

١ ـ ما الذى يريده الشباب؟ الاصح أن نقول: ما الذى يريدونه من الشباب؟ أى الأب والأم والمدرس ورجل الدين والحاكم فهم الاقوى والاسبق إلى الوجود.. والاقدر على التحكم فى حياته اليوم وغدا.

إنهم جميعا يريدون: الطاعة.. أى أن يمشى الشاب فى الخط.. يمشى على الصراط المستقيم.. على العجين مايلخبطوش.. وإذا فعل الشاب ذلك كان طيبا ومخلصا وممتنا لوالديه الذين ربياه صغيرا واطعماه كبيرا..

والشاب لايعترض على أن يكون مطيعا محترما لوالديه ومحبا لهما ايضا. ولكن المشكلة تبدأ عندما يقال له: تعمل كده من غير مناقشة!

فلماذا من غير مناقشة.. لماذا لايسأل لماذا لانحاول اقناعه.. مثلا. يقال له لاتتفرج على التليفزيون كثيرا.. أو لايضيع وقته فى قراءة الصحف أو الكتب أو الكلام الفارغ بدلا من الكتب المقررة. وأن يقلل ساعات النوم.. أو يقلل ساعات الفرجة على المباريات الرياضية..

فليكن كل ذلك وأكثر. ولكن فى نفس الوقت: الافضل أن نأخذ وندى..ونناقش ونقنع.. وكل شئ بالعقل. فاذا اردنا الا نتفرج طويلا على التليفزيون فلانه يجب أن يذاكر ولان التليفزيون يرهق العينين ويضعف النظر.. وليس اعتراضا على ان يجلس أمام التليفزيون. وفى نفس الوقت يجب أن تكون للشباب هواية. ولتكن كرة القدم.. ان لم يلعبها فهو يتفرج عليها. لا بأس. لان فى ذلك راحة وانتعاشا. وهذا ضرورى له نفسيا وجسميا. فلا ضرر من ذلك.

أما قراءة الكتب غير المقررة فلابد أن يفعل ذلك. لان الكتب المقررة مرهقة وصعبة. أما الكتب الأخرى التى يقبل عليها بأختياره فهى ألذ وامتع.. مثلا نفرض أن هناك كتابين: واحد لطه حسين وواحد للكاتبة البوليسية اجاثا كريستى إنها فنانة ممتعة وعقلية فريدة وقادرة على ان تنسيك نفسك وتسليك.. وفى ذلك راحة لك وفرفشة وانعاش للرغبة فى القراءة الجادة لطه حسين أو العقاد أو شوقى.. فلا مانع من قراءة مثل هذه الكتب..

أنا شخصيا لى رأى وهو أن من الافضل أن يقرأ الإنسان أى شئ.. المهم أن يقرأ. وإذا قرأ أن يجد متعة. فالهدف هو المتعة والذى

تقرؤه بمتعة هو الذى يبقى سواء كان كتابا مقررا أو كتابا خارج المقرر.. بل إننى اطلب من الآباء أن يفتحوا شهية الاطفال على القراءة.. قراءة أى شئ حتى تصبح القراءة عادة. أو ادمانا.. فى هذه الحالة يجب أن يطمئن الآباء لان اطفالهم قد اصبحوا مدمنين.. فلا خوف عليهم. وإنما سوف تجئ مرحلة يختار فيها المدمن نوع الكتب التى تبسطه اكثر.. ويظل يختار ويختار حتى يتفرغ للكتب المتخصصة.. ثم يعود للكتب المسلية.. ولكنه فى جميع الاحوال سوف يقرأ. وهذا هو المهم!

فنحن نريد للشاب أن يقرأ. وان يقرأ مايعجبه هو. المهم أن يقرأ وأن يؤمن بأنه لاسبيل إلى التقدم إلا بالقراءة.. ففى البدء كان الكتاب وفى النهاية أيضا.

وليس من الضرورى أن تكون كل الكتب التى اقرؤها من ممتلكاتى.. ابدا.. بل يجب أن يذهب إلى المكتبات العامة ويقرأ.. ففيها الوف الكتب من كل نوع.. على أنه سوف يشترى ويقتنى الكتب التى تعجبه فيما بعد.. المهم أن يجد الكتاب قريبا منه.. فى فراشه. فى مكتبه فى سيارته فى جيبه.. يجب أن يكون الكتاب هناك ـ أى كتاب.

أنا لا أذكر أنه حدث فى أى يوم من الايام لم افتح كتابا. لا اذكر ذلك. ولا اذكر أننى افتقدت الكتب الجديدة. إنها هناك دائما. فكل يوم يكتب ويبدع إناس كثيرون فى كل لغات الأرض وبسرعة وتنتقل إلى لغات أخرى.. فهناك دائما كتب جديدة. وأفكار

جديدة. وطعام شهى للعقل والقلب.. فبعض الاباء يفتشون فى ادراج أولادهم وملابسهم بحثا عن كتب غير مقررة. غلط! حتى لو كانت كتبا جنسية. فهى ثقافة جنسية.. أو هو حب استطلاع طبيعى من الشبان الذين يريدون أن يعرفوا غيرهم.. أو الجنس الاخر. وهذا طبيعى أما الذى ليس طبيعيا فهو موقف الآباء الذين بسرعة يتهمون أولادهم بقلة الادب والانحطاط. والحقيقة أنهم ليسوا كذلك.. وإنما يريدون أن يعرفوا.. ولا نهاية لما يجب أن يعرفه الإنسان ـ اذا كان شابا!



الشباب نوعان..

٢ - ورأيت نوعين من الشباب فى وقت واحد.. عندما اشتغلت بالصحافة.. وعندما اشتغلت بالتدريس فى الجامعة. ففى الجامعة وجدت الشباب الذى اختلف عنى تماما. وفى الصحافة وجدت الصحفيين الشبان العاملين..

وعندما عدت إلى الجامعة مدرسا رأيت الطلبة كما لم أرهم من قبل.. رأيتهم بعيون المدرس لابعيون الطالب الزميل..

لاحظت أن الطلبة أكثر بهجة وأكثر مرحا.. أقل هما وارقا وقلقا وأنه من الممكن أن يكون الإنسان ضاحكا وأن يبقى طالبا.. وجدت عددا كبيرا من الفتيات على مقربة منى.. حولى.. يتحدثن :ود. رأيت وجوها شابة حلوة.. وجوها جميلة. وكأننى ارى المرأة لأول مرة فى حياتى.. تسألنى عن الذى قلت فى المحاضرات والذى نشرت فى المجلات.. فأنا لم أكن مدرسا فقط وإنما أنا كاتب ايضا. أكثر

شهرة من كل الاساتذة ومن العميد ومن مدير الجامعة.. وأكثر شعبية.. ومن الذى رأيت وسمعت من الطلبة ومن الصحفيين الشبان ومن القراء الذين اقابلهم أو اتلقى رسائلهم ومن برامج الاذاعة وبعد ذلك من التليفزيون وجدت نفسى على الطريق الصحيح للقاء الناس من كل لون ونوع.. والناس الذين يهموننى جدا هم الشبان.. هم الذين فى مثل سنى أو دون ذلك بقليل.. رأيت أنهم أحسن حالا منى وأكثر توازنا. فهم يدرسون وفى نفس الوقت يعيشون.. ويضحكون. ولم لا؟ بل إننى استمعت إلى قصص حب من الطلبة.. وقصص حب خفية بين الطالبات والمدرسين.. ولكن ماذا بعد ذلك؟ لم أفكر ولا عندى وقت.. فأنا مرة أخرى مشغول جدا بالتدريس ومشغول جدا بالكتابة فى الصحف والمجلات.. ولأننى شاب ومحاط بالشباب فى كل مكان فقد شغلتنى كل مشاكل الشباب. وغراميات الشباب وصراعات الشباب فى انفسهم وفى بيوتهم وانديتهم وقلوبهم وعقولهم..

وقد حدث شئ فى حياتى الدراسية ادهشنى ولكنه ايقظنى. فقد اعتقلت سلطات الامن واحدا من تلامذتى بتهمة إنه شيوعى! ويدرس الفلسفة معى نعم شيوعى.. ومن الممكن أن يكون طالبا فى أى قسم آخر غير قسم الفلسفة.. واستدعانى البوليس وسألونى عن الاوراق والمنشورات الموجودة مع الطالب. قرأتها وقلبت فيها وقلت: إنها محاضراتى!

وسألونى: أنت تدرس الشيوعية للطلبة؟

ـــ نعم. هذا جزء من المقرر.. والمقرر هو دراسة الفكر الحديث والنظريات السياسية المعاصرة.

ـــ هذا مقرر؟

ـــ نعم

ـ ومن الذى قرر ذلك؟

ـــ الاستاذ د. عبد الرحمن بدوى رئيس قسم الفلسفة!

والذى أدهشنى أن يكون طالبا شيوعيا. وأن تكون المحاضرات التى القيها على الطلبة سببا فى اتهامهم بالخروج على القانون والدعوة لقلب نظام الحكم. والذى ادهشنى إننى لم اشعر لحظة واحدة ان الذى اقوله له علاقة بالمجتمع المصرى.. فهى أفكار فلسفية فى المانيا وانتشرت فى اوروبا وروسيا.

وعرفت أن هناك احزابا شيوعية فى مصر.. وإن عددا كبيرا من زملاء الدراسة الفلسفية اقطاب فى الأحزاب الشيوعية!!

فى الوقت الذى كان زملائى يدرسون الشيوعية ويطبقونها تنظيميا املا فى فرضها بالقوة على مصر، كنت أنا قد اتجهت عقلا وقلبا إلى المعسكر المضاد.. إلى الوجودية. وأول كتاب باللغة العربية عن الوجودية هو الذى اصدرته سنة ١٩٥٠.. ويومها كتب الاستاذ احسان عبد القدوس مقالا فى مجلة (الاثنين) يقدمنى للقارئ المصرى على: إننى داعية الوجودية فى مصر.

ثم عاد احسان عبد القدوس فى (روز اليوسف) وقدم مسرحية لى من فصل واحد قائلا: إنه خليط من العقاد وطه حسين والحكيم وسارتر.. إنه كاتب الشباب..



مبروك يا ابنتى!

٣ ـ وتوالت بعد ذلك كتبى عن الحب والجنس والزواج.. وانتشرت ومعها أفكارى وفلسفتى والفلسفة الوجودية أيضا.

ووجدت أفكارى كلها تدور حول الذى اراه ضروريا لصحة الشباب العقلية والعاطفية والاجتماعية: الحرية فى اختيار القرار.. قرار الحياة وحده أو مع الآخرين.. ان يتزوج والا يتزوج.. أن يكون موظفا أو عاملا أو فلاحا أو طبيبا.. قارئا أو كاتبا.. المهم أن يكون حرا. حتى اذا رفض الحرية فليكن ذلك باختياره وحريته!

ولكن صدمنى أن الشباب الحر فى مصر أو فى العالم العربى، رغم حرصه على حريته فإنه يطلبها وهو لايزال جالسا على ساقى والده ينتظر الطعام والشراب والكساء.. والمصروف. وليس مثل الشاب الاوروبى أو الامريكى ينشد الحرية الحقيقية بأن يبعد عن حضن أمه وأبيه ويقف على ساقيه ويكمل دراسته أو لا يكملها.. يعمل وهو يدرس مستقلا تماما عن والديه..

ولكن الشاب المصرى بفلوس والديه يريد ان يستقل برأيه وحياته مخالفا بذلك اخلاقيات من يقدم له الطعام والشراب والفلوس!!

ولذلك كانت شكوى الشباب المصرى من الاعتداء على حريته ـ اعتداء الوالدين والاكبر سنا. وكان ايضا الخلاف فى التفكير.. والخلاف فى النظرية.. والفجوة بين جيلين.. احدهما يرفض الآخر.. وكل واحد منهما يقول: يا أنت يا أنا..

مع أن الحقيقة هى: أنت وأنا.. وإذا كان الإنسان هو صاحب اطول طفولة بين الحيوانات.. فإن الطفل المصرى أو الشرقى هو صاحب اطول طفولة بين البشر.. فالطفل المصرى يظل طفلا مدى الحياة..

مدى حياته ومدى حياة والديه.. فهما يحملان همه حتى إذا تزوج وكان عنده أولاد.. إنه لايكبر فى نظرهما.. وهما لايتخليان عن دور الابوة والامومة. ومن هنا كان الصراع والشقاق بين الاجيال! ومن المألوف أن تجد أما مشغولة بأبنها وتسمع منها: أنه لايعرف كيف ياكل ولا كيف يشرب وأنه حتى الآن لايستطيع أن يسلق بيضة.

وتسألها: إن كان هذا الطفل يعيش بعيدا لسبب ماعن الابوين وتفاجأ بأنه استاذ فى الجامعة متزوج وعنده أولاد.

وأيه يعنى إذا لم يصنع لنفسه شايا أو سندوتشا.. فعنده من يفعل له ذلك. فليست هناك مشكلة ولكن يجئ رد الام: نفرض أن زوجته لسبب ما لم تكن فى البيت وكان اليوم اجازة الخادمة، فما الذى يصنعه؟

والسؤال معناه إنه عاجز عن فعل شئ. وإن أمه مشغولة به وكأنه لم يكبر ويصبح مربيا كبيرا.. فهو لايزال الطفل الصغير الذى يحتاج إلى الام..

بينما ترى وتسمع فى الأفلام الامريكية حوارا يدور بين الام وابنتها.

تقول البنت: ازيك ياماما.. هنينى ياماما

— مبروك يابنتى. ولكن على أيه؟

— انا جبت ولد..

ـ لاهو أنت اتجوزت

— من زمان..

— مبروك يابنتى..

ومعنى ذلك أن البنت خرجت من بين والديها، واستقلت بحياتها. وتزوجت ولم تجد من الضرورى أن تخبر أهلها بأنها تزوجت. ولكن عندما اثمر الزواج طفلا جميلا اخبرت أمها.. وفى نفس الوقت لم تعدها برؤية الطفل أو بزيارة.. ولكن من المؤكدعندما يولد ابنها الثانى سوف تتصل بأمها وتطلب منها التهنئة ـ هذا كل ماهناك!..

أو تسمع هذا الحوار.. شاب يطلب أمه فى التليفون ويقول لها: عندى لك مفاجأة..

ــ أيه؟

ــ جونى سوف يكلمك..

ــ تقصدفرانك

ــ لافرانك اخذته أمه..

ــ أمال جونى يبقىَ مين؟

ــ ده ابن زوجتى الجديدة..

ــ .....

الابن قد تزوج مرتين ولم يشأ أن يقول لامه شيئا من ذلك أو عن ذلك!



خجول كالبنت..

٤ ـ لقد خلت حياتى الجامعية من الراديو والسينما والصحف والمرأة.

ولم يمض وقت طويل حتى تسللت كلها إلى حياتى واضافت لها طعما ولونا وخطرا وقلقا.. فأصبحت إنسانا طبيعيا، بعد أن كنت إنسانا صناعيا.. كنت مثل القمح الذى علمونا أن نزرعه فى أوراق النشاف.. كنت نظيفا نقيا ضعيفا.. ولكن بعد ذلك صرت قمحا مزروعا فى الأرض.. فى الطبيعة.. قمحا طبيعيا له ثماره وله افاته.. ولكنه طبيعى.

فما الذى وجدت فى كل سنوات الدراسة.. وجدت الكتاب.. ولكن لم اجد العلاقة الشخصية مع الاب والام.. فأمى لاتقرأ ولا تكتب.. فلا تعرف بالضبط ماالذى اعمله.. أنها ترانى قد انكسرت على الكتاب.. وكثيرا ماقفزت من سريرها تقول: شياط.. رائحة شياط.

ويكون المصباح الغازى قد احرق شعر رأسى دون أن أدرى، أو تلاحظ أن النمل قد تسلل إلى مكتبى وإلى جسمى.. فقد نمت على مكتبى من الاعياء.. وعلى مكتبى بقية طعام وبقية سكر.. ولم ينبهنى أحد إلى أن هناك نماذج من الناس يجب أن التفت إليهم.. سواء كان هؤلاء الناس احياء حولنا، أو فى الكتب أو فى التاريخ.. ولم ينبهنى أحد إلى أنه من الممكن أن يكون الإنسان متفوقا ويمارس الرياضة.. أى نوع من الرياضة.. لم يقل أحد.. ان هذا ممكن، بل أننى لاحظت أن مدرسى الالعاب الرياضية فى المدرسةيطلبون منى ألا اضيع وقتى فى هذا الكلام الفارغ ـ الرياضة.. وان التفت إلى دروسى. وكل نصيحة تجئ بعدها هذه العبارة على مسمع من كل زملائى: روح ياابنى اقرأ لك حاجة تنفعك.. أما هؤلاء فعيال بايظين.. ابعد عنهم.. وابعد عنهم واخفى رأسى فى كتاب.

وعلى الرغم من أننى أمر على ثلاث دور للسينما فى طريقى من المدرسة إلى البيت فإن احدا لم يقل لى ـ أمى مثلا ـ إنه من الممكن أن تذهب إلى السينما وتظل تلميذا متفوقا، إنها شخصيا لم تر السينما وأنا لم ادخل السينما إلا بعد أن تخرجت فى الجامعة.

ولم يكن فى بيتنا راديو وإنما كنت أسمع الأغانى من بيوت الجيران.. ولم أفهم لماذا كانت أمى تحرص دائما على ابتعادى عن البنات.. سواء قريباتى أو جاراتى.. فإذا زارتنا إحدى الجارات أو القريبات وكانت معها ابنتها، كان معنى ذلك أن أدخل غرفتى

واقفل الباب، ولم اسأل أمى عن معنى ذلك، ولكن اصبحت أنا افعل ذلك من تلقاء نفسى.. لا اكاد افتح الباب لضيفة.. حتى افتح بابا آخر واغلقه واجلس وراءه حتى تخرج الضيفة وحدها.. أو الضيفة وابنتها.

وكانت أمى تقول: ابنى زى البنت مؤدب خجول.

وكانت السيدات تعلق ردا على ذلك: ايوه ده صحيح.. مالوش صوت فى البيت.. ربنا يكمله بعقله.

أى أنه من العقل ان ابقى قابعا وراء الباب مادامت هناك ضيفة فى البيت.. ومنطق أمى: هو ان البنات تشغل التلميذ عن دروسه والبنات افكارها كلها فى الزواج، وأن هذا يضيع مستقبل أى شاب.. ولذلك يجب أن يبتعد عنهن حتى لايضيع من قدمه الطريق إلى المستقبل.

وكانت لى خالة جميلة وكنت احبها جداً، وكنت اقول لأمى: سوف اتزوج خالتى عندما أكبر.

ورغم أن هذا كلام عيال، فإن أمى كانت ترفض مجرد ذكر كلمة الزواج، وكانت تغضب.

وكانت خالتى وهى اجمل امرأة رأيتها فى حياتى حتى الآن سنة ١٩٩٦ ـ تقول: وأنا سوف اتزوجه.

وكانت تضحك.. ولكن امى كانت جادة وتقول لاختها: ما تفتحيش عين الولد على الحاجات دى.. خليه يشوف مستقبله.

وحدى..

٥ ـ ويظهر أننى فى سنوات الجامعة قد احسست بأننى منعزل تماما. فقد لاحظت أننا كل صباح نلتقى عند مكان واحد.. ثم نتفرق اثنين اثنين.. وثلاثة ثلاثة.. واقف وحدى مع الزميلات.. لماذا؟ أنا لم أذهب اليهن ولكنهن يجلسن معى. ويقفن معى. ولا أظن أننى كنت جذابا ولكن يبدو أننى لا أضايق الفتيات لا بالنظرة ولا بالكلام.. ثم انهن يسألننى فى العلوم الصعبة ويطلبن مساعدتى. وكنت اساعد بشرط. والشرط هو أن تستعير لى كل واحدة كتابا من المكتبة العامة. وتتجمع عندى كتب كثيرة. هذا كل ماهناك. وتنصرف الفتيات وابقى وحدى لايفكر احد فى أن يقف معى أو يجلس.

وخطرت لى فكرة هى أن نكون ــ نحن طلبة الفلسفة ـ جمعية اسمها (جمعية السائرين نياما).. أى الذين يمشون اثناء النوم. فكل الذين يدرسون الفلسفة هم كذلك يمشون وكأنهم نائمون وينامون

وهم سائرون.. فهم فى حالة بين اليقظة والنوم. وأهم مظاهرها السرحان الطويل.. ولم ينضم إلى هذه الجمعية احد! فأدركت إننى وحدى السائر نائما.. أو النائم ماشيا.. أو الذى لا هو نائم ولا هو يقظان. وأننى فى كثير من الاحيان اتوهم إنى اجلس مع كثيرين ثم اصحو لاجد نفسى وحدى!

حتى الاستاذ العقاد كان عنده (صالون) يلتقى فيه كل يوم جمعة بتلامذته أو المعجبين به.. وطه حسين كان عنده صالون لتلامذته من اساتذة الجامعة.. وكان العقاد يجد متعة وفخرا فى الجلوس والحديث معهم. وكانوا هم ايضا اكثر سعادة وتفاخرا.. فكانوا يحدثون الاخرين عن الذى قال الاستاذ والذى اضحكه والذى اغضبه.. وكانوا يتحدثون طوال أيام الاسبوع.. فكان صالون العقاد لايستغرق يوما ولكن كل الأيام.. كأنه هو يجلس فيه يوما ويتركه لتلامذته يستضيفون كل الناس ويتحدثون إليهم..

وذهبت أنا أيضا إلى الصالون. وكان حدثا هاما فى حياتى الفلسفية والأدبية والاجتماعية ايضا. وقد سجلت ذلك فى كتابى (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) وفى هذا الكتاب سجلت جيلى ومشاكل جيلى وعذابه ومثله العليا وخوفه وقلقه وأرقه فى مواجهة العقاد وطه حسين والحكيم. والمازنى وسلامة موسى وحسن البنا وكل أعلام الفلسفة والادب والموسيقى وزعماء التاريخ فى مصر والعالم.

ورفضت كل محاولات زملائى واصدقائى بعد ذلك أن يكون لى «صالون».. وكنت اقول أن العقاد كان فى حاجة إلى أن يرى الناس ويجلس إليهم.. ولكن ماحاجتى؟ فأنا طول حياتى صحفى. وعندما رأست تحرير عدد كبير من المجلات (الجيل - وهى - آخر ساعة - واكتوبر - والعروة الوثقى - ووادى النيل وكاريكاتير) كان الشباب هناك.. قراء.. وصحفيين فإننى أجد الناس فى كل وقت وليس هناك ضرورة ولا عندى متسع من الوقت لكل ذلك..

وفى صالون العقاد كانت الدنيا.. كانت غرفة الصالون الصغيرة كأنه مرصد فلكى كبير.. ومن خلال عدساته نرى ابعد النجوم والكواكب.. أو كانت هنا ميكروسكوبات تجعل الميكروبات فى حجم الابقار.. متحف طبيعى.. متحف تاريخى.. كأنه مسرح.. حديقة.. مقبرة.. ملعب كرة.. برلمان.. كل شئ كان فى هذا الصالون.

وكنت أشعر بان الاستاذ العقاد يفتح عينى بقوة ويفتح أذنى.. يشق صدرى ويشج رأسى.. ويجعل منى عيونا تتفتح واذانا تنصت.. واذرعا تحتضن وتحتوى.. كيف استطاع العقاد ان يضع لنا اطرافا صناعية دون أن ندرى.. فنحن اسرع خطوة وأكثر قلقا واشد حيوية.. وقد استطاع أن يحول كل النقط التى نضعها فى نهاية السطر علامات استفهام.. واحيانا علامات تعجب.. لقد تغيرت الدنيا فى عيوننا وفى أذاننا.. وارتفع السقف فوقنا.. ثم طار وانكشف الصالون تطل عليه السماء.. لا شئ أعلى من السقف الا السماء، ولا أحد أكبر من العقاد فى عالمنا.. ونحن أيضا كبرنا.. وطالت قاماتنا.. وطالت أذرعتنا.. وتدفق النور فينا ومنا.. أنه حدث كبير فى شبابنا!

عندى خوف

٦ ـ كان عندى خوف من ماذا؟

إنه خوف عام.. من كل شئ.. وكل واحد.. لماذا؟

الخوف الذى كان عندى سببه أننى يجب ألا أخرج عن الخط، يجب أن أمشى فى خط مستقيم من المدرسة إلى المكتبة ومن المدرسة إلى البيت، ومن المكتبة إلى البيت، والفسحة أو الحرية الوحيدة المتاحة لى هى أن أمشى مع زملائى نتناقش فى الذى قرأناه، انتهى عالمى الضيق، ولكننى لم أكن اشكو ضيق العالم، لأنى لا أعرف إلا هذا العالم، وإلا هذه الحدود ولم ادرك إلا متأخرا جدا أنها كانت ضيقة، ولكن دنياى كانت مثل ملابسى «على قدى» فلا أشعر أنها تعوق حركة يدى أو حركة ساقى، وكنت أرى أن كل واحد له عالمه وكل واحد له ملابسه، قد تتعدد الملابس فى الشكل واللون، ولكن المقاس واحد ثابت، وخوفى كان من أن افعل أى شئ لا

أعرفه، أو أى شئ جديد لم اعتد عليه، فإذا فعلت ذلك فإنه سوف يصرفنى عن المذاكرة فهناك، قاعدة اساسية فى حياتى أن اذاكر دائما، هذه هى وظيفتى، وهذا هو معنى وجودى.

وتعلمت ألا أزهق، فلاشئ يجعلنى ازهق ـ حتى الآن ـ فأنا استطيع أن أجلس طويلا إلى مكتبى ساعات، واستطيع أن أبقى فى البيت بالأيام، واستطيع أن آكل طعاما واحدا بالشهور، دون أن أقول «أف!»

تماما كالعسكريين الذين يرتدون ملابسهم ليلا ونهارا لايخلعونها ولايغيرونها، وكالدبلوماسيين الذين يرتدون البدل والكرافتات دائما دون أن يزهقوا أو يفكروا فى التغيير، لقد اعتادوا على هذه الاطارات، وكأننى سمكة صغيرة فى حوض صغير أيضا، إذا خرجت من الماء فإننى اموت فورا، ولذلك بقيت فى الإطار والقيود ووراء السدود والنوافذ والابواب لا أرى ابعد من الكتاب فى يدى أو فى المكتبات أو بيوت الآخرين.

وهذا الخوف أورثنى الخجل، فأنا إنسان خجول جدا، اتلخبط إذا مشيت ونظر الناس ناحيتى، ومن الممكن اتكعبل وأقع، وظللت إلى وقت قريب جدا إذا دعوت أحدا إلى الغذاء أو دعانى أحد فإننى أظل واقفا أمام باب المطعم لندخل معا، فأنا لا أقوى على أن أدخل وحدى وأواجه عيون الناس وحدى!

هل هذا الخوف أو هذه العزلة أو الوقوف بعيدا وتأمل الطبيعة والجمال هو الذى جعل المنصورة مولدا للشعراء والفنانين والمطربين والموسيقيين؟

إننى لم أعرفهم إلا بعد أن صاروا نجوما فى القاهرة ولكل مصر والعالم العربى، ولكننى لاحظت أن فى طفولتهم وشبابهم الكثير مما كان طفولتى وشبابى ايضا، ولكنهم عندما انتقلوا إلى القاهرة كانوا ايجابيين بارزين اجتماعيين.

ولكننى عندما انتقلت إلى القاهرة أخذت معى «قوقعتى» ـ أى كل القيود التى ولدت فيها، فالذى افعله فى القاهرة هو استمرار لما كنت افعله فى المنصورة من المكتبة إلى البيت فى الزمالك، ومن الزمالك إلى دار الكتب ومن البيت إلى مكتبة الرهبان الدومنيك فى شارع مصنع الطرابيش فى العباسية، ومن البيت إلى مدرسة الطائفة الإسرائيلية فى نفس الشارع.

كل ماحدث هو أن النفق الذى اعتدت أن أسير فيه قد اصبح أطول، ولكننى امشى فيه وإليه أعمى أخرس، فلا أرى شيئا ولا اسمع إلا مايدور فى داخلى.

كأن الدنيا طوفان من حولى وأنا أحد ركاب سفينة نوح عليه السلام، فالخوف حولى، والسفينة هى الجزيرة العائمة الصغيرة الضيقة، ومن حين إلى حين افتح نافذة وانظر فازداد خوفا، فاغلقها وانطوى على نفسى، ولا أرى ولااسمع إلا الذى اعتدت عليه.

إحدى زميلاتى فى قسم الفلسفة ـ جامعة القاهرة ـ هى التى نبهتنى إلى أن اضع قميصى فى داخل البنطلون، ولم أكن أعرف ذلك، ولا رأيت زملائى كذلك، ولاوجدت سببا لوجود القميص خارج أو داخل البنطلون.

حيران

٧ ـ فما الذى شغلنى عندما جئت إلى القاهرة طالبا للفلسفة لقد كانت المكتبة هى بيتى الثانى أو هى البيت فالكتب كثيرة والمكتبة مريحة والصمت تام منتهى السعادة.. والكتب كل يوم تزداد عددا وحجما والموضوعات شاقة والقراءة واجبة ولم تتسع الدنيا لاتحت اقدامى ولا تحت عينى.. إنه نفس العالم المغلق إنها نفس الحواجز.. الحدود.. ولا أقول القيود. فأنا لم اتضايق منها أن بشرتى لاتضايقنى أن بشرتى هى حدودى الضيقة وملابسى هى حدودى الاقليمية.. ولست ضيقا بحدودى فما الذى كنت اقرأ؟ الكتب وماالذى كنت افكر فيه؟ الكتبَ وما الذى كان يشغلنى؟ أن أكون الأول وقد كنت فى السنوات الاربع وفى الليسانس ماذا كان يجرى فى مصر؟ لا أعرف ما الذى كان يحكم ويتحكم فى مصر؟ لا أعرف ما الذى كنت افعله عندما اسمع زملائى يتكلمون فى السياسة؟ ولا حاجة..

في ذلك الوقت كان استاذنا لويس عوض رئيسا لجمعية موسيقية.. وكنا نجلس على الحشيش ونأكل السندوتش ونستمع إلى الموسيقى العالمية هل تنبهت إلى زملائي الذين صاروا زعماء الشيوعية في مصر؟ الجواب لا لماذا؟ لأن في اذني قطنا وفي فمي ماء وأنا غير قادر على أن استمع إلى أى شئ أو أقول شئ وإنما أقول وأسمع ما في داخلي.. واكتفي بصالون الاستاذ العقاد متعة أو فرجة أو تسلية أو طعاما وشرابا وسعادة وبس!

فما الذي جعلني في ذلك الوقت عضوا في «جماعة الاخوان المسلمين» بامبابة.. السبب أنني انتقلت من الحياة مع والدى في الزمالك.. إلى السكن وحدى في امبابة.. وفي امبابة كنت اتردد على المقاهي ألعب الشطرنج.. وهي لعبة تحتاج إلى تركيز يرهقني. فلم العبها كثيرا. ولم اتفوق فيها لأنني دائم السرحان وكان كل الذين يلعبون طلبة في الجامعة واعضاء في الاخوان المسلمين.. ووجدتهم قد اختاروني امينا للمكتبة هذه هي البداية.. وهي النهاية ايضا.

فقد كنا نلتقي في المكتبة ونقفل علينا الابواب ونتناقش فقد كانت المناقشات أعمق واشمل واعنف وكانت اصواتنا تتعالى وتضايق المصلين لأننا لانصلي حاضرا معهم.. ومرة لأننا نربكهم باصواتنا العالية وهم يصلون.. ثم أننا نسهر طويلا ونستهلك الكثير من الكهرباء دون أن ننتظم في دفع الاشتراكات المقررة.

لقد صبروا علينا كثيرا وطويلا.. واخيرا وجدت اسمى ضمن عشرين اسما على باب الجمعية مفصولين والامضاء: المرشد العام حسن البنا.

لقد طردونا من الجمعية ولم يطردونا من الإسلام وتضايقت فقد كان فى استطاعتهم أن يفعلوا ماهوأفضل ولكن هذا ماحدث ووجدت الحق معهم.

ولسبب لا اعرفه بوضوح وجدتنى اتردد على جمعية غريبة اسمها «جمعية الحكمة المقدسة» جمعية يثوصوفيا يرأس هذه الجمعية واحد يهودى يعمل فى محلات شيكوريل لم أفهم أول الامر ما المقصود.. ما الذى يطلبه.. ما الذى يمكن أن نفعله.. ولماذا هى جمعية.. ولماذا هم مختلفون عن الناس وهل هم حقا كذلك.. إن رئيس الجمعية يتكلم فى الفلسفة ولكنه ليس دقيقا ولا مفيدا.. ودون أن أسأله انسحبت منها وقابلنى مصادفة وسألنى فقلت: لم أفهم ما المعنى وما الغرض من هذه الاجتماعات وكان رده: ذلك يجئ بعد وقت قليل!

ولكنى لم أذهب ثم وجدتنى عضوا فى «جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء» التى يرأسها الاب قنواتى وهو من الرهبان الكاثوليك ومن اصدقائى وقد استفدت منه كثيرا ولكنى كرهت هذا الجو.

فإذا كنت قد نسيت القيود.. فإن حياة الرهبان هى قيود ناصعة البياض.. ولكنها قيود. فأحسست أننى قفزت من قناة صغيرة إلى حمام سباحة. الماء نظيف والجدران والأرض ولكنه حوض ناعم لامع خانق.

وأنا طبيب أيضا..

سألت صديقا: وكيف كشف عليك الدكتور؟

فقال: أبدا وحياتك.. قال لى أجلس مدد رجليك.. افتح فمك.. طلع لسانك ثم قال لى: إذا كنت فى حاجة إلى اجازة خدلك سبعة أيام.

وسألته: وبعد ذلك.

ونهض صديقى واتجه إلى الباب ليخرج.

واستوقفته: ماهذا.؟

قال: لا شئ.. إننى أفعل كما فعل الطبيب.. لقد تركنى وخرج فلا أنا أكملت كلامى ولا أعرف لماذا جئت. وإذا كانت الراحة هى العلاج فأنا أعرف ذلك قبل أن يعرف ولكن أنا عندى الكبد ودكاترة يقولون المرارة وآخرون يقولون الكلاوى وأنا دائخ حقيقة وأنا اتحدث إليك ودائخ دون كلام.

وسألته: ولكن لماذا هذا الطبيب بالذات؟

قال: إنه طبيب المؤسسة ولابد أن أعرض نفسى عليه.

وسألته: وهل هو طبيب باطنى أو طبيب غدد؟

فأجاب: طبيب على كل حال، ولابد أنه يعرف مبادئ وظائف أعضاء جسم الإنسان فكل الأطباء يعرفون هذه الأشياء.

قلت: إن الميكانيكى يعرف كيف يقود أى سيارة ولكنه ليس مهندس سيارات.. ثم إن الطب بحر واسع وهناك مئات الفروع.. هل الذى تقوله معقول؟

ـ طبعا معقول.

ـ والعمل؟

ـ لاشئ.. لابد من الراحة.

ـ وطبيب المؤسسة ماهو تخصصه؟

ـ أظن طبيب أنف وأذن وحنجرة.

ـ الله أكبر.. وهو الذى يشخص لك أمراض غددك.

ـ نعم.

ـ والأطباء يأخذون برأيه؟

ـ ضرورى

ـ الكلام معك غير ضرورى.

ـ عندك حل آخر؟.

ـ لا.. لا حل طبعا

ـ إذن.

خذلك اجازة وانصحك بأن تأكل الطعام المسلوق وان تتفادى الاصابة بالامساك والاسهال ولا تأكل البيض ولاتشرب اللبن واياك والطعام الذى وضعت فيه السمنة ـ وابعد وابعد وابعد عن الهموم ـ إذا استطعت.

ـ وهل أنت طبيب باطنى؟

ـ وهل هو طبيب باطنى؟

ـ إنه على الأقل صاحب تجربة.

ـ وعندى روشتات لا أول لها ولا آخر من أطباء أكبر وأعظم وسوف أقدمها لك وعليك أن تختار منها مايعجبك.

ـ وهذا اسمه طب؟

ـ ليس طبا.. ولكنى أقرأ لك الكف واضرب لك الودع وعليك أن تدفع لى جنيهين أيضا.

ـ هذا نصب.

ـ لست الوحيد فى هذا البلد.

ـ إذا كان الطب بهذا الشكل فأنا استطيع بكل تواضع أن أكون طبيبا وناجحا أيضا، وليس هذا استخفافا بالاطباء ولا بالمرض.. ولكن هذه هى الحقيقة.

مثلا: يدخل المريض ويده على بطنه ويجلس أمام الدكتور.. هه؟: هذه الكلمة التى تصدر من الطبيب معناها: عندك أيه؟ ويتصور المريض طبعا ان الطبيب يستطيع أن يعرف كل شئ بمجرد النظر إلى لسان وعين المريض.. وبمجرد أن يدق على بطنه فيجدها كالطبلة.. ثم يضغط على منتصف البطن من أعلى.. أى على المعدة.. ثم على الجانب الأيسر أى المصران الغليظ ثم على الجانب الأيمن أى الكبد.. وليس من الضرورى أن يضع الطبيب أذنه على بطن المريض.. ويفتح فمه.. وينظر إلى لسانه.. وشفتيه.. وإلى عينيه.. وأحيانا إلى لون أظافره وأظن هذا يكفى فليس من المعقول أن يأخذ المريض من وقت الطبيب أكثر من هذا ثم أنه ليس المريض الوحيد فى العيادة أو المستشفى أو فى القاهرة.. ثم إنه إذا لم يجد الدواء فليس هو الدائخ الوحيد بين صيدليات القاهرة والجيزة.. وإذا وجد الدواء ولم يسترح فإن الطبيب ليس ضامنا للنتيجة أنه رجل مجتهد.. وهو يحاول والباقى على الله.

ثم أن أغلب المرضى لايعرفون بالضبط ما الذى يوجعهم ولا متى وكيف ولماذا وأين يكون الألم؟ فهل يستطيع الطبيب فى دقيقة أو دقيقتين أن يشخص مرض أى إنسان؟! هو نفسه لايعرف ما الذى يوجعه، وإذا عرف فإنه يخطئ أو يبالغ.

وإذا مات المريض، فإن الأعمار بيد الله.. وفاة مريض لاتهز شعرة فى رأس طبيب، فكم رأى من المرضى والموتى.. وكم سيرى من القتلى إن شاء الله فيما بعد، وعلى ذلك فمهما فعل الطبيب فهو على حق.

ومهما أصيب المريض، فالمريض غلطان لماذا يمرض؟ لماذا لايحرص على صحته؟ لماذا لايقتنع إنه لايوجد دواء ولا أطباء ولاشفاء؟.. لماذا لايمتنع عن الطعام؟ لماذا لايريح نفسه؟ لماذا لايلزم بيته ولا داعى لأن يعمل وان يتعب وان يكبر فى السن وأن يمرض.

إن الحل الأكيد لكل الامراض هو أن يموت الإنسان مادام الطب هو ان يشخص الطبيب مرضاه غيبيا، وأن يعالجهم، على العميانى وأن يتركهم يموتون على راحتهم!



جاجارين..

لا وجه للشبه بينى وبين أول رائد للفضاء:

جاجارين.

ولكن هناك مناسبة تجعلنى مضطرا للمقارنة، لقد قرأت فى كتاب بقلم رائد الفضاء عن تجاربه فى الطيران وفى القفز بالمظلة.. وهو يؤكد دائما أنه كأى إنسان يخاف ويضطرب ويتوهم ولايدعى أن قوته خارقة للطبيعة وإنما هو إنسان له تجارب وعنده معلومات ويريد أن يعرف أكثر.

يقول إنه عندما طلبوا إليه أن يسقط بالمظلة من الطائرة شعر بالخوف الشديد، ولم يتصور أنه سوف يسقط كقطعة من الحجر إلى الأرض سالما وسمع من يقول له: استعد، ووقف فى حالة استعداد.. ثم سمع من يقول له: الان اقفز.

ولم يشعر بأى شئ لم يشعر بأنه قفز ولا بأنه سمع الأمر أو اطاعه ولكنه فقط وجد نفسه فى الهواء وبعد لحظات لايعرف كم طولها وجد المظلة قد انفتحت فوق رأسه وشعر بشئ من النشوة والامان، إنه الان فى طريق السلامة، ولكن فى نفس الوقت احس باقتراب الأرض مع أن المسافة بينه وبين الأرض كانت لاتزال كبيرة.. ولكن فى داخله رغبة فى الاستعجال لكى يصل إلى الأرض ويستقر عليها، وسمع الجنود الاخرين حوله وفوقه يضحكون ويتصايحون.. وكاد ينشغل عن النظر إلى الأرض ثم نظر إلى الأرض وكانت مغطاة بالجليد.. ثم وضع ساقيه بالشكل المناسب وهبط فى الجليد.

وانتهى كل شئ فى ثوان معدودة.. ولم ينم الليلة السابقة على القفز.

ويقول جاجارين وزميله الطبيب الذى شاركه فى تأليف الكتاب: إن الخوف طبيعى والشجاعة طبيعية والتغلب على الخوف ايضا طبيعى ولايوجد إناس لهم قوى خارقة ولكن كل الناس فى داخلهم قوى خارقة تنقصها الفرصة لكى تظهر، والتدريب لكى تستمر فإذا نجح مرة، اصبح ممكنا عشرات ومئات المرات.

أقول هذا وأكرره ولا أصدقه.

أما المناسبة فهى الصيف واقتراب الناس من الماء، ماء الحمامات أو البحر والرغبة فى السباحة..

أى مجرد الطفو على الماء وقد حاولت ذلك عشرات المرات والنتيجة اننى كالذى يقفز من طائرة ولاتنفتح المظلة، وإذا كان جاجارين يحاول أن يقول إن كل الناس مثله أو كل الناس متشابهون فإننى أقول: الا أنا..

ومن لايصدقنى فليأت ليتفرج على التفاعل الكيماوى الذى يقوم به فيتحول الإنسان إلى حجر بمجرد ملامسة جسم للماء!



أحقر من الناس!

كازانوفا رجل سيئ السمعة. لأنه نصاب ومغامر ومقامر وذئب الليل وجاسوس وسافل فى جميع الحالات.

ولكنه مع ذلك كاتب وأديب وفيلسوف.

ولكن من السهل أن يشتمه الناس ومن الصعب أن يمدحوه. لأن المدح يقتضى أن يقرأ الإنسان كتابه «تاريخ حياتى» الذى صدر منذ سنوات فى إثنى عشر جزءاً.

وكازانوفا كاتب إيطالى ولد فى البندقية من أبوين يعملان فى التمثيل. وكازانوفا هذا يعلم منذ بداية حياته أنه لن يكون إنسانا محترماً. ومع ذلك تعلق بالناس المحترمين وحشر نفسه فى الطبقة الارستقراطية. رأيه فى هذه الطبقة أنها مجموعة من الناس التافهين الكاذبين الراغبين فى التسلية بشرط أن يكون الضحية واحداً منهم. وهم كسالى فى حاجة إلى جواسيس.

وكان يعلم ايضا إنه اسهل جدا ان تغزو قلب المرأة من ان تغزو أصغر قلعة فى الدنيا. لماذا؟

يقول لك الفيلسوف كازانوفا: لاتوجد إمراة لايغريها أن تقول لها إنك جميلة. هذه بديهية مهما كانت قبيحة. ومهما كانت تسمع هذه الكلمة مليون مرة فى اليوم ومن مليون شاب اجمل، تظهر فى الوقت الذى تقول فيه هذه العبارة السحرية عبقريتى هى أن اقولها فى الوقت غير المناسب.

أى عندما يكون أى مديح نوعا من المفاجأة لها.

مثلا: لو سقطت سيدة فى الوحل وانكسرت ساقها، فى هذه اللحظة التى تذوب فيها عيون الناس كذبا.. هنا فقط قل العبارة غير المناسبة.. قلها ولاتتردد. سوف تكون سخيفا ووقحاً وسافلا ولكن المرأة لن تنسى لك هذه الجملة مدى حياتها وغير ذلك عشرات الأمثلة للسفالة المدروسة.

وأعجبنى لكازانوفا «١٧٢٥ ـ ١٧٩٨» رأيه فى الناس يقول: ما الذى تريده من الناس لاشئ سوى أن يكونوا فى خدمتك. ماالذى تريده من خدمات الناس؟ أن يكونوا جسرا إلى مطامعك؟ ماالذى تريده من المطامع؟ أن تكون وحدك فوق أعناق الناس..

إذن لابد من الناس اردت أو لم ترد.. ولابد أن تقع فى خلاف مع الناس.. مدى حياتك ولكن كيف تنجو من سفالة الناس؟

هناك حلول: أن تكون سافلاً مثلهم.. وأن تتظاهر بالفضيلة وأنت كاذب.. وأن تتوارى خلف سيدة جميلة غنية، هنا فقط تصبح جميلا فى عيون الناس..

ويقول: علمتنى تجاربى أنه ليس أحقر من الناس إلا الناس..

والكتاب ملئ بالتجارب والنوادر والحوادث التى وقعت فى نصف قرن فى بلاط الملوك والامراء والاغنياء. والكتاب ممتع لولا أن المؤلف قد اختار أحط الناس وأحط الاشياء مادة لكتابته..

إنه فيلسوف فنان اختار الحقارة والنذالة ـ ولكنه يستحق الاحترام لأنه لم يخف عيوبه ـ وهذه صفة يفتقدها كثير من الكتاب..



الصوت لا الصورة

ربما كان هذا عدلا سماويا: كل أصحاب الأصوات الجميلة ليست لهم وجوه جميلة!

وفى استطاعتك أن تستعرض فى ذكرياتك كل اصحاب الحناجر الذهبية عندنا وفى العالم كله.

وهذا معناه أن الصوت الجميل يجعلنا ننسى الوجه أو الجسم الذى يصدر عنه أن هذا الصوت يرفعنا ويرتفع بنا إلى درجة أعلى من الشكل والشكليات ومن الجسم والماديات.

ومعنى ذلك أن الصوت الجميل يتحدث إلى ارواحنا وينسينا اجسامنا.. وأنه يهز القلب.. والقلب يدق فينا ويدقنا ويسحقنا حتى نصبح ذرات تتطاير مع النغم إلى السماء.

وعندما نقول: إن هذا الصوت ملائكى نقصد أنه صوت من السماء وأن الصوت نفسه قد حولنا إلى ملائكة نحن ايضا.

فالصوت فوق ونحن وراءه ايضا.

وكثير من اصحاب المواهب الفنية ليست اشكالهم جميلة.. على سبيل المثال الممثلة كاترين هيبورن والحاصلة على ثلاث جوائز أوسكار فى التمثيل ليست جميلة لا شكلا ولا صوتا ولا جسما ولكن انظر إليها كيف تقول ماتقوله.. استمع إليها وصوتها الغليظ يتمزق ويتقطع ودموعها تنزل بالحساب الدقيق.. انظر إليها وهى لاتقول أى شئ.. وفى نفس الوقت تقول كل شئ.. لقد شاهدتها فى أحد الافلام مع الممثل بيتر أوتول والشيخ المنهار على الشاشة.. كانت قمة الجمال الفنى كانت نموذجا عملت بقاعدة تقول: ليس الوجه ولا الجسم ولكن البلاغة.. ليس المبنى ولكن المعنى؟!

الموسيقار العظيم بيتهوفن الذى احتفل العالم بمرور ٢٠٠ سنة على مولده ليس جميلا: قصير مكلبظ منكوش الشعر.. فى عينيه قسوة. وفى شفتيه مرارة الاصرار وإذا دنوت منه أكثر انبعثت منه رائحة كريهه ليست رائحة العرق فقط وإذا نظرت إلى اظافره دون أن تعرفه ادركت أن المانيا لم تخترع شيئا لنظافة ايدى عمال مناجم الفحم!

ومنذ سنوات كنت اتطلع إلى وجه الاديب السويسرى ديرتمات واتمنى لو ألمس رأسه الكبير وافتش تحت منظاره عن هذا الينبوع المتدفق من النكت. وعندما رأيته وجدت أن له رأسين: رأسه وكرشه.. وأنه يتلعثم وأن العنف الذى فى عينيه ليس إلا غيظ لأن انفه المزكوم دائما لايسعفه بالأوكسجين اللازم!

ليس الوجه أو الجسم.. وإنما شئ آخر من عند الله!

الرقص أهم..

إذا زاد عدد الفرق الكوميدية الخاصة فسوف تظهر راقصات آخريات على مسارحها.. وظهور راقصات معناه أن الفرقة الخاصة محتاجة إلى اجسام جميلة «تسند» الممثلين والممثلات.. أى أنهم محتاجون إلى جسم جميل وليس إلى جسم معبرا. وإذا كانت الراقصة قد فقدت معناها فى النوادى الليلية فلأنها ترقص وتهتز ولا تقول أى شئ ولذلك فأنت عندما ترى الراقصة تشعر بالاشفاق عليها.. لأنها تحاول أن ترغم جسمها على أن يقول أى معنى.. ولكن لامعنى.. وأصبحت الراقصات لا تختلف الواحدة عن الأخرى إلا فى الأداء وإلا فى أنهاء الرقصة أو اختيار قطعة موسيقية من إحدى الأغانى، وهناك سباق بين الراقصات على اختيار أنسب القطع الموسيقية المعروفة والرقص بمصاحبتها أو على هديها. ولكن الرقص الشرقى: مرتجل ليست له قواعد ولاأصول وهو تحريك الأرداف وهز للصدر مع تطويح الرأس إلى الوراء والجانبين ـ ولا معنى هناك.. ولذلك فالراقصة إنسان أخرس.

ولأنها ترقص فى النوادى الليلية، فهى تفقد معناها مرة أخرى.

لأنها تتحرك بين متطوحين يرون كل شئ جميلا ويرونها أيضا.

ولذلك إذا تحولت الراقصة إلى المسرح فلأنها تريد أن تجد لنفسها معنى.. ولأن الرقص قصير العمر.. فهو مرتبط باللياقة الجسمية، ثم لأن تحية كاريوكا الراقصة قد تفرغت للتمثيل.. فكل راقصة تريد أن تمشى فى الطريق.. ثم لأن الراقصة تظهر على المسارح بفلوسها، فبعض الراقصات دفعن أموالا للمخرجين لكى يظهرن على المسرح.. وأظن أنه من حق أى إنسان أن يذهب بفلوسه إلى المسرح، وأن يصعد بفلوسه على المسرح أيضا.

أما السبب الحقيقى لظهور الراقصات على المسارح الكوميدية الآن، فلأن هذه المسارح قد تحولت إلى كباريهات رخيصة جدا.. لايكفى فيها خلع الملابس، وإنما خلع الحياة قبل الملابس وبعدها.

أما لماذا اتجهت هذه المسارح إلى هذا الأسلوب العريان فلأنها تريد أن تكسب.. وهى تريد أن تكسب لأن الدولة لاتساعدها والدولة لاتستطيع أن تساعدها على الاستمرار فى خلع أزياء الحياء.

ولذلك فهناك اتفاقية صمت بين الدولة وبين هذه المسارح اساسها: أن الدولة لاتدفع، والمسارح يجب أن تجد من يدفع بعيدا عن هؤلاء الذين يستنكرون ويلعنون. ومن علامات الخير الاخلاقى والاجتماعى أن من يستنكرون ذلك سوف يتجهون إلى مسارح الضحك المحترم أى الذى يحترم فيه الممثل نفسه وجمهوره.

لماذا التاريخ ؟

عندما سئل المؤرخ الكبير أرنولد توينبى الاسباب التى جعلته يهتم بتاريخ الإنسانية أجاب فى ١٥٠ صفحة ظهرت فى كتابه المعروف باسم «تجاربى من حياتى».

فمن الضرورى أن تكون هناك دوافع قوية له ولأى إنسان يريد أن يحقق شيئا ايجابيا فى حياته.

فهو إنسان قلق ومن الضرورى أن يكون الانسان قلقا مضطربا.. يلتفت يمينا وشمالا بعقله وقلبه وبقية الحواس. ولكن القلق دافع إلى شئ. وليس فى جميع الاحيان شيئا مفيدا.

ولذلك يجب أن يكون هناك إلى جانب القلب. ضمير. فالضمير يدفعنا إلى فعل ماهو نافع وماهو مفيد لنا ولغيرنا. فإذا وضعنا القلق إلى جانب الضمير ظهرت أمامنا شخصية قوية من الناحية الاخلاقية ولكن ليس من الضرورى أن تكون شخصية عالم كبير أو فنان عظيم وإنما شخصية إنسان جاد مهذب..

ولذلك لابد أن تكون هناك دوافع أخرى.

أى عوامل أخرى لاتكتفى بأن تدفعنا إلى الإمام، إلى أى هدف وإنما تدفعنا إلى الهدف البعيد الذى يكشف عن قدرتنا.. هذا الدافع هو حب الاستطلاع: أى الرغبة فى أن نرى وأن نفهم مانرى.

وكان المؤرخ توينبى محبا للمعرفة. أما لماذا اختار التاريخ بالذات؟ فلأن أمه كانت مؤرخة. وكانت تروى له كل قصص التاريخ الحديث والقديم قبل النوم وقبل الطعام. ولان أمه كانت حريصة على أن يعرف أنها التاريخ بصورة علمية. رفضت أن تجعله يسمع قصة واحدة من مربية أو خادمة. فلم تدخل بيتها خادمة أو مربية.. وكانت أمه أيضا تكتب له قصصا تاريخية طويلة..

ولما سئل المؤرخ نفسه بعد ذلك. ولماذا التاريخ بالذات؟

قال: لأننى أريد أن استمتع..

فلابد أن يكون الفن والعلم الذى يقبل عليه الإنسان شيئا ممتعا له عند قراءته وعند كتابته. وأن ننقل هذه المتعة إلى القارئ.

وأهم من ذلك أن يكون عاشقا، فالذى لايحب لايضحى. والذى لا يعرف التضحية لايفهم كل القيم الاخلاقية والجمالية.

ولذلك فالتاريخ الذى احبه توينبى هو صورة مضطربة صارخة منطقية ايضا لحب الإنسان للقوة والجمال والخير والحرية. أى لحب الإنسان للدين..

قواعد الموضة..

قاعدة فى الازياء: إذا انكشف الصدر تغطت السيقان. وإذا تعرت السيقان توارى الصدر. وإذا تغطت السيقان والصدر. انكشف البطن والخصر وهذه موضة هندية عمرها اكثر من الف سنة ولا تزال..

فالمرأة الهندية ترى أن كتفيها عورة وساقيها ايضا.. أما بطنها كله فلاشئ ولو مشيت فى احد الشوارع بالقرب من السفارة الهندية لوجدت عددا من السيدات الوقورات المحتشمات جدا قد كشفن مساحات كبيرة من بطونهن فى غاية التحفظ!

وموضة «المينى جيب» قد سحبت الفستان إلى مافوق الركبة حتى أصابع اليدين. وغطت الكتفين بالشعر. والذى اختصرته المرأة من ثمن الفستان اشترت به جوارب طويلة لتغطية الساقين.. واشترت به أحذية طويلة عالية ـ حذاء ولنجتون القائد الانجليزى الذى هزم نابليون فى معركة واترلو ـ ثم اشترت سلاسل تتدلى من عنقها ووسطها.. واشترت خواتم متراصة فى اصابعها..

والتى اخترعت موضة «المينى جيب» فى انجلترا استحقت من الملكة أعلى النياشين.. لأنها جعلت لندن مركز الاناقة. وجعلت عارضات الأزياء الانجليزيات ملكات عروض الأناقة ولأنها جعلت بيوت الازياء الانجليزية هى المسيطرة على خطوط الموضة سنوات طويلة.. وللان ملايين السائحين جاءوا إلى بريطانيا يتفرجون على المينى جيب أو على الذى يكشفه المينى جيب من جسم اشيك وارشق بنات أوروبا!

وكان لابد من رد فعل معاكس مختلف. وجاء الرد من باريس أم الموضة والاناقة. كان الفستان الموضة هو الطويل الذى يغطى الساقين ويجرجر على الأرض. واصبحت الفلاحة المصرية هى اشيك سيدة فى العالم لأن جلبابها موضة عالمية وكذلك كل ما تضعه الفلاحة فى عنقها وعلى صدرها وفى أذنيها ـ فيما عدا ما تضعه على كتفها من الاولاد وماتسحبه وراءها من البهائم والازواج!

ولابد أن شركات النسيج والأقمشة العالمية فى فرنسا وفى أوروبا قد دفعت الملايين لمصممى الازياء لانقاذ تجارة الاقمشة من الخراب ـ ولذلك جاءت موضة الماس والميدى ـ أى الطويل والمتوسط ـ لتنقذ فرنسا من انجلترا وتنقذ صاحبات السيقان المؤلمة من صاحبات السيقان المغرية، ولتكون رصاصا يندب فى اعين الرجال، ثم لتنقذ شركات الاقمشة من الخراب..

ولكن المرأة لابد أن تتعرى.. أو توهم الناس بأنها. متعرية ومتغطية فى نفس الوقت ظهر البنطلون الصينى الواسع لأنه يكشف الساقين ويشير إليهما. ويغطيهما فى نفس الوقت.. وهو بذلك يريح المرأة.. والرجل أيضا!

كان غرقها نجاحا!

السفينة غرقت.. ولكن الرحلة نجحت «رع» المصنوعة من الورق، قاومت الأمواج شهرين.. أما رحالتها فقد عادوا إلى الشاطئ يحدثون العالم كله عما جرى لهم.

ولكن ما الذى جعل البحار النرويجى هايردال يقوم بهذه الرحلة ليؤكد أن الفراعنة هم أول من سافر إلى أمريكا قبل كولمبوس بأربعين قرنا؟!

هناك أسباب متعددة مختلفة..

من بينها أن «التاريخ واحد»... أى أن هناك إتصالاً مستمرا بين كل الحضارات القديمة.. وأنها تتأثر بعضها بالبعض... ربما لأن الأرض متصلة والحياة متصلة، فلابد أن تكون الشعوب قد مشت على الأرض من جانب إلى جانب، وعبرت الماء من شاطئ إلى شاطئ.. فذهب الفراعنة إلى أمريكا أقاموا أهرام المكسيك..

وهناك سبب أخر وهو أننا نعيش فى جو من التشاؤم واليأس.. وهذا التشاؤم يجعلنا ننظر إلى الماضى على أنه أحسن.. وعلى أن العصور الذهبية للإنسانية كلها كانت وراءنا.. فأجدادنا أحسن من أبائنا.. وأجداد أجدادنا أحسن الجميع.. ولذلك فالفراعنة هم الذين عرفوا كل شيء وجربوا كل شيء.. ووصلوا إلى كل شيء قبل أن نصل نحن إليه فى العصر الحديث.. أى وصلوا إلى أمريكا قبل أن يصل إليها كولمبوس.. وعلى زوارق من الورق.. لا من الخشب.. أو عابرات المحيطات؟!

والتشاؤم يبلغ أقصى درجاته عندما نقول إن الفراعنة ليسوا هم مصدر الحضارة وإنما هم بقايا حضارة أخرى جاءت من سكان كواكب أخرى.. أعقل وأحكم منا.. وإن هؤلاء السكان قد هبطوا إلى الأرض وعلمونا ثم لأسباب لا نعرفها اختفوا!

وهناك سبب أخلاقى يدفعنا إلى تمجيد الماضى البعيد.. وهو أن الإنسان فى العصر الحديث قد أصبح مغرورا.. وأنه تصور أنه سيد الأكوان.. وأنه قد وصل إلى القمر أى أنه وصل إلى كل ما فى الكون من الغاز وأسرار.. مع أن الذى نعرفه قليل جداً إذا قورن بما لا نعرفه.. فالعالم الإنجليزى نيوتن وصف نفسه بأنه مثل طفل يلهو فى الرمال على شاطئ محيط الحقيقة.. والعالم الألمانى إينشتين وصف الذى يعرفه والذى لا يعرفه من أسرار الكون مثل «طابع بريد» وضع فوق مسلة فرعونية قديمة.. فالذى يعرفه تافه.. مع أننا نراه واحداً من كبار العباقرة.

ثم إن البحار هايردال حاول أن يعطى لمغامراته هذه صفة مشروعة أو شرعية..فبدلاً من أن يبدو مغامرا جريئا أكد أنه مفوض من قبل التاريخ الفرعونى بأن يفعل ذلك.. لأن الفراعنة سبقوه إلى عبور المحيط..

على كل حال هو حاول ونجح، ونحن تابعناه وأعجبنا به.. وليست قصته إلا حفلة تكريم أقامها لنفسه .. ولنا أيضا!



ضحكنا معاً

كنت أنا وأخي الصغير نركب القطار من قرية «نوب طريف» إلى السنبلاوين ذهابا وإيابا بتذكرة واحدة.. وكان الكمسارى يندهش جدا لهذا التصرف الغريب.. إذ كيف نركب بتذكرةواحدة فى الدرجة الأولى ولم نكن نندهش فقد قيل لنا فى البيت إننا صغيران وكل واحد منكما بنصف تذكرة. وكنا صغيرين فى السنة الأولى الابتدائية ويبدو أننا لم نكن صغيرين فى نظر الكمسارى ـ وكان ينظر إلينا ويرى السذاجة وحسن النية فيقول: غدا بتذكرتين: فلم تصبحا صغيرين.

وغدا نعود ويتكرر نفس الموقف .. وينظر إلينا نفس النظرة وعرفنا كل الكمسارية..وكانوا يقولون: من أجل خاطر والدكما فقط ... معلش؟

ولاحظت على نفسى عندما أركب القطار هنا أو فى الخارج أننى أتى بأعمال يقوم بها الطفل الذى فى داخلى فلا أكاد أرى الكمسارى من أول العربية حتى تمتد يدى إلى جيبى وأخرج التذكرة دون أن أفكر.

ولما تنبهت إلى ذلك تعمدت ألا أخرجها إلا بعد أن يطلبها منى.. تجربة فى التحكم فى هذا الطفل الذى فى داخلى والذى لم يعرف بعد أننى قد تجاوزت هذه المرحلة وأنه لم يعد هناك ما يخيفنى من الكمسارى!

ولقد زارنى رجل يشكو من ظلم وقع على ابنه فى احدى المؤسسات وطلبت إليه أن يكتب لى مذكرة.. وكانت فى يده وقرأتها ووعدت بمساعدته فأنا أعرف رئيس المؤسسة. وفى نفس الوقت مقتنع بعدالة الأبن.. وأمام مرض الرجل الجالس أمامى وحاجته إلى الاطمئنان اتصلت برئيس المؤسسة وشرحت له.. ووعد ـ مقتنعا ـ بإصلاح الخطأ.. وشكرته. وشكرنى الرجل الجالس أمامى.

وقبل أن يودعنى قال: أنت لا تعرفنى ومعك حق فقد كان ذلك من وقت طويل.. أنا الكمسارى؟

وروى قصته معنا أنا وأخى..

وبسرعة غريبة أذهلتنى مددت يدى إلى جيبى أبحث عن التذكرة.

وضحك الرجل .. وضحكت على قلة عقلى!

لا زواج ولا طلاق!

ليس خبرا أن يتم الطلاق بين الفنانين. ولم يكن خبرا أن يتزوج اثنان من الفنانين.

فالعلاقات سهلة فى الوسط الفنى.. من السهل أن تتم الصداقة.. ومن السهل أن تنتهى والزواج ليس حادثا عظيما فقد تم على الشاشة أو على المسرح كثيرا. ولا يوجد فنان واحد لم يقف أمام مأذون ذهابا وايابا.

والزواج فى الوسط الفنى يتم بسهولة فالعمل والاتصال المستمر والارهاق. تجعل الإنسان سهلا لا يقاوم رغباته فى الصداقة أو فى الزواج أو فى الطلاق وكثيرا ما قال الفنان للفنانة أية رأيك ما تيجى نعملها؟

ويكون الرد: والله فكرة..

وتتحول الفكرة من كلام إلى تمثيل إلى افراح إلى خبر تنشره الصحف وتترك مكانا خاليا لنشر بقية الخبر وهو الطلاق.

والممثل أحيانا يندمج فى دوره على الشاشة.. فترى واحدا يبكى من قلبه ويضحك من قلبه.. مع أنه ممثل فقط.. ولكنه اندمج فى دوره فكاد الكذب أن يصبح حقيقة.. والذى يفعله على الشاشة يفعله فى الحياة أيضا فيندمج فى التعبير عن رغباته فيصبح الكذب حقيقة.. وينسى الفنان أنه ممثل.. وتنسى الفنانة أنها ليست متفرجة وأنها يجب ألا تتأثر بما ترى من كذب.. ولكنها هى أيضاً تحب الكذب.. تحب الكذب على الناس.. وتحب كذب الناس عليها لأن الفن كله كذب جميل فحياتها كذب على المسرح أو على الشاشة..

ويتم الزواج فى ظروف فنية مع أن الحياة نفسها ليست فنا فالحياة على الشاشة لا وجود لها فى الواقع .. فالواقع ليس منظما ولا جميلا ولا منطقيا.. ولا مركزا ولا سريعا كما تراه على الشاشة.

ولكن الفنان والفنانة يروحان ضحية الكذب الذى يعيشان فيه.. وتجىء الحياة العادية مختلفة عن الفن.. ويتحول الفنان والفنانة إلى متفرجين عاديين ويكتشفان أنهما قد نسيا أنهما ممثلان كاذبان.. وعندما يكتشفان الحقيقة يكرهان الحقيقة.. ويجىء المأذون يحررهما من الصدق المؤلم. ليعودا إلى الكذب الجميل..

والفنان والفنانة ككل الناس مختلفان على الفلوس وعلى الطعام وعلى النساء والرجال.. وعلى الأولاد وعلى ساعات النوم وساعات اليقظة. إن حياة الفنانين الزوجية كئيبة جدا لأنها حياة بلا مؤلف ولا مخرج إنها حياة مرتجلة .. على حسابهما وليست على حساب المنتج.. حياة بلا وعى.. لأن الاثنين مدمنان للكلام لأنهما قد أدمنا الزواج بعد ذلك!

علامة تعجب!

شكا أحد الفنانين من أن «الصحف» عندما تنشر كلاما عنه فإنها تضع علامة التعجب فى نهاية السطر!

وأن هذه العلامة تضايقه.. لأن معناها أنه شىء مدهش أو شىء محير.. مثلا إذا قيل: عاد فلان من لبنان ومعه ست شنط بها اسطوانات، واحدة بها اسطواناته هو، وعلامة التعجب بعد ذلك.. ويسألنى ما معنى هذه العلامة.. لابد أنها للسخرية منه.. ولا يعرف لماذا يسخرون منه .. أليس من المألوف أن يأتى أى مطرب باسطوانات له قد سجلت فى بيروت.. تماما كما يفعل أى مؤلف عندما يحمل معه نسخا من كتاب صدر له فى الخارج؟

وأذكر أن المرحوم العقاد غضب جدا عندما نشرت عنه الصحف أنه تقاضى مبلغ ٢٠٠ جنيه عن حلقة فى برنامج «نجمك المفضل» وعاتبنى بشدة ولا منى وحملنى مسئولية وضع علامة التعجب بعد المائتى جنيه.

وقال العقاد: هل معنى ذلك أن الذى كتب الخبر يستكثر على رجل مثلى أن يتقاضى هذا المبلغ التافه، مع أن التليفزيون يعطى فنانة مثل هذا المبلغ وأحيانا أكثر.. هل «أنتم» ترون أن رجلا مثل العقاد قرأ عشرات الألوف من الكتب وألف عشرات الكتب فى خمسين عاما، لايستحق هذا المبلغ الذى أعطى قبل ذلك لطه حسين.. ثم ماهى مقاييس القيمة الإنسانية عندكم.. الخ.

والمرحوم أحمد حسن الزيات سألنى أيضا عن السبب الذى من أجله نشرت الصحف أنه أعاد طبع كتبه وأن أحد كتبه قد طبع قبل ذلك ١٥ مرة ـ وعلامة تعجب!

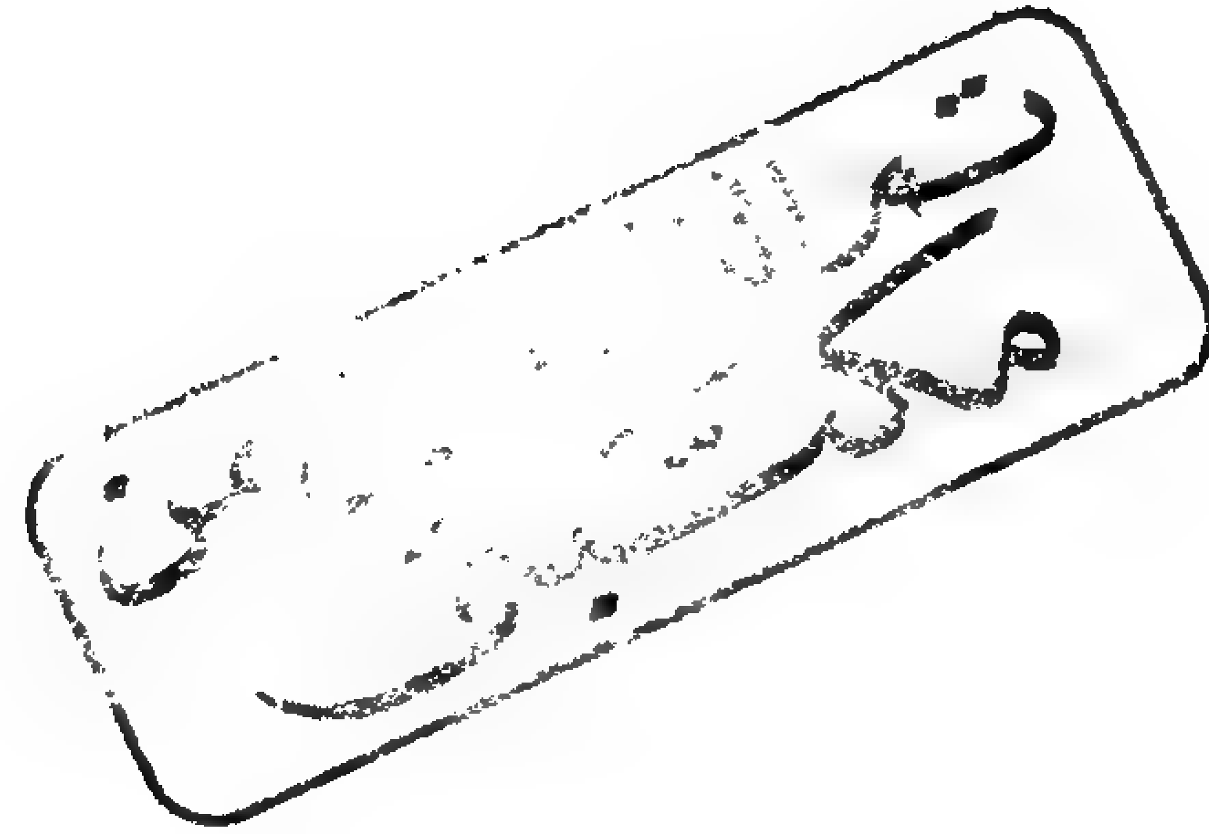
وسألنى المرحوم الزيات برقته المعروفة: هل ترون أن هذا الرقم قليل؟ فعلا قليل جدا لأنه كان فى الإمكان طبعه عشرين مرة لولا أننى مريض، ولذلك أشكركم على حسن الظن!

وليكن معلوما لدى كل الناس الطيبين ـ أى غير الصحفيين ـ أن علامات التعجب هذه لا تدل على أى معنى خاص.. وإنما هى عادة فى الكتابة وأن شكلها أجمل من شكل النقطة الواحدة .. أو النقطتين.. وأن علامات التعجب هذه لا توجد بهذا الإسراف إلا فى الصحف المصرية وأنه من النادر جدا أن يجد الإنسان فى الصحف الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية مثل هذه العلامات.. لماذا؟

لأن التعجب له معنى عند غيرنا.. أما نحن فنتعجب من الفاضى والمليان.. أى أننا لا نتعجب لشىء؟

وقديما قال أستاذنا العظيم أرسطو: إن التعجب بداية المعرفة..
فقط بداية ولكنه ليس المعرفة!

وقد وقفنا فقط عند البداية!



هذا العنف!

في الصحف الأجنبية مناقشة حول: اضرار العنف فى البرامج التليفزيونية على الاطفال وضرورة التدخل حتى لا يفسد هذا الجيل كله.

رأى يقول: أن الشر أكثر اغراء من الخير خصوصا إذا عرفنا أن الشر جميل ولذيذ وأن المسلسلات التليفزيونية تتفنن فى الضرب واطلاق الرصاص والقتل: مسلسلا رعاة البقر، والقصص البوليسية ويكفى أن ننظر إلى حادث سرقة القطار المشهور ـ من المؤكد أن الاغلبية الساحقة من الاباء والشبان الصغار يقرأون حادث سرقة القطار ولابد أن هذا العنف يترسب فى نفوس الاطفال ويغريهم بالتقليد والاطفال حيوانات تقلد ما حولها من البشر.

وإذا نحن اعطينا مجموعة من الاطفال بعض اللعب فإنهم يتقاسمونها ويلعبون بها فى هدوء وإذا عرضنا عليهم فيلما يرون فيه

الكبار يستخدمون هذه اللعب نفسها فى تكسير الزجاج والنتيجة تحول الاطفال بسرعة إلى مجرمين.

رأى آخر يقول: هناك نوع آخر من العنف يقدمه التليفزيون ايضا مثل صور الحروب المنتشرة فى العالم النار حقيقية والدماء حقيقية ولكن الطفل لا يستطيع أن يفرق بين دماء رعاة البقر ودماء ضحايا فيتنام إنها جميعا افلام.

بل أن الطفل ينظر إلى النار والدم على أنهما نوع من التمثيل وبذلك يبطل مفعول العنف فاعتياد الطفل على العنف يفقد العنف قوته وأثره.

ومعنى ذلك أن العنف فى التليفزيون وفى السينما ايضا لا أثر له. فلا خوف على الاطفال من أفلام رعاة البقر أو المذابح البشرية.

رأى ثالث يقول: إن الحياة مملة خامدة .. جامدة وكما يلجأ الناس إلى استخدام الملح والشطة فى الطعام فإنهم محتاجون إلى الدم والنار فى افكارهم حتى تصحو عقولهم وتنشط افكارهم وتهتز حياتهم وينهضوا من البلادة النفسية والعاطفية ايضا وحتى ينهضوا لكى يقاوموا العنف أو ليستغرقوا فيه.

إننى أميل إلى اعتبار هذه البرامج العنيفة نوعا من النكت العنيفة التى تهزنا لتضحكنا.. أو لتوجعنا ونعتاد على الاهتزاز وعلى التوجع.. ثم ننصرف كلما كبرنا إلى هموم اخرى جديدة.. لأن الحياة هموم متجددة.

هذا الضمير!

كيف نشأ الضمير فى الإنسان؟

كيف نشأ هذا الصوت الداخلى الذى يقول لك: لا تفعل ذلك وعليك بعد ذلك أن تنتظر ما سوف تلقى من جزاء!

كيف نشأ ذلك من عشرات الألوف من السنين؟

إن الضمير هو صوت القانون الذى نضعه والقانون الذى تضعه السماء. والضمير هو: الفرامل التى تمسك الإنسان أن يفعل شيئا وهو الكرباج الذى يضرب الإنسان إذا فعل..

لابد أن يكون الضمير هذا قد نشأ من خوف الإنسان من الانتقام أى خوف الإنسان من حيوانات الغابة أن تنتقم منه لأنه قتلها ـ أيام كان مسلحا.

وهذا الخوف من انتقام الحيوانات جعل الإنسان يختار الحيوانات ليعيش عليها وهو يهرب بعد قتلها ويتوارى فى كهف ليأكل لحمها

ولا يظهر من الكهف إلا عند طلوع الشمس. ومسلحا يعيش فى الغابة من عشرات الالوف من السنين.

فالإنسان يقتل الحيوانات التى يجب أن يقتلها يختار المفترسة ويختار التى يتغذى عليها ولكنه لا يقتل الحيوانات التى استأنسها إلا نادرا إنهم فى الهند لا يذبحون البقرة ابدا لأنها أم ولأنها مصنع للحياة ولأنها مصنع لبن وجبن وزبد ـ وإن كان أكثر الهنود لا يأكلون اللحم أو اللبن أو الجبن أو الزبد وكل ما يجيء من حيوان.

وكان الفراعنة لا يأكلون اللحوم لقد كانوا نباتيين وكانوا يقدسون الحيوانات.. فكأنهم اراحوا ضميرهم واراحوا أنفسهم من الخوف من انتقام الحيوانات الأخرى.

والإنسان لم يركب الحصان أو الحمار إلا اخيرا ربما كانت حضارات بابل واشور هى اسبق الحضارات إلى ركوب الخيل.. وكانت مفاجأة للمصريين عندما رأوا الخيول التى يركبها الهكسوس.

ولم يتحرر الإنسان من خوفه من الحيوانات إلا عندما ركبها وإلا عندما ربطها فى العربات هنا فقط تحرر الإنسان من خوفه من انتقام هذه الحيوانات.

حدث تغيير بسيط جدا على ضمير الإنسان: إنه لم يعد يخاف من قتل الحيوان أو الإنسان، واعتاد الإنسان أن يهرب من نفسه إلى الانغماس فى الناس ومع الناس حتى لا يسمع صوت ضميره تمهيدا للقضاء عليه مع الاسف!

مغرور بطبعه

الفنان مغرور بطبعه لأن أحدا لا يقدره.ولذلك يتولى هو تقدير نفسه وتكريم نفسه.

فهو بالنيابة عن كل الناس يقول:

أنا عظيم، أنا أصيل.

وفى الشعر يجد الفنان حريته فهو يصف نفسه بأنه الأول والاخير.. وأنه الاجمل من الجمال والالمع من النجوم.. ويقرأ الناس ما يقوله ثم يعلقون على ذلك بقولهم: إنه الشعر.. ضرورة القافية!

ولكن الفنان الذى لا يقول شعرا يحدث نفسه بكل ما يقوله الشاعر إلى حد ما.. وهو ليس غريبا حتى يوصف بالجنون وليس متزنا حتى يوصف بالحكمة .. إنه بين الحكمة والجنون وأنه الشىء الصعب!

والذى يقرأ ما كتب د. زكى مبارك عن نفسه من خمسين عاما فى كتابه «النثر الفنى» يجد هذا المعنى واضحا فهو كاتب ملىء بالحيوية والاضطراب، ولكن غروره الشديد جعل الناس لا تنتبه إلى عبارته السريعة الخاطفة.

الصحفية في الدرجة الأولى . ولابد أن يكون د. زكى مبارك معذبا فى حياته يحتاج إلى التقدير. ولكنه لم يجده. فهو فى مقدمة هذا الكتاب ـ الذى طبع أخيرا يقول إنه هو الذى اكتشف، وهو الذى شق الطريق أمام الباحثين. وأن أحداً لا يستطيع أن ينكر نفسه وأنه هو الذى وضع المشاعل وأنه أنفق عشرين عاما من عمره فى الدراسة والقراءة.

وأن نصف هذه السنوات كان فى البحث عن الرزق وأنه ألف هذا الكتاب فى أيام سوداء.. وأن الناس لا يستحقون كل هذه التضحيات وأن الناس نصحوه ألا يشتم اساتذته فى باريس.. ولكنه لم يستطع وأن الناس نصحوه ألا يهاجم طه حسين الذى أعطاه صفرا فى امتحان الجغرافيا.

ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الهجوم عليه وعلى غيره.. وأن يجعل نفسه فى النهاية هدفا لكل الاقلام..

ولكنه رغم أنف الناس جميعا يقول عن نفسه: أنا المنارة التى اقيمت لهداية الباحثين فى غياهب الادب... أنا وحدى..

إنه فنان.. ولكنه لم يخطىء كثيرا فى تقدير نفسه.

ديار ليلى

الشاعر العربى القديم يقول أمر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وماحب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديار!!

فمن أجل التى تسكن هذه الجدران المصنوعة من الحجارة أو من طين تصبح لهذه الجدران معان مقدسة فالعاشق الولهان يرى الجدران وكأنها حائط المبكى يلمسها ويتبرك بذلك.

ويبكى عندها وحولها من أجل أن يرى محبوبته!

ومنذ ذلك الحين والمحبون يبكون على الجدار وعلى الباب وعلى الشباك وعلى سماعة التليفون وعند سماع الأغانى وعند شم منديل أرسلته المحبوبة أو وردة أو خطاب معطر. وليس الورق ولا الحبر ولا الورد هو الذى يهز القلوب. ولكن أن تكون المحبوبة قد لمست أو سمعت أو رأت شيئا من هذا كله. ان تكون اية صلة بين هذه

الاشياء الجامدة والمحبوبة، كل هذا قديم ولكن يتجدد مع كل قلب وكل حب.

ولا جديد أو قديم فى الحب فالحب لا عمر له. أنه يولد مع كل طفل ويكبر مع كل شاب ويبقى فى كل قلب كبير!

ولا أحد أكبر من الحب، بل كل الناس اطفال أمام الحب.

قلوب بلا عقول. ولابد أن يكون هذا حال استاذنا العظيم العقاد عندما اهدته محبوبته بلوفراً من صنع يديها.. فتساءل وكأنه يتمنى أن يكون ذلك قد حصل!

ألم أنل منك فكرة

فى كل شبكة أبرة

وكل عقدة خيط

وكل جفرة بكرة

نسجته بيديك

على هدى ناظريك

إذا ما احتوانى فإنى

مازلت فى اصبعيك

فقد تصور ـ بسذاجة المحبين ـ أنها كانت تفكر فيه.

ولو عرف العقاد كيف تصنع المرأة البلوفر لعدل عن رأيه.

فصناعة البلوفرات عمل آلى بحت.. تقوم به المرأة وهى تتفرج على التليفزيون.. وتكون مشغولة برؤية اسماعيل ياسين وهو يتشقلب كالقرد أو بمنظر محمود المليجى وهو يطلق الرصاص على أحد الابرياء!

ويبدو أن هذه السذاجة ايضا هو شئ جعل مؤلفا غنائيا يقول على لسان فايزة أحمد: غازلاله يا أمه بايدى الطاقية ـ وبناء على ذلك فهى احق بهذا المحبوب من اية فتاة أخرى. مع أننا نعلم جميعا أن «غزل» الطاقية أو البلوفر ليس فيه أى مجهود عقلى أو عاطفى.. وإنما هو عمل لا شعورى بحت..

ولكنها سذاجة المحبين الكبار والصغار .. العقاد وغيره!



قالوا

- الحيوانات هى أعز أصدقاء الإنسان لأنها لاتحسد ولا تحقد!
- أكثر الناس يركبون الحصان عند منتصف ظهره ـ لأنه خطر عند الطرفين الآخرين!
- الناس يحبون النظر إلى الأسماك فى الأحواض الزجاجية لأنها تفتح فمها ولا تقول شيئا!.
- النحل لا يستطيع أن يلدغ ويفرز العسل فى وقت واحد ـ على عكس المرأة!
- كلما عرفنا الإنسان ازددنا حباً للكلاب!
- أليس غريباً أن الكلب يستطيع أن يكون صديقاً مخلصاً للإنسان دون حاجة إلى قراءة كتاب عنوانه «كيف تكسب الأصدقاء» ؟!
- الكلب ليس هو الحيوان الذى يعض اليد التى تطعمه ـ أنها حيوانات أخرى فى بيتك والبيوت المجاورة!

- شئ عجيب: ما الذى يجعل الكلاب تعوى عند سماع «نشرة الأخبار»!.
- لا تغضب من زوجتك ولا تحاول أن تصلح ما بينها وبين حماتها فسوف يجئ دورها وتكون حماة يكرهها زوج ابنتها.. وأنت أيضاً!
- آه لو رأى قائد واحد عينى جندى وهو يموت، فلن يفكر فى دخول الحرب مرة أخرى!
- لا تقتلها ـ اقصد زوجتك ـ فإن الغيرة قادرة على ذلك!
- أكبر غلطة: ليست الزواج فقط. وإنما قصص البطولات الوهمية التى تحكيها لزوجتك أيام الخطوبة ـ أن زوجتك قد أخذتها على أنها حقائق!
- قال لى المؤرخ المصرى عبدالرحمن الرافعى فى التليفزيون: أنه أحب امرأته بعد الزواج ـ ومن يومها وأنا اتشكك فى كل الذى كتبه المؤرخ الكبير!..
- هناك طريقتان للندم: أن تتزوج فتندم فوراً.. وأن تحب فتندم على مهل!
- وجع قلب: أن تحب! .. ووجع قلب: ألا تحب!
- لا تصدق امرأة إذا قالت لك: أنا أحب الصراحة!
- لو كانت المرأة تحب الصدق ما غيرت لون بشرتها، ولا خنقت خصرها، ولا أطالت قامتها بكعب جزمتها!

- الله خلق للرجل نوعين من العذاب: المرأة على الأرض ... وجهنم فى السماء!.
- يموت كثيراً من يحب.. لا يموت ولا يعيش من يتزوج!
- آه لو علم الرجال ما تقوله النساء إذا جلسن وحدهن.. ما تزوج منهم أحدا.
- البغل وسط بين الحمار والحصان أو هو الحصان مكثفا ـ ولكنه حمار فى جميع الأحوال!
- نحن نكره النظر إلى القرود لهذا التشابه العظيم بيننا!
- رأيت قرداً ينظر إلى التليفزيون.. لقد كان يفهم كل شئ ما عدا الرقص فى الإعلانات!
- كثير من النحل يموت فى العسل الذى يفرزه من ملايين السنين ـ ولم يتعلم!.
- البغل هو الحيوان الوحيد الذى يباهى بآبائه، ولا يباهى بأولاده!
- إذا سمعت كلباً يقول: أحبك أكثر من نفسى، فيجب أن تصدقه!
- كان فى نيتى أن أقول لك نصيحة، ولكن تذكرت أننى أحوج إليها منك!
- إذا تزوجت أمرأتين معاً فمن المؤكد أنك كسبت امرأة ثالثة!

- إذا كان الطلاق هو أبغض الحلال إلى الله، فإن الزواج هو أبغض الحلال إلى الإنسان!
- لا مانع من أن أقول لك نصيحة: لا تستمع إلى نصيحة أحد!.

أنهم أحرار

نحن ـ مع الأسف ـ ننسى بسرعة ..ننسى أن مصر حاربت اسرائيل خمس مرات ثم وجدت أن المفاوضة هي الحل.. المفاوضة قبل الجلاء، والمفاوضة بعد الجلاء.. وأن هذه هي القاعدة بين الشعوب التي تحاربت .. وحتى بعد نهاية الحرب، أو لكي تنتهي الحرب لابد أن نجلس معا، وأن نتحاسب على الذى ضاع وعلى قيمة الخسائر وإعادة الأسرى والتعويضات ورسم الحدود.. وأهم من كل ذلك ألا نعودإلى الحرب مرة أخرى!

وبعد انتصارنا فى سنة ١٩٧٣ كانت المفاوضات على السلام .. وعلى استمرار السلام بين مصر وإسرائيل وبين إسرائيل والعرب.. وقد قاطعتنا معظم الدول العربية، وقالوا فى ذلك كلاما بديعا مثل: الخيانة،والعمالة، والتصفوية، والمعاهدات السرية.. ويوم أثرنا قضية طابا «٩٠٠ ألف متر مربع» قالوا: طابا سوف تبقى لإسرائيل لأنها الثمن الذى دفعته مصر لاستعادة سيناء، واستعدنا طابا وكل سيناء..

وقالوا: مصر تفاوضت من وراء العرب. وكان الأشقاء الفلسطينيون أكثر الناس اتهاما لنا بكل ما في القاموس القبيح من كلمات وعبارات، ويوم مات السادات كانت تتردد في كل مدن الضفة والقطاع أغنية أم كلثوم: افرح يا قلبي.. وفي ليبيا كانت أغنية أم كلثوم.. يا ليلة العيد أنستينا..

لا يهم.. وجاء الفلسطينيون وتفاوضوا من وراء كل العرب فهذا هو الشرط الذى وضعه اليهود لياسر عرفات، ولم يعلم أى زعيم عربى، أى زعيم، خبر هذه المفاوضات السرية والاتفاق مع فلسطين على كل شيء.. وقلنا: لا مانع إنهم أحرار في اختيار دروب الحرية التي يريدونها.. ومادام هذا قرارهم فلا نملك إلا أن نباركه.. وباركناه.

وجاء الملك حسين وهو السياسى الداهية، وكان أسرع في الاتفاق على التطبيع مع إسرائيل، ولا لوم عليه فهو أدرى بظروفه الاقتصادية والسياسية وباركنا خطوة الملك حسين..

وعندما خطب وزير خارجية مصر عمرو موسى في قمة عمان وراح يندد بالذين «يهرولون» نحو إسرائيل، رد عليه الملك حسين، وكان على حق، وقال له: والله يا سيدى نحن لم نفعل غير الذى فعلته مصر، نحن سرنا وراءكم وأنتم اتفقتم مع إسرائيل دون موافقتنا.

ويومها قلت للصديق عمرو موسى: يا سيدى العزيز أنت مثل إمام مسجد.. والناس جاءوا من كل فج عميق ليصلوا وراءك.. هذا

جاء على قدميه وهذا فى سيارة.. فاذا جاء واحد فى طائرة خاصة هل تلومه لأنه جاء مسرعا ليصلى وراءك؟

فما الذى تقصده مصر؟

مصر وبقية الدول العربية تريد أن تضغط على إسرائيل من أجل الموقف الفلسطينى.. أى أن السلام مع الدول العربية مقابل السلام مع فلسطين.. وموقف مصر هو وجهة نظرنا وليس بالضرورة وجهة نظر كل الدول العربية ففلسطين اتخذت موقفها دون علمنا وهذا حقها.. وكذلك فعلت الأردن ومن حق قطر وبقية دول الخليج أن تقرر ما تراه هى.. وأى قرار تتخذه هو تأييد وتدعيم للموقف المصرى.. ثم أن هذه الدول التى تقوم بتطبيع العلاقات مع إسرائيل سوف تكون هى الأخرى ـ مثل مصر ـ أداة للضغط على إسرائيل من أجل السلام الشامل! ولكننا ننسى الذى فعلناه وننسى أيضا حق وحرية أى دولة أخرى فى اتخاذ القرار الذى تراه!



مشكلتى

كان عندى أمل فى أن أفوز فى مسابقة رواد الفضاء، أى بين الكتاب الذين لهم اهتمام بالفضاء والرحلات بين الكواكب ونشأة الكون وجاء دورىّ لكى أكون مندوب الأدباء عن قارة أفريقيا. وأسعدنى الحظ فاختارونى لكى أرافق عالم الفضاء المصرى د. فاروق الباز.

ثم توالت التعليمات من هيئة الفضاء الأمريكية. وعشرات الشروط التى يجب أن تكون عندى قبل أن ارتفع شبرا واحدا من الأرض ووافقت على أن أدخل أى امتحان فى المعلومات العامة. فالذى قرأته كثير والذى شاهدته من الأفلام كثير جدا.. وكذلك المقالات التى كتبتها والكتب التى اصدرتها.

وكان من بين الشروط أن ينقص وزنى ١٨ كيلو جراما.. ممكن.. وأن يكون قلبى زى الحديد وأن تكون الرئتان كالبالونات تسحبَ

الهواء وتدفعه. وأن تكون اعصابى من حديد .. وفى نفس الوقت أن يكون رد الفعل عندى سريعا جدا.. كل ذلك نجحت فيه.. فالحمد لله.

أما المشكلة الأولى فهى أن أجيد السباحة! وأنا لا أعرف السباحة فلم أنزل البحر فى حياتى منذ غرقت فى النيل فى الخامسة من عمرى حين رأيت زملائى وأقاربى الأطفال يسبحون فألقيت بنفسى فى الماء، فقد فعلت بالضبط ما يفعله البط والأوز.. وغرقت كما لم يحدث لأى بطة أو أوزة تسبح بحكم الغريزة.. بينما أنا غرقت بحكم الطبيعة.. تماما كالأحجار التى تسقط إلى عمق النيل!

وأنا رأيت كل بحار الدنيا ومحيطاتها .. ولم ألمس مياه البحار: الأبيض والأسود والأحمر ولا تجاوزت شواطىء هاواى إلى المحيط الهادئ وشواطىء فلوريدا إلى المحيط الأطلسى.. ولكن أقنعونى بأنه من السهل أن أتعلم السباحة وأن أتفوق فيها..

والمشكلة الثانية أن آكل أنواعا وكميات من اللحوم بانتظام. وأنا نباتى لم أذق اللحم فى حياتى.. فقد حدث يوم عيد الأضحى أن قفزت من سريرى لأعرف ما سبب الضجة أمام الباب.. وكنت فى الرابعة من عمرى، عندما وجدت نفسى غارقا فى دماء خروف يذبحونه.. من يومها لم أضع اللحم بكل اسمائه وألوانه واحجامه فى فمى.. ولكن قيل لى إنه يمكن تعويض اللحوم بالبيض والفول وبعض الفيتامينات..

أما المشكلة الثالثة فهى أن أتدرب على النوم ثمانى ساعات حتى عشر ساعات يوميا.. وأن يكون النوم بالأمر ـ بأن يصدر لى أحد أمراً.. أو أن أصدر أنا امرا لكل أعضائى فتنام واحدا واحدا.. لانه فى الرحلات الفضائية .. ينام رائد الفضاء بالأمر من العلماء فى قواعد المتابعة الأرضية أو بأمر قائد الرحلة الفضائية بأن ينام فوراً أو يصحو فوراً ويدخل الحمام ويخرج منه، فرائد الفضاء انسان آلى لا ارادة له أمام الأوامر من فوق أو من تحت!

هذه هى أكبر مشكلة فأنا لا أنام فى أحسن الظروف أكثر من أربع ساعات يوميا، ولم يحدث أن زادت ساعات النوم، حتى مع استخدام المنومات، على أربع ساعات ونصف! ربما مرة واحدة فى حياتى كلها ولأسباب لا أعرفها حتى الآن قد نمت من الغروب إلى الشروق فى مدينة مانيلا بالفلبين، وعندما صحوت على أشعة الشمس تلمست جسمى بيدى، فقد ظننت أننى ميت. وأن هذا هو يوم البعث.. ويومها أخرجت قلما وورقا وكتبت العبارة التى رأيت أن ينقشوها على قبرى: فلان الفلانى ولد سنة كذا ومات سنة كذا، ولم ينم إلا يوما واحدا !!

هذا الشرط هو المستحيل.. وهكذا تبددت كل أحلامى وطموحاتى أن أكون فوق.. فوق.. وأن أرى من فوق وأكتب من فوق للذين تحت.. وأن أقول وأجول واصف وأحلل.. وأن أكون أول أديب وأول افريقى وثالث وأول عربى.. يا خسارة.. آه لو كنت تعلمت النوم.. آه لو أن أحداً أقنعنى بأن الذى أفعله ليس نوما وإنما

هى حراسة للسرير.. وأن العمر قد انتهى ولم يتحقق فى حياتى حلم بسيط جدا هو أن أنام خمس ساعات من أى يوم.. فإذا كنت لاأستطيع ذلك على الأرض، فكيف أستطيع ذلك فى السماء!



.. لا أمان!

إسرائيل تحتفل بمرور خمسين عاما على انشائها .. وأكبر مقلب شربته إسرائيل أنها قامت وأنها انتصرت علينا سنة ١٩٦٧ ،فعندما انتصرت احتلت سيناء والجولان والضفة والقطاع والقدس ـ أنها مثل ثعبان صغير ابتلع أوزة، فهي أكبر منه ومن معدته ومن قدرته على هضمها، وكان انتصار اسرائيل سنة ١٩٦٧ كارثة عليها.. فقد ذهب بها الغرور والغطرسة إلى ما لا نهاية، حتى قال موشى ديان: أن إسرائيل تستطيع أن تهزم العرب مرة أخرى.وبنفس الطريقة!

لأن العرب لا يتعلمون، فقد علمهم التاريخ ألا يتعلموا منه شيئا، وكان هذا الغرور هو سبب هزيمتهم فى سنة ١٩٧٣ ، فلم يتصوروا لحظة واحدة أننا عرفنا وتعلمنا من التاريخ ثم كانت المفاجأة التى جعلت جولدا مائير تبكى ورابين يدخل مستشفى الامراض العصبية.. وجعلت موشى ديان يقول : اسهل أن افقد العين الباقية من أن أرى علم إسرائيل ينزل من سماء سيناء!

صحيح أصبحت لهم دولة، ولكن الدولة ممزقة سبعين مذهبا دينيا وسياسيا وعرقيا.. وإذا كانت النكتة تقول: إنه إذا اختلف اثنان من اليهود فأنهما يؤلفان ثلاثة أحزاب.. فإن النكتة الجديدة تقول:إذا عاش يهودى فى جزيرة وحده، فإنه يبنى معبدين .. واحداً لكى يصلى فيه والثانى حتى لا يصلى فيه ـ أى أنه مختلف حتى مع نفسه.

وانتعشت الخلافات الدينية واشتعل النزاع بين الجنرالات والحاخامات فى كل المنظمات الدينية والوطنية والدستورية.. وفى اسرائيل جماعات تنادى بأن هذه الدولة قد قامت على باطل، لأن الديانة اليهودية تشترط لكى تقوم إسرائيل أن يظهر المسيح.. والمسيح هو أى شخص: مهندس.. طبيب.. جندى واحد له علامات يجىء لإصلاح الفساد لكى تقوم الدولة فى جو طاهر نقى، ومادام المسيح لم يأت، فالدولة ما كان ينبغى لها أن تقوم.. ولذلك فهم لا يعترفون بها ولا يدخلون جيشها ولا يتعاملون بفلوسها ولغتها.

وأذكر أن صديقا يهوديا مصريا سقط ابنه فى حرب ٧٣، وظل جثمانه ملقى على الارض لا يتقدم أحد لدفنه، لماذا؟ لأنه من أبناء المذهب (القرائى) المصرى والذين يتخذون اسماء: عبدالله وعبدالرحيم وعبدالرحمن، وهم يؤمنون بالكتب الخمسة الاولى من التوراة ولا يؤمنون بالتلمود ـ وعند متطرفى اليهود فالتلمود أهم من التوراة، والحاخامات أهم من الله.. ولذلك فالذين لا يؤمنون بالتلمود كفرة ـ اقرب إلى المسيحية والإسلام من الديانة اليهودية، ولذلك

بقى الجندى اليهودى المصرى الذى مات من أجل إسرائيل منبوذا حتى جاء من يدفنه فى أى مكان؟!

ويهود اثيوبيا ـ الفلاشا ـ الذين تمت هجرتهم من اثيوبيا مرورا بالسودان باتفاق كامل بين شارون وجعفر نميرى فى كينيا، عندما ذهبوا إلى إسرائيل انكروهم.. لأنهم لم يمارسوا الطهارة.. ولأنهم لا يعرفون (المغطس) أى الحوض الذى يستحم فيه العروسان.. أو يستحم فيه أى إنسان قبل الصلاة..وكان هذا السلوك من المتطرفين فضيحة عالمية.. ثم وجدوا حلا فكبار السن الذين لم تتم طهارتهم يكتفون بأن يسيلوا الدماء من أصابعهم!!

ثم أن اليهود لا يعرفون الامان فى بلادهم حيث يوجد ٨٥٠ ألف عربى.. ولا يعرفون الامان مع الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة.. ومن المؤكد أن إسرائيل أقوى عسكريا، ولكن فلسطين أقوى سياسيا.. أن إسرائيل تملك كل أنواع الاسلحة الاميركية، والشعب الفلسطينى لا يملك إلا (حجارة من سجيل) تجعلهم كعصف مأكول..أن أرض فلسطين تفرز الحجارة وشعب فلسطين يفرز القلق والرعب لكل إسرائيل مهما كان سلاحه .. وفلاسفة الصهيونيةيعلمون علم اليقين أن الشيء الوحيد الذى يمسك الشعوب اليهودية معا هو: الخوف وعدم الشعور بالامان فى كل التاريخ وفى إسرائيل.. ولو تحقق السلام بين إسرائيل والعرب لتمزق شعب إسرائيل سبعين قطعة .. ولهربوا من البلاد الخائفة المخنوقة لينعموا بما ينعم اليهود الآخرون فى اميركا والمانيا وفرنسا.. ولذلك

فالجنرالات والحاخامات ونتنياهو حريصون على ألا يكون حل ليبقى اليهود فى إسرائيل متماسكين لأنهم خائفون لا أمان عندهم ولاأمان معهم.



• دولة حرام!

من خمسين عاما اغتال أحد الهنود الزعيم غاندى ـ أحد دعاة السلام والمقاومة السلبية فى العالم..

وولد ولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز صاحب أكبر فضيحة عاطفية وزوجية، فقد دفع الأميرة ديانا إلى الانتحار أو الرغبة فى ذلك.. ودفعها إلى الخيانة.. وجاء موتها انقاذا للعرش البريطانى، فقد قام الشعب كله يبكى الأميرة ويلعن الذين كانوا السبب.. أما الذين كانوا السبب فقد نزلوا إلى الشوارع يبتسمون .. وقد أدت ابتسامات الأسرة المالكة إلى أن طال عمرها، والفضل للأميرة التى ماتت تحت جبال من الورود وفى بحر من الدموع على جمالها وشبابها وقلبها الطيب.

ومات رائد الطيران الأميركى أورفل رايت، أول من عبر المحيط من اميركا إلى أوروبا. ووضع الملك فاروق الاساس فى سد أسوان..

وانسحبت القوات البريطانية نهائيا من الهند..

وانعقدت الدورة الاولمبية فى لندن..

وأوقفت بريطانيا توزيع الخبز بالبطاقات..

وعزلت روسيا مدينة برلين عن العالم الخارجى لتجويعها، فأقام الحلفاء جسرا جويا بينهم وبين برلين.

واغتال الارهابيون اليهود الكونت برنادوت سكرتير عام الامم المتحدة .. وأصدر العالم النفسى الاميركى الفرد كنزى كتابه الخطير عن «السلوك الجنسى عند الرجال».. واصدر الفيلسوف الوجودى سارتر مسرحية «الايدى القذرة».. ونجح العلماء فى تركيب المضادات الحيوية مثل الايورميسن..

ونجحت تجارب الاميركان بصحارى المكسيك فى اطلاق الصواريخ إلى ارتفاع مائة كيلومتر لتسقط على مسافة ثلاثة آلاف كيلو متر..

وأهم الاحداث السياسية قيام دولة اسرائيل، فقد أعلن ابن جوريون قيام الدولة قبل نهاية الانتداب البريطانى على فلسطين بثمانى ساعات

وأعلن أنها دولة اشتراكية تحترم الدين وأن من حق أى يهودى أن يهاجر إليها.. وقد قامت دولة إسرائيل بفلسفة. الروس الشيوعيين وبأموال الرأسماليين الاميركان.. واعترفت بها اميركا بعد ثلاث ثوان من قيامها وتبعتها روسيا، وقد نجح اليهود فى شراء الارض العربية

وطرد الفلسطينيين من ديارهم.. وقد استعد اليهود ذلك اليوم بالتآمر والخديعة والتدريب على استخدام الاسلحة فى الحرب العالمية الثانية وشراء الأسلحة وتخزينها دون أن يدرى بها أحد.

ويرى يهود العالم أن قيام هذه الدولة هو أعظم انجاز تاريخى.. بل اعظم انجازات القرن العشرين وذلك بأن يجتمع اليهود من كل دولة ومن كل لغة ولون ليكونوا لأول مرة فى تاريخهم أغلبية ساحقة.. وأملهم الأكبر أن تكون دولتهم يهودية خالية من المسلمين والمسيحيين ـ أى أن يكونوا أغلبية مطلقة، فقد تعذبوا طويلا عندما كانوا الاقلية المسحوقة فى كل بلد فى كل التاريخ..

وقد كان اليهود يعلمون بأن تكون «الدولة» هى نهاية الحياة الخانقة الذليلة فى «حارة اليهود» فى كل المدن الأوروبية.. ولكن عندما اقاموا الدولة جاءت مرة أخرى أكبر «حارة لليهود». فهى أقلية مرة أخرى فى البلاد العربية.. محاطة بالاعداء الذين يتربصون بها من كل الجهات، ولم تعد الشعوب اليهودية فى إسرائيل تشعر بالأمان. بل أذكر أن الأديبة يائيل ديان ابنة موشى ديان عندما كانت فى القاهرة قالت لى: اشعر هنا فى القاهرة بأننى وأولادى أكثر أمانا من أى مكان فى إسرائيل.

وعندما ذهب موشى ديان إلى «خان الخليلى» وعرفه الناس وتزاحموا عليه.. وتلاحموا به وقال لى: الذى حدث لى فى القاهرة لم أشعر به من قبل فى حياتى فلأول مرة أجدنى ملتحما ملتصقا بأناس كانوا اعدائى ويتمنون لى الموت ولدولتنا الفناء.. وهذا مالم أشعر به مع العرب فى إسرائيل..

وفى إسرائيل جماعات دينية ترى أن هذه الدولة «حرام» وأنهم لا يعترفون بها ولا يتكلمون لغتها ولا يدخلون جيشها .. لأنها قامت قبل الاوان والاوان هومجىء «المسيح» الذى يخلص الشعوب اليهودية من العذاب وينادى بقيام الدولة فتقوم .. ولأنه لم يأت بعد فالدولة كافرة نجسة!



كأنه غنى!

لا شيء يدل على أن الرجل الذى جلس إلى جوارى مليونير اسف مليونير ألف مرة.

ولكن ما الذى يدل على أنه يملك أى شيء أكثر مما أملك أنا لا البدله.. ولا الساعة.. ولا الولاعة.. ولا السيجارة.. بل أن كل شيء يدل على أنه يعمل سائقا عند واحد ليس من الضرورى أن يكون مليونيرا.. فالبدلة مكسرة.. بدلتى أحسن.. والساعة بجلدة سوداء .. ساعتى أفضل والجزمة متاكلة جدا.. وحذائى أمتن ـ ثم أنه كثير الابتسام ومجامل، وهو الذى قام وقدم لى كوبا من الماء.. وهو الذى قدم نفسه لى قائلا.. أنا فلان.. والتى تجلس هناك هذه زوجتى.. وقدمت له نفسى.. ونهض الرجل وبمنتهى الحفاوة انحنى وصافحنى مع أن اسمى ومركزى وعملى لا يمكن أن يكون لهم اية دلالة عنده ولكنه كرجل اعمال مجامل وكرجل اعمال ناجح جدا، فهو مجامل جدا ولاننى رجل اقوال ـ فلست مجاملا.

ولابد أننى تصورت كغيرى من الناس أن الإنسان الغنى جدا لابد أن يكون مظهره كذلك، البدلة لا تهم، فلا أقل من خاتم ثمنه عشرات الالوف حتى لو وضع هذا الخاتم فى اصبعه فهناك ملايين مثله من الاغنياء قد فعلوا ذلك ولكن الفقراء امثالنا هم الذين يشعرون بانهم فقراء، فهم يكرهون أن يعرف الناس هذه الحقيقة.



ولذلك فانهم يضعون كل ما يملكون فى اصابعهم وفى اعناقهم وفى جيوبهم، ليتأكد لديهم أولا، أنهم ليسوا فقراء،وليرى الناس أنهم قادرون على شراء الخاتم الماس والولاعة الذهبية والكرافتة والسيارة المرسيدس.... الخ.

ولكن الاغنياء جدا عندهم قناعة، وعندهم يأس بأنهم لا يستطيعون أن يحملوا كل ثرواتهم فى جيوبهم أو فى اصابعهم أو فى صدورهم، وهذا اليأس مع البساطة قد جعلهم هكذا لا شيء يميزهم عن بقية مئات الملايين من الناس الذين لا يملكون الملايين.

وبدلا من أن ينفق اصحاب الملايين جانبا من أموالهم على المظهرية ولفت نظر الناس إلى ثرواتهم فإن قناعتهم وبساطتهم قد وفرتا لهم هذه المبالغ بينما الفقراء ينفقون المال الذى يحتاجونه على المظهرية!

ظل حمار...

هؤلاء الناس ليسوا هازلين. وإنما جادون تماماً. احد الأميركان ذهب إلى المحكمة يشكو جاراً له. هذا الجار يملك كلباً ضخماً. هذا الكلب أخاف القطط التى فى بيته. وكل ما يطلبه أن يتدخل القضاء لحماية القطط من الكلب الذى ينبح ليلا ونهارا.. وأحياناً يتحرش بالقطط إذا وقفت على سور الحديقة.

فالكلب عزيز عند أصحابه كأنه واحد من أفراد الأسرة وكذلك القطط. فعدوان الكلب على القطط كعدوان طفل على أطفال آخرين. والقانون يجب أن تظهر له أنياب ومخالب . وحكم القاضى بوضع كمامة للكلب جزءاً من النهار وطول الليل!

وفى مدينة جلاسجو الانجليزية. ذهب أحد أصحاب مراعى الأغنام يشكو المسلمين الذين يذبحون الخراف فى عيد الأضحى .. فصوت الخراف وهى خائفة قبل الذبح وصوت الخراف وهى ترى

خرافاً أخرى مذبوحة قد أدى إلى تخويف الأطفال وتخويف الخراف ايضا.والمطلوب من القاضى أن يحكم بالعدل وكان حكم القاضى هو أن يتم ذبح الخراف بعيداً عن عيون الأطفال وبعيداً عن عيون الخراف حتى لا يخاف طفل وحتى لا يخاف خروف.

وفى إحدى المحاكم الألمانية وقف فلاح يشكو صاحب سيارة انطلقت بسرعة جداً حتى أخافت الحمار الذى كان يجر عربة هذا الفلاح.. وقد أدى الخوف الذى أصاب الحمار إلى أنه صار غير قادر على أن يجر العربة وأنسدت نفسه عن الطعام .. ثم أنه لم يعد يطيع الأوامر.. فقد أصيب الحمار باضطراب عصبى..ولابد من علاجه وأن يكون ذلك على حساب السائق الذى أفزع الجميع.. وحكمت المحكمة للفلاح بتعويض وحكمت للحمار بتعويض لعلاجه وتهدئه اعصابه.. وأعلن الفلاح فى المحكمة أن الأطباء إذا لم يفلحوا فى علاج حماره فسوف يعود إلى المحكمة يطلب تعويضا مضاعفاَ عن الحمار، وعن تعطيل أعماله بسبب عدم قدرته على التنقل بغير حمار إلى الحقل ذهاباً وإياباً.

وعندما أطلق الروس الكلبة «لايكا» إلى الفضاء الخارجى ثارت جمعيات الرفق بالحيوان فى أمريكا وأوروبا.. لأن الكلبة لايكا ماتت فى الفضاء وأصبح القمر الذى نقلها إلى الفضاء أول نعش من نوعه فى التاريخ.. وكانت وفاة «لايكا» أغرب جنازة فى التاريخ.. فألوف الملايين من سكان الكرة الأرضية على شكل جنازة والنعش يدور حولنا وفوقنا ـ الجنازة حارة والميت كلب!

ومن المعروف أن ألوف الكلاب والقطط والفئران والطيور تموت يومياً في المعامل حقناً لدماء الإنسان فالعلماء يقومون بإجراء التجارب عليها خدمة للإنسان وتضحية من أجله.

ومن ألفى سنة استأجر أحد الإغريق حماراً ينقله من اثينا إلى بلدة أخرى وصاحب الحمار يمشي وراءه. وكان الجو حاراً فما كان من الرجل الذى استأجر الحمار إلا أن أوقف الحمار في الشمس ليجلس في ظله. وهنا ثار صاحب الحمار وقال: أنت استأجرت الحمار فقط.. ولم نتفق على الاستفادة من ظل الحمار.. ولابد أن تدفع اجراً مضاعفاً.

وأمسك أحدهما بخناق الآخر عندما انطلق الحمار بعيداً عن الاثنين، فأيهما الغلطان؟ الرجل صاحب الحمار أم الرجل الذى استأجر الحمار؟

ولجأ الاثنان إلى القاضى الذى حكم بأن يجلس صاحب الحمار في الشمس وأن يجلس الرجل الآخر في ظله مقابل مبلغ من المال .. تقول الأسطورة الإغريقية أن الشمس في ذلك اليوم اقتربت من الأرض حتى قتلت الرجلين!

ويقال أن الشاعر اللاتينى فيرجيل اقام جنازة لذبابة.. سار الناس في الجنازة. ودفنها في أرض كان يملكها .. أما السبب الحقيقى فإن القانون الرومانى كان يمنع دفع الضرائب عن الأرض التى بها مقابر.. وهكذا أفلت الشاعر من الضرائب حين أقام مقبرة فخمة لذبابة!.

الكلاب تعوى!

يقول الإمام الشافعى:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة أمرىء
فكلك عورات وللناس أعين

كلام عظيم، ولكن قل لى كيف يستطيع أى أحد ذلك.. كيف لا يقول إذا رأى .. كيف يسكت إذا كان الذى يراه لا يعجبه.. وإذا قال كلاما معقولا فما الذى يعمله إذا نقلوا عنه هذا الكلام محرفا.. وإذا تحولت الكلمة إلى عبارة والعبارة إلى مقالة والمقالة إلى ملحمة؟

وإذا أنا أمسكت لسانى، فهل يفعل الآخرون.. إذا كانوا اصدقاء أو إذا كانوا اعداء.

وإذا كنت أنا قلت عنك دون أن يهمنى ذلك.. فما قولك فى الذى هو اقوى وسيىء الظن.. لقد جربناذلك فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر .. لقد كانت الشائعات تلتف حول اعناق الذين لم يقولوا .. والذين كان فى نيتهم أن يقولوا .. وكثير من الذين كانوا يجلسون فى الأندية ويضحكون لم يتصوروا أن هناك آذانا وعيونا لأجهزة الأمن.. تنقل كل شيء بلا امانة! والنتيجة خراب بيوت كثير من الناس الساخطين والغاضبين من القهر والظلم..

والمثل يقول: لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن خنته خانك!

لكن ما القول فى ألسنة الآخرين؟!

والمثل يقول أيضا: الكلمة التى لم أقلها أكون ملكتها، والكلمة التى قلتها فهى التى تملكنى!

صح.. ولكن ما القول فى الذى لم يقل ولا يريد أن يقول.. وما القول فى الذين يحرفون القول على ألسنة الآخرين.

وليس كل الناس عندهم أعصاب حديدية باردة مثل الساخر الانجليزى برنارد شو عندما قال: أنهم يقولون دعهم يقولوا!

ومع ذلك فالساخر برنارد شو لم يدع احدا يقول دون أن يطلق لسانه الطويل عليه.. يلتف حوله مثل أفعى تخنق وتلدغ .. فليس صحيحا أنه كان يترك الناس يقولون. بل كان لا يعطيهم هذه الفرصة ليقولوا.. أنه كان يسبقهم إلى القول والسخرية حتى انقطعت

الألسنة عنه.. فقد كان لسانه مثل عصا موسى عليه السلام فقد ابتلع لسانه كل الألسنة!

أما أنا فقد اتخذت موقفا واحدا من الذين يهاجموننى، وهو أننى لا أرد.فمن حق أى انسان أن يقول ما يراه، ومن حقى أن أقول أو لا أقول.. فيكون عدم الرد أوقع وأوجع..

وكنت أقول: أن واحدا شتمنى فى التليفون فكيف أرد عليه فى التليفون ؟!

وكثيرا ما أرسل الذين هاجمونى أناسا يسألوننى : ولماذا لا ترد؟

ويكون ردى: ولكنه لم يقل شيئا يستحق الرد عليه..

فيقال لى: ولكنه شتمك!

ويكون ردى: لن يكون آخر واحد.. ولا كان أول واحد..

الشاعر القديم يقول:

لو أن كل كلب عوى ألقمته حجرا

لأصبح الحجر مثقالا بدينار

ثم من الذى يمشى على شاطىء البحر ولا ينحنى يأتى بحجر يرمى به البحر.

والذى يطعنك من الخلف فمعناه أنك تمشى فى المقدمة..

استاذنا العظيم الإمام الشافعى لقد استطعت طوال حياتى الصحفية والأدبية أن أمسك لسانى أحيانا وأن اطلقه احيانا ـ وفى الحالتين لم أكسب السلامة من ألسنة الآخرين.. وإنما صارت عندى مناعة من كل ذلك!

نصائح الخومينى!!

كنت آخر من قابل شاه إيران، وكان فى أيامه الأخيرة، وحدثنى عن مرضه، وعن تساقط شعره.. وأنه سوف يموت قريبا جدا، وقال لى: أنت جئت تطلب حديثا معى... سوف أعطيك حديثين..

أحدهما للنشر والثانى ليس للنشر وإنما للعلم.. علمى أنا وعلم الرئيس السادات، وفى الحديث الأول هاجم الخمينى وتوقع أن تبكى إيران على أيامه هو وسوف تندم على أنها اختارت الخمينى أمبراطورا لها.

وقد حدث ونحن فى أسوان فى آخر سنة ١٩٧٩ أن وقفنا فى المطار ننتظر الشاه الذى خرج من بلاده، ولن يعود، وكان يوما غريبا عجيبا.. فالشمس تغرب على الكون، وشمس الأمبراطور تغرب ايضا.. وعندما هبطت الطائرة كانت نوافذها فى لون الدم.. وكان الشاه ايضا، وكنت أقف إلى جوار نائب رئيس الجمهورية حسنى

مبارك ود..بطرس غالى وزير الخارجية، وفى طريق ذهابنا إلى الفندق سألنى بطرس غالى: متى ترى السيد الرئيس؟

قلت: فى التاسعة مساء..

فاقترب منى بطرس غالى ليقول لى : عندى فكرة.. ولا أعرف كيف يكون أثرها على الرئيس السادات.. وقد تكون فيها نهايتى كوزير للخارجية .. هل تستطيع أن تقولها للرئيس.. قلت: ممكن!

فقال لى بطرس غالى: سوف أجمع أوراقى وانتظرك فى استعلامات الفندق لأنى أعرف مقدما أن هذه هى نهايتى..

طلب منى بطرس غالى أن أقول للرئيس السادات: الامبراطور انتهى، فلماذا لا نعجل بالاتصال بالإمام الخومينى.. فمصالح مصر أهم من مرض شاه إيران!

فكرة فظيعة فى هذا الجو الحزين على شاه إيران الذى ساعد مصر كثيرا وفى أحلك الظروف.. وهو المريض الذى لا يجد مكانا يعيش فيه، فمات فى أحد مستشفيات مصر ثم دفن إلى جوار والده فى مسجد الإمام الشافعى..وقد رفضت كل الدول ايواء الشاه حتى لا يغضبوا إيران والإمام الخومينى، ولكن السادات قرر أن يؤويه وأن يعالجه، وأن يفسح له مكانا فى الأرض ليموت فيه.

ولذلك ففكرة بطرس غالى صدمة للرئيس السادات، وفكرت طويلا كيف أقولها.. وفى التاسعة مساء قابلت الرئيس السادات وسألنى عن ردود فعل هذه الزيارة فى الصحف ووكالات الأنباء

والتليفزيون العالمى.. وسألنى عن الذين تحدثت إليهم فى مصر وفى الخارج وماذا قالوا.. ثم ما الذى سوف أكتبه.. وحانت اللحظة الحاسمة فقلت: يا ريس هناك اجتهادات.. فالتفت الرئيس ليسمع منى هذه الاجتهادات.

وقال لى: اجتهادات إيه يا أنيس؟

قلت: هناك اجتهادات بأن تتصل بالإمام الخومينى..

ولم أكمل هذه العبارة حتى نهض السادات واقفا مستنكرا، وقال كلاما مثيرا.. ثم سألنى من الذى قال لك؟ هل هو بطرس غالى؟

فقلت: نعم..

فقال: يخص عليك يا بطرس.. أنه خائف أن يغتالوه كما اغتالوا عمه.. يخص عليك يا بطرس ..الخ.

ولما عدت إلى الفندق وجدت بطرس غالى جالسا فى الاستعلامات .

وسألنى : طبعا كارثة!

قلت: إلا قليلا..

وظل الرئيس السادات غاضبا على بطرس غالى.. فلم يتصور لحظة أن احدا لا يهزه ويبهره رد الفعل العالمى للموقف الإنسانى المصرى أمام عزيز قوم ذل - ليس عزيز قوم بل شاهنشاه اريا مهرى - أى ملك الملوك سيد الأريين..

ولم ينس شاه إيران هذا الموقف الكريم للرئيس السادات.. ومن أجل ذلك كان الحديث الخاص الذى سجله بصوته وكلفنى أن أعطيه للرئيس السادات.. وفى هذا الحديث يقول أن أحدا لم يخدم الاميركان فى هذه المنطقة كما فعلت أنا.. ولكن الاميركان لا عندهم مبدأ، ولا خلق .. فعندما كنت أرقص مع زوجة الرئيس كارتر وهو يرقص مع زوجتى وكان يهمس فى أذن زوجتى ويقول لها: إيران جزيرة الأمان، كان مدير المخابرات المركزية فى انتظار الخومينى فى طهران.. أخى أنور السادات لا تثق بهم.. فإذا قبلوك اليوم قتلوك غدا.. احترس منهم.. أن موقفهم منى درس يجب ألا ينساه أحد..

ويبدو أن الرئيس السادات قد نسى فكانت النهاية التى نعرفها ـ مع الأسف!



توت .. توت..

عندما ذهب توت عنخ أمون إلى باريس وواشنطون كان مشهد الزوار رائعاً. فالذين يتفرجون عليه مسحورين كانوا فى مثل سنه ـ دون العشرين وكانوا مبهورين كأن الملك توت زميل لهم فى الدراسة أوالملاعب أوالكباريهات.. وكأن رئيس وزرائه لم يقتله من ثلاثين قرناً وإنما من ثلاثين يوماً والملك توت مثل هؤلاء الملايين من الشبان الذين يتفرجون عليه.. ليست له قيمة تاريخية فلم يفعل شيئاً فى حياته. ولكنه أشهر من كل الملوك قبله وبعده. فقد كانت مقبرته هى أكمل مقبرة عثرنا عليها فيها كل شيء.. الألوان الجميلة والمجوهرات الفريدة.. وبراعة الطبيب والمهندس والفنان والذى صنع له التابوت والذى جعله فى لون الذهب.. والذى حنطه والذى حفظه..

وكنا نعتقد أن المصريين القدماء سفهاء فى اسرافهم فى استخدام الذهب الذى يأتون به من بلاد بنط ـ أى الصومال ولكن العلماء الألمان اكتشفوا أن الذهب الذى يستخدمونه فى طلاء الخشب

والمعادن ليس إلا حبوب (الحلبة) بعد غليها وتحويلها إلى عجينة.. فيكون لونها اصفر كالذهب.. ويكون لونها ثابتاً تستحيل إزالته من الخشب أو من القماش!

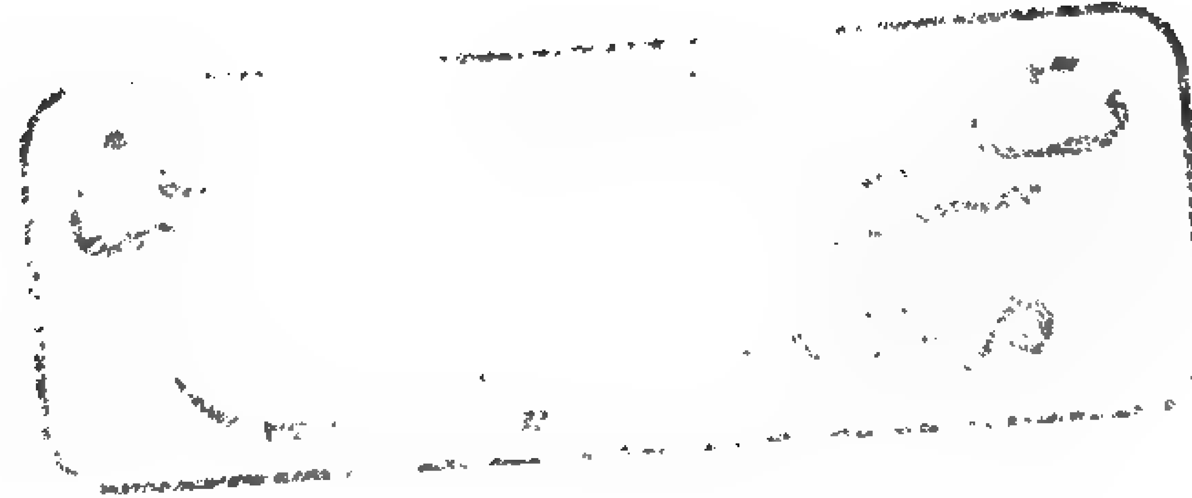
وكان ملايين الشبان الذين يتفرجون على الملك توت قد حلقوا رؤوسهم مثله.. وبعضهم قد وضع الاقراط فى أذنيه.. وبعضهم قد وضع علامة سوداء على الجبهة أو على مؤخرة الرأس .. مع أنهم قد رأوا الملك توت لأول مرة. فقد كانت هناك علامة فى رأس الملك توت تؤكد الاشعة أنها بقايا ضربة بآلة حادة.. أى أن الملك الطفل قد اغتيل. وقد اغتاله رئيس وزرائه وكبير الكهنة ليحكم مصر من بعده.

والملك توت مثل آخر ملوك مصر الملك أحمد فؤاد.. فقد صار ملكاً على مصر وهو طفل رضيع، وعزلناه عن الملك وهو لايزال طفلاً رضيعاً.. فهو لا يدرى بشىء ـ لا ملكاً متوجاً ولا ملكاً مخلوعاً .. وكذلك الملك توت، لم يدر بشىء .. فلا كان ملكاً حاكماً ولا ملكاً مخلوعاً..

وعندما ذهب الملك توت إلى أوروبا وآسيا مرة أخرى، كان اصغر سناً من ملايين المشاهدين فالعيال كبروا.. وبقى هو عيلاً مقدساً وشاباً ملكاً.. فهو رمز للشباب الدائم والظلم الدائم والطمع الابدى والحقد الأزلى.. ولايزال الناس يحسدون الناس ويطمعون فى الذى معك.. فإذا كان الملك توت قد مات، فإن السفالة الإنسانية لم تمت ولن تموت.. فأنت ملكاً كنت أو خادماً محسود من كل

الذين حولك.. ولا تصدق من يقول لك: أنا لا يهمنى ما عندك من مال أو من جاه.. ولا تصدق حتى زوجتك وأولادك إذا أبدوا زهداً فى الذى عندك من صحة وعافية ومال فالقرآن الكريم يقول: «إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم».

ليسوا جميعاً. فالقرآن يقول أن «منهم» أى ليسوا جميعاً.. ولكن منهم الذين هم أكثر عداوة من أعدائك، وأكثر حسداً من الحاقدين عليك.. وهذه طبيعة البشر من الف سنة ومن ثلاثة الاف سنة.. وإلى ما بعد ألف ومائة ألف سنة!



أبو نواس

ما أكثر الذى قيل عن الشاعر أبى نواس.. ففى بعض الأحيان لا نعرف أن كانت هذه الحكايات والنكت قد وقعت لأبى نواس أو جحا تلك الاسطورة التركية. فإذا كانت النكت شعراً فهو أبو نواس.. وإذا كانت نثراً فصاحبها هو جحا.

ويقال الكثير جداً عن علاقة أبى نواس بالخليفة هارون الرشيد. فيقال مثلاً أن الشاعر طلب من الخليفة فلوساً فرفض. وعلم الشاعر أن الخليفة قد أهدى جارية اسمها «خالصة» عقداً من اللؤلؤ .. ويقال أن الشاعر كتب هذه العبارة على باب غرفة الخليفة: لقد «ضاع» شعرى على بابكم كما «ضاع» عقد على خالصة.

فغضب الخليفة وأمر بقطع رقبته.. فسارع أبو نواس إلى العبارة التى كتبها بجعلها هكذا: لقد «ضاء» شعرى على بابكم كما «ضاء» عقد على خالصة!.

فضحك الخليفة: وعفا عنه.

وقال النقاد: هذه عبارة قلعت عيناها فابصرت!

ويقال أن هارون الرشيد قرر قتل أبى نواس. فسأله أبو نواس:

لماذا يا طويل العمر؟ فقال الخليفة: لأنك قلت:

الا فاسقنى خمراً وقل هى الخمر.

ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر.

وسأله أبو نواس: وهل أنا شربت الخمر؟

فقال الخليفة: أظن ذلك.

فقال أبو نواس: وهل تقتلنى لمجرد الظن. أن الله تعالى يقول: «إن بعض الظن إثم»..

فقال الخليفة: بل اقتلك لأنك قلت: ما جاءنا أحد يخبر أنه فى جنة من مات أو فى نار!

فقال أبو نواس: أليس هذا صحيحاً؟

فقال الخليفة: بلى.

قال أبو نواس: وهل تقتلنى لأننى صدقت.

فعاد الخليفة يقول: بل اقتلك لأنك قلت:

يا «أحمد» المرتجى فى كل نائبة

قم يا سيدى نعص جبار السماوات!

قال أبو نواس: هذا كلام ولم أفعل شيئاً.

قال الخليفة:صحيح

وقال أبو نواس: إن الله تعالى يقول: «الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون». فهل تقتلنى لمجرد الكلام. وعفا عنه الخليفة هارون الرشيد.. وما أكثر الحكم على أبى نواس بالإعدام من أجل العفو عنه.. ولو أحصينا نوادر هذا الشاعر وهذا الخليفة لوجدناها بالألوف .. وليس كلها صحيحة. ولكن المؤرخين اتخذوها حيلة أو مناسبة لاختراع مالا نهاية له من القصص والحكايات.

وأديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى قد أحب الأديبة «مى زيادة» .. هو الذى أحبها وهى لم تحبه قط. وهو رجل أطرش. وكان يزورها ضمن أكبر أدباء وشعراء مصر وسوريا ولبنان وهو لا يتكلم كثيراً ولكن ما تخيله صادق الرافعى كثير جداً. وكله من خياله أو من خياله.

فكتب «السحاب الأحمر» وكتب «أوراق الورد»، وكتب «رسائل الأحزان» وكلها تتحدث عن حبه العنيف النبيل الجنونى للآنسة مى.. أنه حب من طرف واحد.. تماماً مثل حبنا للقمر والنهر والجبل والغروب.. وهذا هو الحب الأعمق والأبقى وإذا كان القدماء قد قالوا: إن اعذب الشعر أكذبه.. فاعذب النثر أكذبه ايضا..وكان الرافعى كاذباً، ولكن كذبه جميل .. وعذابه بديع وألمه خالد وكانت «مى» مركز إشعاع وشائعات .. وحكايات ونوادر أكثرها لم

يحدث ولم يقع، وقد لخص صادق الرافعى كل عذابه وهوانه مع مى فى هذين البيتين:

يا من على البعد ينسانا ونذكره
لسوف تذكرنا يوماً وننساكا
أن الظلام الذى يجلوك يا قمر
له صباح متى ندركه اخفاكا

وانتظر صادق الرافعى – حتى الموت ـ أن يجئ الصباح ليختفى القمر الذى يجلوه الظلام.. ولكن الصباح لم يجئ والقمر لم يختف ومات الأديب والأديبة وبقى الأدب..فالفن أطول عمراً من الفنان!



يجب أن يبكى..

فى «ألف ليلة» وفى كتاب «الأغانى» نجد الملوك والشعراء إذا ضحكوا بكوا وإذا بكوا انهاروا.. أنهم على سجيتهم.. كل شيء يهزهم ويثيرهم ونجد هذه العبارة: وظل يضحك حتى استلقى على قفاه.. وهو يستلقى على قفاه لأنه لا يستطيع أن يستلقى إلى الأمام لأن له كرشاً، هذا الكرش قد تربى وكبر بسبب الجلسة الطويلة والطعام الكثير والشراب الاكثر والنوم الطويل.

وفى قصص الاقدمين نجد الرجال اصدق وأكثر تأثراً بكل ما يسمعون.. فلا توجد فرامل على الذى يسعدهم والذى يحزنهم.. فأنت أمام أناس اسوياء .. فمن الطبيعى أن يضحك الإنسان بالقوى وأن يبكى أيضاً، ولكن مع الحضارةبدأنا نضع الضوابط على كل شيء والفرق بين الإنسان البدائى والإنسان المتحضر .. أن تصرفات الإنسان البدائى (غريزية) إذا جاع طلب وخطف، وإذا غضب صرخ وقتل.. ولكن الحضارة علمتنا أن نمسك ايدينا والسنتنا وأن نفكر

وأن نتريث في لمس ما يخصنا أو ما يخص غيرنا.. ومن أسوأ ما فرضته علينا التربية والتعليم أى نظريات الحضارة أننا نقول للطفل: لاتبك فانت رجل.. والرجل لايبكى..

وفى نفس الوقت إذا بكت البنت فهذا طبيعي.. ثم إننا نكافئ البنت عى دموعها فنأخذها بالاحضان ونغرقها بالقبلات ونسترضيها .. كأننا نكافئ الطفلة الباكية أنها فعلت ذلك ويصبح يقيناً عندها: أن البكاء هو الذى يجعلها تصل إلى ما تريد.. إذا كبرت فإننا نرى أن دموع المرأة شيء لا يطاق ولا يحتمل والحقيقة العلمية تؤكد لنا أن المرأة إذا بكت فليس ذلك دليلا على الحزن.. وإنما هو أكبر دليل على أن الغدد الدمعية عند المرأة نشيطة جداً. ولا شيء يجلو العين مثل الدموع.. ثم أن البكاء هو نوع من التفريغ والتفريج النفسى الذى يريح اعصاب المرأة ويجعلها اصح وأسلم من الرجل الذى اعتاد ألا يبكى وأن يكتم فى نفسه.. فالرجل لا يبكى لأنه عيب، والمرأة تبكى لأنه طبيعي.

وهى غلطة تربوية: بل يجب أن نترك الطفل يبكى ويبكى ففى ذلك تخفيف من توتره العصبى والبكاء سلوك صحيح وعلاج سريع لكل متاعبه العصبية.

ونحن نرى الأم إذا فقدت عزيزاً عليها راحت تبكى ليلاً ونهاراً والرجل لا يستطيع ذلك. وكثيراً ما مات الرجل كمدا، ولكن المرأة لا تموت كمدا لأنها تخفف عن نفسها أولاً بأول.. وكم الف مرة ظننا أن الأم سوف تموت بعد وفاة ابنها بساعات .. ولكنها عاشت بعده سنوات،أما الاب فهو الذى مات بعد ساعات.

ولا أنسى صديقا زرته فى بيته فى الدنمارك، زوجته دنماركية، وعندما بدأنا نتناول غداءنا أخذ طفل صغير فى البكاء.. وتعالى بكاؤه.. وأزعجنى ذلك ولكن الابوين لم يهتما بالطفل ولا بالذى أقول، وكان رد الأم : يجب أن يبكى فالبكاء يساعد على تقوية الرئتين وحباله الصوتية.. ثم أن البكاء يرهقه والارهاق يجعله ينام.

وبكاء الطفل نوع من الابتزاز فهو يريد بالبكاء أن يحصل على مايريد ولكنه لا يعرف ما الذى يريد ولا ما الذى ينقصه .. ثم أنه يجب أن يتعلم منذ الآن أنه ليس بالبكاء يحصل على ما يريد فانا أعرف ماذا يحتاج.. وأهم من كل ذلك أنه يجب الا يخجل من البكاء.. وأن يعتاد عليه.. فالبكاء هو صرخة الجسم والنفس والعقل.. والبكاء هو الراحة الغريزية.

وعندما كان الإنسان يعيش فى الكهوف كان الطفل إذا بكى اهتدت إليه الحيوانات فاكلته ..فتعلمت الامهات فى مئات ألوف السنين أن تسد فم الطفل فلا يبكى حتى لا تهتدى إليه الحيوانات.. ولكن عندما اخترع الإنسان البيت والباب فإنه قد عرف الشعور بالامان.. ولم يعد يخاف من الحيوانات.. ولذلك تركت الأمهات اطفالهن يبكون بلا خوف عليهم.. فالبكاء دليل على الشعور بالامان.. شعور الأمهات.

ونحن قد افسدنا هذا الشعور الغريزى بان فرضنا على الطفل الذكر الا يبكى لأنه رجل ـ أكبر غلطة ارتكبناها فى حق اطفالنا.. صغار اليوم، رجال الغد!

أنا غنى أيضا!

ضبطت نفسى متلبساً بقراءة أسماء أغنى أغنياء بريطانيا.. وعددهم ألف رجل وأسرة.. ولكن ملكة بريطانيا هى أغنى الأغنياء.. ولم أعرف إلا رجلا واحدا مصريا من الاسكندرية هو محمد الفايد.. وهو أبو المرحوم «دودى» الذى مات مع الأميرة ديانا تحت الكوبرى.. وأما بقية الأسماء فلا أعرف منهم واحداً.. ولكن نفرض أننى عرفت، فما معنى أن واحدا يملك ثلاثة آلاف مليون جنيه.. أو أربعة أو ستة.. أن هذه المعرفة لاتفيد.. ثم أن الفلوس ليست مرضا يعدى.. ولا الفلوس تخضع لقاعدة «الأنابيب المستطرقة» أى أنه إذا كان غنيا وأنا فقير فان الفلوس بيننا تتساوى عندى وعنده فأجدنى أملك نصف ثروته.

ثم إن هذه الأرقام لاتدلنا على كيف تكاثرت وتحولت من ألف إلى مليون إلى ألف مليون.. ونفرض أننى وأنك قرأت كيف تحول

البواب إلى صاحب مؤسسة وصاحب المؤسسة إلى صاحب المؤسسات فهل تستطيع أن تفعل مثله.

ولما تنبهت إلى هذه المعانى أصابنى القرف.. لا من الفلوس ولكن من أصحابها.. وكان القرف نوعا من اليأس من قدرتى على عمل شئ.. وحال بينى وبين كل هؤلاء الناس حائط عظيم اسمه «القدر» اسمه «البخت» وحائط آخر اسمه «وأنا مالى».. أنهم طراز آخر من الناس.. فكما أن هناك نساء جميلات ورجالا فى غاية الوسامة.. فالنظر لهم متعة وحسد.. ولكن الجمال كالمال لاينتقل منهن ومنهم إلى من يتفرج عليهم وعليهن.

وأنا أعرف أغنى أغنياء مصر.. وأجلس وأتكلم وأتناقش.. وبعضهم يطلب النصيحة أو يطلب المساعدة.. فهو عنده مال وليس عنده نفوذ.. وأنا عندى نفوذ وليس عندى مال.. وصاحب المال يريد أن يكون عنده نفوذ أيضا.. وصاحب النفوذ يريد أن يكون له مال.. وصاحب المال كالذى يشرب من البحر لايرتوى أبدا.. وكذلك صاحب النفوذ.. وقديما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: منهومان لايشبعان: طالب علم وطالب مال.. والحمد لله فنصف هذه الحكمة ينطبق على كاتب هذه السطور.. فأنا طالب علم.. وعلى رأسى هذا السيف: العلم طويل والعمر قصير.

وعلى سبيل المواساة لنفسى تذكرت أحد أقاربى.. وكان غنيا وبخيلا أيضا.. وكان صاحب أرق وقلق.. وكان ينزل من الشقة التى يعيش فيها فى الطابق العشرين فيجد البواب قد وضع حذاءه تحت

خده ونام نوما عميقا، ويقف حاسدا حاقدا على النائم.. على الأرض وعلى الجزمة وله صوت يدل على أنه غرقان فى النوم، فكان يضربه بقدميه.. فى بطنه حتى يصحو.. فإذا صحا قال له: يابختك.. أنت تنام على الجزمة وعلى الأرض.. وأنا فوق اتقلب على الحرير وكأنه شوك ولاأنام.. وكان البواب يجد الشجاعة فى أن يقول له: تبادلنى ياسعادة البيه؟

وأعرف صديقا إذا عاد إلى البيت أغلق الباب على نفسه ساعة.. ساعتين.. ثلاثا.. يدقون عليه الباب ويتظاهر بأنه يصلى.. والحقيقة أنه كان يحصى الفلوس التى كسبها فى ذلك اليوم.. ولايتفرج على التليفزيون ولايعرف الأجازات الأسبوعية والسنوية والأعياد الدينية والقومية.

ولم أجد قلما لأضع اسمى فى نهاية قائمة أغنياء بريطانيا.. فأنا غنى عن السؤال.. وراض بما عندى، وهم ليسوا راضين بما عندهم.. أنا راض بالقليل فى يدى.. وهم غير راضين بالكثير الذى عندهم.. وعيونهم على الذى عند الآخرين.. ولم أكن فى حالة مواساة لنفسى.. أبدا، وإنما هذا شعور حقيقى، فأنا سعيد بالقليل.. لسبب بسيط جدا وهو أن «السلعة» التى ابيعها قد أعطتنى أعلى سعر.. ومن المؤكد أن بائع الأحذية يكسب أكثر.. وتاجر المخدرات وتاجر السلاح، ولكن بضاعتى ـ وهى الفكر – لاتعطى أكثر مما أعطتنى.. فحمدا لله على ذلك..

فإذا كنت راضيا قانعا فضع اسمك إلى جوار اسمى.. قبله أو بعده.. فكلانا أغنى الأغنياء!!

مفضوحون

ماتت أميرة بريطانيا ديانا وشبعت موتا، ومايزال الناس يتحدثون عنها، ويبكون عليها، ويحزنون على جمالها وعلى قلبها الطيب.. وأنها لاتستحق هذه الموتة الشنيعة.. ويؤمنون بأن الأسرة المالكة هى التى قضت عليها للتخلص منها، وقد سألتنى شبكات التليفزيون الأميركى والبريطانى.. أما التليفزيون الفرنسى منذ أيام فراح يدور بى فى النيل وتحت الكبارى ويسألنى.. ويستوضح فقد كنت أول من قال أن المخابرات البريطانية هى التى أغتالتها.. كما اغتالت المخابرات الأميركية مارلين مونرو وكلتاهما فى السادسة والثلاثين.. الأميرة ديانا قتلوها حماية للعرش.. ومارلين قتلوها حماية للرئيس الأميركى كنيدى الذى قتلوه حماية لصناعة الذخيرة والسلاح!

وقد صدرت كتب فى أميركا وبريطانيا تهاجم الأميرة، وتقول أنها متخلفة عقليا.. وأن اعجاب الناس بها والبكاء عليها أكبر دليل

على أن الناس مغفلون، وعلى أن الشعب البريطانى «عيل» لم ينضج بعد.. إذ كيف تخرج الملايين إلى الشوارع كأنهم أطفال ماتت أمهاتهم وآباؤهم.. أو كأنهم «طفل أعادوه إلى أبويه» بعد أن هرب من المدرسة أو بعد ان تاه فى الطريق إلى البيت.. وتقول الدراسات العلمية البريطانية لقد شعرنا بالخجل فقد كنا نظن أن الأنجليز عقلاء علمانيون.. فإذا بالأميرة تفضح الشعب الأنجليزى الذى هو ملايين العيال أو الشبان المراهقون الذين يبكون لاتفه الأسباب.. مثل موت أميرة!

وأتذكر أن الأستاذ عباس العقاد في محاضرة عن «أمير الشعراء شوقى» فى الجامعة الأميركية قام وهاجم شوقى بمنتهى العنف كما كان يفعل أيام كان شوقى حيا.. فقام أنصار شوقى يعيبون على الأستاذ العقاد أنه يهاجم رجلا مات.. وقال العقاد: أنتم ترون أنه مات، وأنا أرى أنه مايزال حيا.. فأنا أفضل عند شوقى.. بل أنه ميتا أقوى منه حيا!

وكذلك الأميرة ديانا ماتزال قوية حية كأنها لم تمت.. بل لم يمت أسمها ولا ذكراها.

وأتذكر مافعلته الأديبة الوجودية سيمون ديوفوار عندما كتبت مقالا تهاجم الرجل الفرنسى «العيل» قالت: أن الرجل الفرنسى قد أصبح مفتونا بالممثلة رمز الجنس «بريجيت باردو» وهى عبارة عن طفلة كبيرة.. وأعجاب الفرنسيين بالمرأة الطفلة دليل على فساد ذوقهم وعلى نقص فى نضجهم الجنسى.. ولو كان الفرنسى ناضجا

جنسيا ما أحب فتاة صغيرة.. أو امرأة كأنها فتاة.. ان بريجيت باردو قد عرت كل الرجال فى فرنسا فقد كنا نظنهم رجالا، فاذا هم عيال..

تماما كما فعلت ديانا أميرة ويلز..

ويوم مات الموسيقار محمد عبد الوهاب أدهشنى أن الذين ذهبوا إلى مكان العزاء لايزيدون على عشرين أذكر منهم: عادل أمام وسعد عبد الوهاب وكمال الطويل.. وبس!

ولم أكن أتصور أن هذا هو رأى الناس من موت عبد الوهاب.. فعبد الوهاب قد حصل على كل شئ فى الدنيا.. المال والشهرة والعمر الطويل.. فهو ليس مثل عبد الحليم حافظ لم ينل من الدنيا إلا المرض والحزن فتمزقت قلوب الملايين عليه..

أن وفاة عبد الوهاب قد فضحتنا أمام أنفسنا: لقد كنا نستكثر عليه كل شئ! لأنه مثل ثمرة نضجت تماما.. فمن الطبيعى أن تسقط.

أما عبد الحليم حافظ فلم ينضج وإنما الموت خطفه وقطفه وقذف به قلوبنا وعقولنا وعيوننا..

فضحنا موت ديانا ومارلين وعبد الوهاب!

نشرنا لنعرف..

طلب منى الرئيس أنور السادات أن أنشر فى مكان بارز من مجلة «أكتوبر» هذا الخبر: الفلسطينيون يتوضأون من ماء النيل ثم يصلون فى المسجد الأقصى..

تفصيل هذا الخبر: أننا سوف نجعل ماء النيل ينساب عبر سيناء إلى فلسطين لكى يتوضأ المسلمون لأول مرة فى التاريخ ـ ثم يصلون فى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة.

ثم قال لى الرئيس السادات أننى أعلم مقدما اعتراض دول اعالى النيل، لأن الاتفاقيات التى بيننا تنص على أن ماء النيل لدول حوض النيل.

ونشرت الخبر وكان الغضب عاما فى مصر والدول الأفريقية لأننا سنوصل ماء النيل إلى إسرائيل وهكذا يتحقق حلمها الكبير أن تشرب من النيل وبعد ذلك من الفرات، أما النيل فقد ذهبنا به إليهم.

ثم طلب منى الرئيس السادات أن أنقل إليه أولا بأول ردود الفعل فى إسرائيل فكانت أول مكالمة تليفونية من السيدة جيئولا كوهين عضو الكنيست والتى مزقت اتفاقية السلام فى الجلسة التاريخية التى ألقى فيها الرئيس السادات خطابه الشهير فقالت لى: قل للسادات نحن لانريد بلهارسيا من مصر!!

ويومها ضحك السادات وقال: إن العبيطة صدقت هذا الخبر!

ولكن بعد ذلك بسنوات بدأنا نشعر بالمحاولات الإسرائيلية للعب فى أعالى النيل، واطلاق شائعات بأن هناك جسورا سوف تقام على أنهار أثيوبيا لتعطيل انسياب المياه إلى السودان ومصر.. وأن موشى ديان قد زار أثيوبيا سرا عشر مرات.. ونحن نعلم يقينا استحالة إقامة جسور على هذه الأنهار بسبب انحدارها الشديد والسرعة الهائلة لسقوط الأمطار وتدفق المياه بين الصخور الحادة.. ونحن نعتمد على مياه أثيوبيا ٨٠٪ من الماء الذى يصل إلى مصر قادم من أثيوبيا ـ ولكن الفزع قد تولانا، فهذه جبهة أخطر علينا من كل الجبهات الأخرى، والأتفاقيات التى بين دول حوض النيل قديمة وترجع إلى أيام الأحتلال البريطانى للسودان ومصر وهى ملزمة لنا جميعا، فإذا حاولنا عمل مشروع رى أو زراعى أو استصلاح للأراضى فلابد من الأتفاق بيننا على ذلك، وقد حدث من ثلاثة شهور أن أحتج وزير خارجية أثيوبيا على أننا نقلنا مياه النيل إلى سيناء مع أن سيناء أرض مصرية وأن كانت فى قارة آسيا؟ ثم قرأنا احتجاجا آخر على أن مصر تستخدم مياه بحيرة ناصر فى مشروع توشكى مع أن المشروع فى أرض مصرية؟

فما المعنى؟ المعنى أننا أمام مصيدة سياسية جديدة هى: الماء مقابل السلام.. أى أن مشروع «الأرض مقابل السلام» بين اسرائيل وفلسطين وسوريا ولبنان والذى استغرق نصف القرن العشرين، سوف نضيف إليه مشروعا آخر أصعب وأعقد وهو «الماء مقابل السلام» ماء نهر النيل.. وماء نهرى دجلة والفرات اللذين ينبعان من تركيا وتعيش عليهما العراق وسوريا وأن تركيا على علاقة حميمة مع إسرائيل وأميركا، وفى استطاعة تركيا أن تقيم مشروعات لتوليد الطاقة الكهربية واستصلاح الأراضى على نهرى الدجلة والفرات وبذلك تؤثر تماما على نصيب الدولتين من هذه المياه.. ثم أن تركيا لها دور خطير آخر وهو أنها دولة ليست إسلامية.. فلا هى مع المسلمين ولا هى مع اليهود وإن كانت إلى اليهود أقرب.. ودورها الخطير هو أن الجمهوريات التى انفصلت عن الأتحاد السوفييتى بها كميات هائلة من البترول.. هذا البترول تتولى استغلاله شركات أميركية، وليس لهذا البترول إلا منفذ واحد هو الموانئ التركية على شاطئ البحر الأسود!!

فهل ـ ياترى الخبر الذى طلب السادات نشره عن مياه نهر النيل فى فلسطين كان «بالون اختبار» أو كان نبوءة؟

سوق السلاح

«سوق السلاح» هى «سوق السلام» فأينما نظرنا حولنا سوف نجد كلمة السلام.. فى فلسطين: الأرض مقابل السلام.. وفى اسرائيل: الأمن مقابل السلام.. أى مالم يكن كل اسرائيلى آمنا على نفسه وعلى أهله وبيته من الأرهاب الفلسطينى واللبنانى، فلا سلام فى فلسطين وفى لبنان وسوريا.. ولذلك لايريدون أن تكون فلسطين دولة مستقلة لها جيش ينقلب فى أى وقت على الشعوب اليهودية فى اسرائيل.. ولذلك كان لابد أن تكون فى فلسطين قوات أمن تحمل مسدسات لا مدافع رشاشة.. واليهود لاينسون ماحدث فى المانيا، فقد نصت اتفاقيات السلام بعد الحرب العالمية الأولى على ألا يكون لألمانيا جيش ولاتنتج أى نوع من أنواع الأسلحة، وإنما بها قوات أمن فقط.. فلما جاء هتلر فى الثلاثينات إلى الحكم حول قوات الأمن إلى جيش منظم قوى.. وكانت الحرب العالمية الثانية ومذابح اليهود فى معسكرات الأعتقال.. واليهود لم ينسوا

ذلك ولايريدونه أن يتكرر فى فلسطين.. ولأن قوات الأمن فى فلسطين تحمل المدافع، ولأنهم يشترون الأسلحة من كل مكان.. ولذلك فان المسافة بين أمن اسرائيل وسلام فلسطين بعيدة وتزداد بعداً.

وفى العراق: الغذاء مقابل السلام.. أى لابد من تجريد العراق من كل أسلحة الدمار الشامل حتى لاتغزو الدول المجاورة وتشعل النار فى الآبار.. ولا حتى الهجوم على ايران.. وطبعا لا إسقاط للقنابل الميكروبية على اسرائيل.. وإذا جاع الشعب العراقى فالسبب صدام حسين.

وإذا ثبت أن ايران لديها قنابل نووية، فسوف تفكر اميركا فى فرض حصار على بترولها وعلى تجارتها وطعامها ودوائها أيضا.

وفى ليبيا: لن ترفع اميركا حصارها عن ليبيا إلا إذا سلمت المتهمين بنسف الطائرة الأميركية فوق بريطانيا.. وقد حاولت أميركا ضرب القذافى شخصيا، فهدمت بيته واصابته فى ذراعه.. وكانت الطائرات قد جاءت من بريطانيا عبر الأجواء الفرنسية ورفضت أسبانيا مرور هذه الطائرات.

والدول الكبرى هى التى تدعونا إلى السلام.. أو قبول السلام بأية شروط. وهذه الدول نفسها هى التى تبيع لنا السلاح.. ولاتكاد تهدأ الحدود حتى تشعلها فى الداخل والخارج لتكون حرب باردة.. ثم تقوم بتسخين هذه الحروب فتكون بين الأديان وبين الألوان وبين الطبقات وبين العناصر..وتقدم هذه الدول القروض والتيسيرات البنكية لكى تشترى السلاح بفوائد عالية.

أن سوق السلام هى نفسها سوق السلاح، ويكفى أن تنظر إلى الدول التى ساعدت العراق لتعرف من الذى دفع العراق إلى هاوية الدمار فى الداخل والخارج: كندا وبريطانيا وسويسرا والمانيا وايطاليا وأميركا والصين وفرنسا والأرجنتين وجنوب أفريقيا.

فالذين يقدمون لنا أشجار الزيتون عليها حمامات السلام علنا، هم الذين يبيعون السلاح سرا.

أما دموع التماسيح فى عيون الدول الكبرى فلأننا قد اهدرنا حقوق الأنسان، هم الذين يقولون ليلا ونهارا، والمصيبة أننا نصدق ذلك؟!



مؤامرة!

كنت أول من قال عن مصرع الأميرة ديانا: إن المخابرات البريطانية هى التى اغتالتها لأنها تهدد العرش والأسرة المالكة التى لن تقبل أن يكون للملك أخ أسمه محمد وأخت اسمها فاطمة بعد زواجها من دودى ابن الفايد.

وتناقلت وكالات الأنباء وشبكات التليفزيون هذا الرأى المباشر الذى ظهر فى اليوم التالى لاغتيالها، وفى اليوم السابق لاغتيالها كنت فى باريس وذهبت مع صديق لفندق ريتس لنرى الأميرة ديانا وسألنا عنها قالوا: إنها خرجت.

ونشرت الصحف هذا أيضا، ولم تكن إلا صدفة أن أذهب قبلها بيوم، وجاء فى الصحف أن اثنين لهما ملامح شرقية قد ذهبا إلى الفندق يبحثان عنها..

ونشرت مجلة «بارى ماتش» الفرنسية حديثا معى فى صفحاتها الأولى من شهرين أكدت فيه أن الأسرة المالكة لن تقبل أبدا هذا التهديد من الأميرة المحبوبة التى سرقت الأضواء والأهتمام من ولى العهد ومن الملكة ثم أحبها الناس لبساطتها ولأنها صريحة ـ فقد أهانها زوجها من أول يوم عندما قال لها أن عشيقته هى التى اختارتها بعد أن رفضت أختها الكبرى الزواج من ولى العهد. وبعد أن قال لها إن الحرف الأول من اسم العشيقة هو الموجود على مناديله وقمصانه وكان ذلك جرحا لاتقوى على السكوت عنه.. فإذا كان الأمير من أسرة ملكية فهى أيضا من النبلاء وأبوها لورد وقد ورث هذا اللقب من مئات السنين قبل أن يكون لبريطانيا أسرة مالكة.

وهاجمتنى الصحف البريطانية وقالت: أنهم الشرقيون كل شئ عندهم عبارة عن «مؤامرة» فالأميرة ماتت نتيجة مؤامرة من الأسرة المالكة وهذا الأسلوب الشرقى فى تفسير أحداث التاريخ هو أسلوب الناس الكسالى الذين لايريدون أن يفكروا وإنما هم يقولون أنها مؤامرة.. مؤامرة من أطراف مجهولة ويكتفون بهذا القدر!

فالشرقيون عندهم احساس قوى بأن العالم من أوله لآخره يتآمر عليهم!

أى أننى واحد من هؤلاء وطبيعى أن يكون تفكيرى هكذا رغم أن المجلة قدمتنى للقراء على أننى كنت مدرسا للفلسفة فى الجامعة لمدة عشرين عاما، ورغم أننى أصدرت مائتى كتاب وعددا كبيرا من

المسرحيات والمسلسلات وأننى كنت الداعية الأول للفلسفة الوجودية فى مصر والعالم العربى والمستشار السياسى للرئيس السادات ولكن تفكيرى رغم كل ذلك مثل أى رجل شرقى!

وأريد أن أعرف رأى هذه الصحف فى الذى قالته السيدة هيلارى كلينتون فى دفاعها عن زوجها، لقد كان دفاعها فى غاية القوة فى حديثها إلى العالم.. فاستخدمت كلمة «مؤامرة» فى ساعة واحدة ٢٨ مرة ـ فهل هى الأخرى شرقية.. أو مصرية!

ومارأيهم فى الذى قالته أسرة القس الكبير مارتن لوثر كينج بعد ثلاثين عاما من اغتياله.. لقد قالوا: إنها مؤامرة.. فهل هم مصريون أيضا؟

وكذلك اغتيال الرئيس الأميركى كنيدى.. والذين شاهدوا الفيلم الشهير الذى اسمه «ج. ف. ك» وهو من أبدع الأفلام وأعمقها، هذا الفيلم يؤكد أن هناك «مؤامرة» من وزاة الدفاع على اغتيال الرئيس لأنه داعية سلام.. والسلام يعطل مصانع الأسلحة والذخيرة عن الإنتاج فيتجه الزبائن إلى الدول الأوروبية وروسيا ولاأحد حتى الآن يعرف من الذى قتل كنيدى.. هل هو واحد أم اثنان أم ثلاثة.. فهل أقوى رجل فى العالم قد انتحر؟!

فهل الأميركيون مصريون أيضا؟!

موت مصطفى أمين

سنة مضت على وفاة أستاذنا الكبير مصطفى أمين مؤسس أكبر مدرسة صحفية مع أخيه التوأم على أمين. وهذه الدار كانت حلمنا وأملنا وشرفنا أيضا. فقد كنت قبلها أعمل فى جريدة الأهرام.. وقبلها كنت أعمل فى جريدة «الأساس» وفى «روز اليوسف» وفى مجلة «النداء» وفى «الجريدة المسائية»، ثم ذهبت مع الكاتب الكبير كامل الشناوى للعمل فى «الأخبار الجديدة» فى مايو سنة ١٩٥٢، وفى مؤسسة «أخبار اليوم» رأست تحرير مجلة «الجيل» ومجلة «هى» ومجلة «آخر ساعة» ثم تركت أخبار اليوم لانشئ مجلة «أكتوبر» وأرأس إدارة «دار المعارف» وأكون رئيسا لتحرير «العروة الوثقى» ثم مجلة «وادى النيل» ثم جريدة «مايو» وأخيرا مجلة «كاريكاتير»..

وكان العمل فى مؤسسة «أخبار اليوم» فقط نقطة التحول فى حياتى الصحفية ففيها كل فرص العمل وفرص النجاح.. وقد

أطلقتنى «أخبار اليوم» لأكون أول وآخر صحفى يدور حول العالم وحده وبلا توقف ٢٢٨ يوما. نشرتها فى كتاب بعنوان «حول العالم فى ٢٠٠ يوم» وهو أكثر الكتب العربية انتشارا منذ صدوره سنة ١٩٦٣ حتى الآن ـ هذه شهادة اليونسكو ـ وقد سافرت بعد ذلك مئات المرات فعندى ٣٩ جواز سفر قد امتلأت كلها بتأشيرات الدول فى القارات الخمس.. وعندى من الحكايات والنوادر والكثير من المغامرات الصحفية فوق الجبال وحول البراكين وعند الشلالات وفى المحيطات والغواصات والبالونات وفى الأسكيمو وفى بلاد نيام نيام وفى الحدائق المفتوحة فى أواسط أفريقيا وفى سيبريا بروسيا.

وتعلمنا من مدرسة أخبار اليوم العبارة السريعة، والمقال القصير الملئ بالمعانى والمعلومات. وتعلمنا أن القارئ يزهق بسرعة ولذلك يجب أن نشده إلينا من أول لحظة وأن القارئ مغرور فالذى لايفهمه فهو كلام فارغ لأن الكاتب جاهل.. لماذا؟ لأن الزبون على حق دائما والقارئ هو الزبون!

وتعلمنا من مصطفى أمين وعلى أمين.. أنه أفضل للكاتب أن يموت واقفا على أن يعيش قاعدا.. وأن الحرية هواء يجب ألا نرضى عنه بديلا.. وأن أجمل رائحة فى الدنيا هى رائحة الحبر، وأن أروع سيمفونية هى صوت المطابع وهى تدور كل صباح.. وأن الحرية من الممكن أن تكون لها اخطاء، ولكن أخطاء الحرية أحسن ألف مرة من صواب القيود.. وأن النوم على الأرصفة أفضل من سجن خمس نجوم!

وقد عانينا الكثير من المتاعب بسبب هذه الآراء التى استقرت فى أعمق مكان من عقولنا وقلوبنا.. حتى مصطفى أمين دخل السجن تسع سنوات وخرج منها ليدخل توأمه المستشفى ويموت ويعيش مصطفى أمين: نصفه حزين على نصفه الآخر.. ونصفه سعيد لإحياء ذكر نصفه الآخر..

وكانت «أخبار اليوم» هى أكبر منصة لإطلاق الأقمار فى سماء الصحافة المصرية والعربية.

يرحم الله الأخوين الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين.. فقد اكتشفنا بعد فوات الأوان أن الكثير من نصائحهما الغالية كانت مرهقة ومصدر تعاسة لنا ـ فلا داعى أن يموت الإنسان واقفا، إذا كان من الممكن أن يموت على سرير من حرير.. ولاداعى لأن ينام على الرصيف حرا، إذا كان فى استطاعته أن يكون حرا فى النوم فى طائرة خاصة بين مصر وأميركا!



يهود مجانين

من ٣٢ قرناً وقف موسى عليه السلام على حدود مصر وأرض فلسطين وأرسل عشرة من الجواسيس ليعرفوا الأرض والناس.. فعاد اثنان يحملان عناقيد العنب وقالا له: إنها أرض اللبن والعسل.. أى فيها حيوانات ومزارع وفيها زهور يمتص رحيقها النحل..

وإسرائيل الآن أرض اللبن «المر» والعسل «الأسود» فقد قامت دولة إسرائيل من خمسين عاماً. ولكن لم تحقق حلم الصهيونية ـ فى أن تكون أرض أمان وسلام.. أمان فى داخلها وسلام خارجها.. وفى داخل إسرائيل خلافات حادة بين اليهود الشرقيين «السفارديم» واليهود الغربيين «الاشكيناز» وهناك عشرات الخلافات الدينية والسياسية.. وقبل أن تقوم الدولة حمل اليهود السلاح ولم يلقوه حتى الآن.. ولن يفعلوا.. فالذى يذهب إلى إسرائيل يشم رائحة الموت والبارود. فالموت يهدد الناس فى كل مكان.. والفلسطينيون مصرون على تحرير أرضهم وإرادتهم. وأن تكون لهم دولة كما أن لليهود دولة.. وإلا فلا سلام لا فى داخل إسرائيل ولاخارجها.

أما المشاكل والمتاعب فى داخل اسرائيل فهى بعدد الأحزاب الدينية والسياسية وبعدد الخلافات اللونية والعرقية.

أحكى لك حكاية، لى صديق إسرائيلى ـ مصرى.. يدين بمذهب «القرائين» أى الذين يؤمنون بالأسفار الخمسة من التوراة ولايؤمنون بالتلمود.. وهذا معناه عند اليهود المتشددين وهم أغلبية فى إسرائيل أنهم كفرة.. فلا هم مسلمون ولا هم مسيحيون وليسوا يهوداً. فالتلمود الذى كتبه الحاخامات أهم من التوراة التى كتبها الأنبياء.. وكان له ابن وحيد. هذا الابن مات فى حرب سنة ١٩٧٣. مات من أجل إسرائيل وظل جثمانه ملقى على الأرض لايتقدم أحد لدفنه، لأنه ليس يهودياً تماماً!.

وهناك تحفظات على يهود اليمن..

وتحفظات على يهود الهند القادمين من ولاية كيرلا.

أما تحفظات الأحزاب الدينية الفلاشا ـ يهود أثيوبيا فمعروفة وكانت فضيحة كبرى.. فضيحة للتعصب الدينى واللونى والمذهبى.. فما يزال يهود اسرائيل يرون أن يهود الفلاشا متخلفون بدائيون.. وقد حدث عندما هبطوا مطار بن جوريون أن فوجئوا بكل أجهزة وزارة الصحة ترشهم بالمبيدات الحشرية وتجردهم من ملابسهم رجالاً ونساء.. وقد شعر يهود أوروبا وأميركا بالعار من هذه المعاملة التى يلقاها يهود مثلهم عاشوا فى ظروف قاسية.

ثم أن الحاخامات رفضوا اعتبارهم يهوداً لأنهم لم «يتطهروا» ولأنهم لايعرفون الغسل قبل الصلاة.. وقرروا أنه لابد من طهارتهم

مهما بلغت سنهم.. وكانت فضيحة.. وأخيرا وجدوا حلاً وهو إسالة بعض الدماء من أصابعهم.

واليهود الأرثوذكس يضربون الناس بالحجارة يوم السبت.. إذا ركبوا سيارة أو قاموا بأى عمل.. لأن يوم السبت هو يوم الراحة التى نصت عليها الوصايا العشر.. ويضربون بالطوب المحلات والفنادق التى تفتح أبوابها يوم السبت.. ويضربون شركة الطيران والملاحة إذا عملت يوم السبت.. وقد اضطرت كثير من الشركات أن تعرض نفسها للبيع.. فيشتريها من ليس يهودياً لكى يعمل يوم السبت ويقدم للمسيحيين لحم الخنزير.

والمهاجرون الجدد إلى إسرائيل يلقون تعنتاً شديداً يمنع أى مهاجر من شغل أية وظيفة قبل أن يتعلم اللغة العبرية فى ستة شهور.. ولذلك نجد العلماء الروس الكبار يعملون فى محطات البنزين ونجد الفنانات والراقصات يعملن غانيات فى الشوارع أو الكباريهات.

وكان الشاعر الأيرلندى بيتس يصف بلاده بأنها: غرفة صغيرة لكراهية عظيمة!

وهذا ينطبق على إسرائيل تماما. فلم يتحقق كل الذى كان يحلم به أبناء الصهيونية.. ولم يفلح اليهود فى أن يتخلصوا من شعورهم بالعذاب والأضطهاد فى كل العصور. ولايريدون أن ينسوا ذلك.. ولا أن ينسى الناس.. ويتوقعون أن يحدث لهم ذلك فى أى وقت.

وكان بيجين يقول: إن هتلر عندما أحرق اليهود وقف العالم كله يتفرج عليه.. والعالم مستعد أن يتفرج مرة أخرى.. ولكننا لن نسمح لهتلر آخر ولن ننتظر حتى ينصفنا الآخرون بل يجب أن نثأر لأنفسنا.

وإذا كان اليهود يكرهون هتلر ففى اسرائيل حزب «مولودت» يكاد يكون نازياً فهم يطالبون بطرد الفلسطينيين من إسرائيل وبأى ثمن وبأى أسلوب..

وعلى رأس حكومة اسرائيل نتنياهو الذى يعيد أرض فلسطين إلى أهلها بالمتر.. بالواحد فى المائة.. أى مايعادل خمسين كيلو متراً مربعاً أى خمسين مرة مساحة منطقة طابا المصرية.. ويجب ألا نظن أن نتنياهو قد أغضب اليهود فى اسرائيل أو خارجها.. إنه وإنهم لايريدون حلاً!

فالذين كانوا يريدون الحل هم حزب العمال وقد قتل المتطرفون زعيمهم رابين.. تماماً كما قتل المتطرفون أنور السادات.

هتلر دائما

كل يوم يصدر كتاب عن هتلر.. عن طغيان هتلر وتعذيب هتلر للشعوب التى احتل أرضها.. وتعذيب اليهود واحراقهم فى افران الغاز.. قالوا احرق مليونا وقالوا أربعة.. وقالوا: ان من بين الذين أحرقهم مسيحيين من المعارضين له.. وعندما طرد اليهود من ألمانيا، طرد معهم جواسيس له فى كل مكان.. ويقال أن الرأسمالية الأميريكية اشترت من هتلر أرواح اليهود.. قدمت له الملايين مقابل حياة عدد من اليهود.

لكن لابد من صدور كتب جديدة.. وموضوعها الرئيسى: لماذا يكره هتلر اليهود بهذه الصورة الوحشية؟

كتاب يقول: لأن هتلر كانت أمه خادمة فى بيت أحد أغنياء اليهود فى العاصمة فيينا.

وكتاب يقول: لأنه كان فقيراً وكان حاقدا على هؤلاء الأطفال والشبان الأغنياء وكلهم من اليهود.

وكتاب يقول: هتلر ابن غير شرعى.. فقد ولدته أمه قبل أن تتزوج والده.. وكانت تتركه معظم الوقت فى البيت.. وكان يبكى ويتعذب.. فلما كبر قرر فى أعماقه أن يوجع قلب جميع الأمهات.. فنجح فى ذلك.. فقد بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية حوالى خمسين مليونا من الآباء والأمهات والأطفال.. لقد أوجع قلوب أضعاف هذا العدد.

وكتاب يقول: بل كان هتلر عاجزا جنسيا، وكانت له خصية واحدة.. وقد سمعت أنا شخصيا الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة يتحدث فى التليفون ويقول: أن له خصية واحدة، فليكن! ولكن هذا العيب لايترتب عليه عجز جنسى ولا حتى شذوذ جنسى، وقيل أن هتلر اعتدى على بنت أخته.. ولما حاولت أن تفتح فمها قتلها.. ويقال كانت له صديقة جميلة خدعته وتركته لرجل آخر، ثم اكتشف أنها يهودية!

وآخر كتاب صدر فى الأسبوع الماضى عنوانه (يهودى مدينة لنس).. ومدينة لنس هى المدينة النمساوية التى ولد فيها هتلر سنة ١٨٨٩، وهو لم يولد فى هذه المدينة بالضبط وإنما فى قرية اسمها (براوناو) وقد زرت هذه القرية ودخلت البيت الذى ولد فيه هتلر.. وبين هذه القرية وألمانيا كوبرى صغير.. وداخل هذه القرية يرفعون العلم الألمانى ويتعاملون بالمارك الألمانى بدلا من الشلينج النمساوى.. وأمام البيت الذى ولد فيه هتلر توجد كتل من الحجارة السوداء.. سوداء فى لون رماد أفران الغاز التى أحرق فيها اليهود.. أو لون رماد

البيوت التى حطمتها القنابل فى كل أوروبا.. ومكتوب على هذه الأحجار بالأبيض عبارات عن الحرية وعن حق الإنسان فى الحياة، والبيت الآن تشغله إحدى الهيئات الحكومية.

هذا الكتاب يقول أنه كان لهتلر زميل فى المدرسة، هذا الزميل هو الفيلسوف النمساوى فتجنشتين، وقد ولد معه فى نفس السنة، هذا الفيلسوف هو صاحب مذهب فلسفى اسمه (الوضعية المنطقية) وكان من أكبر دعاتها فى مصر المرحوم د. زكى نجيب محمود، وله كتاب قيم عن هذا المذهب الفلسفى، هذا الفيلسوف الصغير يهودى، وعنده شذوذ جنسى وهو من أسرة غنية جدا على صلة بالعائلات اليهودية الغنية فى أوروبا خصوصا أسرة روتشيلد التى استقرت فى مدينة فرانكفورت الألمانية، وكان أحد أفراد أسرة روتشيلد هو الذى يبيع المجوهرات للعائلة المالكة.. وهو أيضا الذى يقرضها إذا احتاجت المال.

نعود إلى حكاية الفيلسوف اليهودى، هذا الفيلسوف اليهودى لأنه كان مدللا ولأنه كان شاذا جنسيا كان يعتزل زملاءه.. وهتلر أحس أنه يتعالى عليه لأنه غنى ابن غنى، فكرهه وحقد عليه، وتجنب الحديث معه، حتى أن الفيلسوف الصغير قد شكا من هذا السلوك فى بعض رسائله إلى أصدقائه فقد كان معجبا بذكاء هتلر وقدرته على التعبير كما أنه وجد فى عينى هتلر شيئا لايقاوم.

فلما صار هتلر زعيما لألمانيا واكتسح النمسا فى ساعات كان أول قرار أصدره هو تجميد نشاط عائلات فتجنشتين فى الصناعة

والتجارة وأسعده جدا أن يكون الفيلسوف الصغير هو أول من علم بهذا القرار، ثم كان لطيفا معه فسمح له بالهجرة من النمسا إلى أى مكان آخر.

ويقال أن هتلر عندما كان فى السلطة راح يردد لحنا موسيقيا شهيرا لبتهوفن.. فنبهه أحد الضباط الذين حوله إلى أنه أخطأ فى أداء اللحن.. فصرخ هتلر: بل بتهوفن هو الذى اخطأ!

ويقال أن هتلر كان رساما متواضعا ولما حاول دخول اكاديمية الفنون فى فيينا رفضوه لأن مستواه ضعيف، بينما قبلوا عددا من زملائه اليهود.. وعندما تربع هتلر على عرش ألمانيا والنمسا وأوروبا راح يبحث عن السيدة التى كانت وكيلة لأكاديمية الفنون فى فيينا والمسئولة عن رفضه، قيل له أنها يهودية.. وسخر مئات الجواسيس يبحثون عنها حتى وجدوها كبيرة فى السن ومريضة.. وسألها هتلر: هل تعرفين لماذا أنت هنا الآن؟ فقالت: لأنك أنت أردت ذلك، فقال: صحيح، ولكن لماذا؟ فأجابت: لأننى يهودية.

فهز رأسه مؤكدا أن هذا هو السبب ثم أشار إلى من يحملها إلى أفران الغاز.

وحكايات لها أول وليس لها آخر حتى الآن، ولكن هناك أسباب أخرى: اقتصادية وسياسية، فقد سيطر اليهود على اقتصاديات ألمانيا وأوروبا بعد الحرب العالمية الأولى وقبلها أيضا، وأيقن هتلر أنهم سبب البطالة وأنهم يبيعون ويكسبون ولايهمهم الشعب الألمانى.. وأنهم يمتصون الذهب ويلعبون بأسعاره ثم يصدرونه إلى خارج البلاد.. وأنهم الذين يفشون الشيوعية فى ألمانيا وفى أوروبا.

وهتلر وطنى متطرف، وكل الفلسفات اليهودية ضد (التطرف الوطنى) لأنهم بلا وطن ولأن التعصب الوطنى ينبذهم.. فيقال: نحن ألمان.. ولكن من هم ومن أى بلد جاءوا.

ولن تنتهى الكتب التى تقلب فى تراب وركام التاريخ عن السر الحقيقى وراء كراهية هتلر لليهود..



من ربع قرن..

من ٢٥ عاماً ماذا حدث فى هذه الدنيا؟

كانت فضيحة الرئيس الأمريكى نيكسون الذى «كذب» وقال أنه لم يتجسس على خصومه السياسيين.. وأفدح الجرائم فى أميركا هى: التهرب من الضرائب ومن الجندية والكذب..

ووافقت روسيا على اتفاقية حق الأداء العلنى.. وكانت قبل ذلك تترجم أى كتاب لأى مؤلف ولاتدفع عن ذلك دولارا واحدا.

وكانت الهدنة بين أميركا وفيتنام بعد أن فقدت أميركا خمسين ألفا من جنودها أمام الحفاة العراة من جيوش فيتنام.

وأنطلق المكوك الفضائى الأميركى «سكاى ـ لاب» رقم ١ و٢و٣ لمدة ٢٨ يوما فى الفضاء.. وأنطلقت سفينة فضاء أميركية نحو كوكب المشترى ثم إلى الفضاء الخارجى فأرسلت صورا لهذا الكوكب من مسافة ثمانين ألف كيلو متر.

وأعادت الأرجنتين انتخاب رئيسها السابق بيرون بعد أن غاب عن البلاد ١٨ عاما وأختارت زوجته ايفا نائبة للرئيس.

وشاه ايران أم البترول..

وفقدنا عميد الأدب العربى طه حسين وقد ولد معه فى نفس السنة: العقاد والمازنى وعبد الرحمن الرافعي وهتلر ونهرو وشارلى شابلن وإليا أبو ماضى.

وقد توفى فى نفس اليوم د. حسن عثمان أستاذ الجغرافيا ومترجم «الكوميديا المقدسة» للشاعر الايطالى دانتى... ولكن أحدا لم يدر أن المترجم قد مات لأن العيون والدموع والأقلام والميكروفونات كلها اتجهت إلى طه حسين..

ولما اغتيل الرئيس كنيدى مات الأديب الانجليزى هكسلى، فلم يشعر بوفاته أحد.. وكذلك عندما انطلق الرصاص على سعد زغلول باشا رئيس وزراء مصر توفى الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى، فسار فى جنازته خمسة من أقاربه.

وقد رثاه أمير الشعراء شوقى بقصيدة طويلة منها:

اخترت يوم الهول يوم وداع

ونعاك فى عصف الرياح الناعى

هتف النعاةُ ضحى فأوصد دونهم

جُرح الرئيس، منافذ الاسماعِ

من مات فى فزع القيامة لم يجد

قدماً تشيع أو حفاوة ساعى

ويوم مات طه حسين مات الفيلسوف الوجودى الفرنسى مارسيل ـ لقد ولد معه فى نفس السنة ومات فى نفس السنة.. والفيلسوف الفرنسى جابريل مارسيل من الفلاسفة الوجوديين المؤمنين.. وكان من أرقهم عبارة وأجملهم أسلوبا وأصفاهم قلبا وعقلا.

وفقد الأدب العالمى الأديب الأنجليزى نويل كوارد.. والشاعرة الزنجية أرنا نوتامب.. والشاعر الشيلى نيرودا.. والشاعر الانجليزى أودن.. والفيلسوف الفرنسى جاك ماريتان.. والأديبة الأميركية الحائزة على جائزة نوبل فى الأدب. بيرل بك.. وماتت مصممة الأزياء الفرنسية الإيطالية الأصل سيكاريللى.

وأهم الأحداث العالمية هى حرب أكتوبر.. فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ تقدمت القوات المصرية وعبرت قناة السويس وسحقت القوات الاسرائيلية.. ولكى تتمكن القوات المصرية من الانتصار كان استعدادها لذلك علميا ونفسيا وهندسيا ووطنيا وعربيا.. ولم يتحقق لمصر وللعرب فى كل تاريخهم مثل هذا النصر الهائل على اسرائيل، وكانت حرب أكتوبر أكبر مفاجأة.. فى الاستعداد العلمى والعسكرى والتدريب التام فى أماكن مختلفة من مصر وليس فقط على شاطئ قناة السويس.. واستعدت مصر بكل الحيل لخداع كل أجهزة المخابرات العالمية حتى أيقن الغرب واسرائيل أن مصر التى انهزمت سنة ١٩٦٧ مازالت طريحة الأرض المصرية وأن جراحها لم

تجف ولن تجف.. وأن مصر وكل العرب قد ولدوا لينهزموا، أما اسرائيل فهى وحدها التى ولدت لتنتصر كما انتصرت علينا جميعا سنة ١٩٦٧ ..

وبعد النصر كان لابد من المفاوضة ـ أى المفاوضة من موقع قوة، وكانت المفاوضات على الانسحاب وعلى السلام بعد ذلك، ومصر لم تأت بجديد أو بدعة فى السياسة الدولية، ففى أعقاب ـ خمس حروب مع اسرائيل ـ لابد أن يجلس المتحاربون ويتفقوا على ألا تكون هناك حرب سادسة، ويكفى ماكان.. وأن يتفقوا أيضا على الانسحاب وأنهاء الاحتلال وعلى الحدود.. وعلى الأسرى.. كل الدول الأوروبية فعلت ذلك فى الحروب سنة ١٨٧٠ و ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ وأية حرب قادمة فى القارات الخمس.

وكانت المفاوضات هى استثمار للنصر.. وفى نفس الوقت فتح باب المفاوضات على سلام الدول التى احتلت اسرائيل أرضها: سوريا والأردن وفلسطين..

وككل شئ جديد فى السياسة والفكر والأدب، غضب الأشقاء العرب من الخطوة المصرية نحو السلام.. ووقفوا ضد مصر وبعيدا عن أنور السادات.. ولكن أثبتت الأيام أن الخطوة المصرية أو الأسلوب المصرى فى انهاء الحروب هو الصحيح.. ولولا ذلك لظلت سيناء محتلة مثل الجولان والضفة والقطاع والقدس.. ولولا المفاوضات ماوقع الأردن سلاما مع اسرائيل، ولاحصلت فلسطين على معظم أرضها وسيادتها.. ولابد أن تسود فلسطين على أرضها.. ولابد أن

تكون لها دولة ـ طال الزمن أو قصر.. عاش نتنياهو حتى عام سنة ٢٠٠٠ أو مات قبل ذلك على فراشه أو برصاص المتطرفين اليهود.. والزمن فى صالح فلسطين، وليس فى صالح اسرائيل ولا السلام الشامل معها.



الأطباق الطائرة

نحن الآن لا نقرأ إلا القليل عن «الأطباق الطائرة» إما لأنها لاتظهر.. وإما لأن الناس قد زهقوا ولم يجدوا لها تفسيرا علميا.. وإما لأنها أصبحت حقيقة مؤكدة.. أساس هذه الحقيقة: أن العقل لا يستبعد أن تكون هناك كائنات أخرى فى كواكب بعيدة عنا، وأنها متطورة لدرجة أنه من السهل عليها أن تصل إلى الأرض وتعود من حيث أتت وبسرعة هائلة.. ولكن من الحقائق العلمية المؤكدة أن الأرض ليست وحدها الكوكب الذى تصلح عليه الحياة.

فنحن ونباتنا وحيواناتنا لانستطيع أن نعيش من غير ماء.. ولكن من يدرى ربما كانت هناك كائنات أخرى لاتحتاج إلى الماء.. كما أن هناك حشرات فى أعماق المحيط والكهوف لاتحتاج إلى أوكسجين.

وليس من الضرورى أن تكون الكائنات العاقلة الأخرى لها شكل الأنسان.. فكما أن هناك مالانهاية له من أشكال النباتات والزهور والحشرات فلماذا لاتكون هناك كائنات أعقل لها شكل آخر غير الشكل الأنسانى، أن قدرة الله لا حدود لها.

من ثلاث سنوات تقدمت المجلات العلمية فى أميركا بوثيقة عليها امضاء ملايين المثقفين يطلبون من الرئيس كلينتون أن يجيب عن هذا السؤال: ماحقيقة الكائنات الفضائية التى قابلت الرئيس ايزنهاور؟ وقالوا له: أن الرئيس كارتر قد وعدهم أثناء المعركة الانتخابية بأنه إذا نجح فسوف يكشف عن هذه الحقيقة، ونجح ولم يقل، وخرج من البيت الأبيض ولم يقل، ولكن الرئيس كلينتون هو الآخر لم يرد، وليس فى نيته!

وفى نفس الوقت نشر عدد من رواد الفضاء مذكراتهم، وقالوا فيها: أنهم شاهدوا فى داخل سفينة الفضاء ووراءها وعلى جانبيها أجساما مضيئة باهرة.. فى حجم البرتقالة.. وبعضها استطاع أن يدخل السفينة.. وعندما وصلت وحلقت فى جو السفينة تعطلت العقول الألكترونية وارتبكت.. واضطربت حركة السفينة أيضا.. وقبل أن يحاولوا التقاط صور لها كانت قد اختفت.. ونقلوا هذا الذى شاهدوه إلى محطات المتابعة الأرضية ثم صدر تنبيه من العلماء للرواد، ولا كلمة! أى لاتفتحوا أفواهكم بكلمة واحدة!

وفى السنة الأولى لحكم الرئيس جوربا تشوف ظهر طبق طائر فى سماء موسكو ونشرت الصحف وأصدر جورباتشوف أوامره بالكف عن متابعة هذا الموضوع!

وأنا قد أصدرت كتابين من حوالى ثلاثين عاما، الأول عنوانه: الذين هبطوا من السماء.. والثانى عنوانه: الذين عادوا إلى السماء.. وقد تناولت موضوعا واحدا بالصور والخرائط الموضوع ان كائنات من الفضاء الخارجى جاءت إلى الأرض.. وعاشت وتركت آثارها على جدران الكهوف والمعابد، ولسبب لانعرفه عادت إلى حيث لانعرف.

وفى الشهر الماضى ظهرت سلسلة مقالات لأحد أدباء العلماء وهو كولن ولسون أحد زعماء مدرسة «الأدباء الساخطين» فى بريطانيا.. وفى هذه المقالات يؤكد أن مجيئ كائنات من الفضاء الخارجى حقيقة، وأن هذه الكائنات قد خطفت بعض سكان الأرض ثم اعادوهم إلى الأرض.. ووضعوا فى دمهم شيئا لانعرفه.. ثم لوحظ بعد التعرف على هؤلاء الناس أنهم فى صحة أفضل وفى يقظة عقلية أعظم.. ومعنى ذلك أن عددا كبيرا من النابهين والأقوياء والأذكياء هم من أبناء سكان الكواكب الأخرى!

ومنذ أيام أعلنت وزارة الدفاع البريطانية عن شئ مؤكد مثير، فقد أعلنت أن محطات الرادار العسكرية قد رصدت طبقا طائرا فى حجم سفينة حربية، وأن هذا الطبق كان ينطلق بسرعة ٣٠ ألف كيلو فى الساعة زادت الى ثمانين ألفا.. وقد حاولت الطائرات اللحاق به فلم تستطع.. وفى نفس الوقت سجلت محطات الرادار فى هولندا حركة هذا الطبق الكبير ـ أكبر طبق عرفناه حتى الآن ـ وأطلقت وراءه طائرات من طراز (أف ـ ١٦) لعلها تعترضه وتلتقط له صورا.. ولكن الطبق أسرع وأتجه إلى سماء المحيط الأطلسى واختفى.. وتقول محطات الرادار البريطانية أن هذا الطبق له قدرة فائقة على التشكل.. فيكون مثلثا ويكون سهما وتتغير ألوانه بسرعة هائلة..

وسوف تعرض وزارة الدفاع البريطانية ألوف الصور التي التقطتها في مؤتمر دولي يحضره علماء من كل دول العالم لأن هذه هي أدق صور لأكبر طبق عرفه العالم.

ومن عشرين عاما صمم عالم الفلك الأميركي كارل ساجان خريطة لموقع الأرض من المجموعة الشمسية وموقع المجموعة الشمسية من المجرة التي نحن جزء منها والتي تعرف باسم «الطريق اللبني» أو كما يسميها العرب القدامى «درب التبانة» ـ لأنها كبقعة في لون اللبن أو في كثافة التبن.. ومع هذه الخريطة صور للانسان، أنه ذكر وأنثى.. وفي هذه السفينة التي تنطلق في الفضاء الخارجي الآن تسجيلات لكل لغات الأرض ـ ومن بينها اللغة العربية.. ولوحات لكبار الفنانين ومقطوعات موسيقية لعباقرة الموسيقى وصور للنباتات والحيوانات والحشرات والمعنى: أن هذه بطاقة شخصية لسكان الأرض لعل هذه البطاقة تقع في أيدي الكائنات الأخرى فتهتدي إلينا.. وتتصل بنا.

وفي نفس الوقت يقول علماء الفلك أن أقرب كوكب إلى المجموعة الشمسية التي تضم كوكب الأرض وثمانية كواكب أخرى يدور حولها ستون قمراً، يبعد عنا ألوف السنين الضوئية.. يعني لو كان بيننا اتصال لاسلكي وقال واحد منا: ألو.. فسوف يجئ الرد بعد عشرة آلاف سنة!

ولكن من يدري ربما استطاع سكان الكواكب الأخرى اكتشاف وسائل اسرع في الاتصال ـ وسائل لم نعرفها بعد!

ربما أفضل ..

إذن ما الذى يريده الشباب من الناس حولهم: الأبوين والمدرس والسلطة ووسائل الأعلام التى هى سلطة فوق كل سلطة! يريد الشبان من الجميع أن يفهموهم.. وإذا فهموا أن يعطوا وإذا اعطوا أن يتسامحوا وإذا تسامحوا أن يكون ذلك واجبا عليهم وليس تفضلا منهم لأن الشباب عندهم حجة قوية: وهى أن الاباء والأمهات هم الذين اتوا بهؤلاء الشبان وأن الشباب لم يطلبوا إليهم ذلك؟! فكيف يكونون هم السبب فى وجودهم ويضعون كل هذه القيود والعقبات وكيف ينظرون إليهم على إنهم وحوش ضارية بلا قيود ولا سدود ولا حدود.. لماذا هذه النظرة الغريبة المتعالية ومادام هذا هو الواقع أو هذه هى الحقيقة فمن الواجب على الأباء والأمهات أن يكونوا جميعا أكثر مرونة.. وأكثر عطاء.. وألا يفرضوا عليهم اراءهم القديمة أو العنيفة بل من الواجب عليهم أن يلاحظوا فروق التوقيت بين جيلهم وجيل الشباب فالفجوة كبيرة وتزداد اتساعا. فإذا قلت

للشباب كنا نقبل يدى الأب والأم فإنهم لايجدون لذلك سببا والرد عندهم: ولماذا نفعل نحن الآن ذلك. ما المعنى؟

ولايقنعهم أن تقول لهم: أدب احترام الصغير للكبير.. امتنان.. وكان الواحد منا إذا دخل أبوه وقف. وإذا كان يدخن اطفأ السيجارة.. وأن بعضنا اطفأ السيجارة فى جيبه.. أو ابتلع الدخان حتى لايخرج من فمه أو انفه.. ويتساءلون: ولكن ـ لماذا؟ أنها حرية شخصية أن يدخن الانسان أو لايدخن. وبعض الاباء يقعون فى مطب خطير.. فهم يطلبون إلى أولادهم ألا يدخنوا، ولكنهم أنفسهم لايمتنعون عن التدخين فأين هى القدوة؟ وقد يقول الأباء: لم نعد قادرين لأن أحدا لم يقل لنا ماهى اضرار التدخين ولم يضر بنا حتى نكف عن التدخين.. ويكون رد الشبان: سوف ندخن على مسئوليتنا حتى يثبت لنا أن التدخين ضار بالصحة!

ويقول الاباء: ولكن هذه مصاريف..

ويكون الرد: إننا نأخذ مصروفا ونحن احرار فى انفاقه على السجائر أو على السندوتشات.

ويقال لهم: إن التدخين يفتح الباب على المخدرات

ويكون الرد: ولكننا لانتعاطى المخدرات ولانحب ذلك!

ويقال لهم: ولكن الشيطان أقوى..

ويكون الرد: الشيطان أقوى منكم أنتم بدليل أن أحدا منكم لم يكف عن التدخين.. ولكننا نجرب لنعرف.. وسوف نقلع عن

التدخين لأنه ضار بالصحة فعلا.. وإذا سمع الأب أو الأم سيرة الزواج. وأن أحدا من الأولاد يريد. أو يلمح من بعيد.. فإن الأب يصرخ والأم تزعق وتقول: انتبه إلى دروسك.. الزواج بعدين! ويكون الرد المسكت للأبوين: ولكنكما تزوجتما وانتما طلبه فى الجامعة.

غلطه، ياابنى،

ونحن نريد أن نرتكب نفس الغلطة.. ربما كانت النتائج أفضل.. يكون لنا أولاد أحسن من أولادكم. من يدرى؟!

منها جميعا

كنا ونحن ندرس الفلسفة نجد متعة عظمى فى «محاورات أفلاطون» .. فالطلبة يسألون سقراط.. وسقراط العظيم يجيب..

هم يسألون العقل.. وهو يرد بالمنطق.. وهم جميعا غارقون فى البحث عن الحقيقة وراء الإنسان والعلاقات الإنسانية ووراء هذا الكون.. ولم تر أحدا منهم يأكل أو يشرب.. أو حتى يعود إلى بيته أو يتحدث عن أسرته أو عن متاعه.. لقد تفرغوا لهذه الفلسفة.

ولكن هذا النوع من الحوار.. أو المناقشة أو الجدال أو المعارضة نموذجى، فليس له نظير بين الناس فى حياتهم العادية.

ففى حياة الناس تتغلب أهواؤهم وأغراضهم وهم لا يمثلون إلا أنفسهم وإلا مصالحهم.. وهم من أجل ذلك يشعرون أنهم أكبر من كل الناس.. أكبر من الوطن.. فأنت إذا جلست إلى أحد تناقشه، تستطيع أن تعرف الإجابة مقدما.. إذا وضعت نفسك فى مكانه

نظرت إلى الدنيا من وجهة نظره الشخصية.. وذلك كانت المعارضة السياسية والبرلمانية صورة جادة عنيفة من «التخريب».

كما ترتسم اللوحة من مجموعة الألوان والظلال.. ولو وضعت الألوان وحدها لكانت مضادة متنافرة.. ولكن التوفيق المستمر هو الانسجام، والانسجام هو موسيقى الألوان.. أو هو الرأى العام.. أو النظرية لكل شئ من أجل مسيرة كل شئ.

واللون الواحد كالصحراء ممل.

ولكن في الصحراء توجد بقع خضراء.. وفى الحقول الخضراء توجد بقع زرقاء وحمراء ودرجات لونية وارتفاعات مختلفة للنباتات والأشجار وأصوات متنوعة للطيور والحيوانات والإنسان.

والصوت الواحد: صغير.. وأمام اللون الواحد: تتثاءب.

ولكن من كل الألوان والظلال، والأصوات والصدى، والأهواء والآراء، تتكون وتقوى حياتنا!



أولاد الغجر!

وأنا صغير كنت أرى عددا من الناس، نساء وأطفالاً ورجالا يعيشون فى أطراف مدينة المنصورة، إنهم أناس مثلنا، ولكن لسبب لاأعرفه كان الناس ينظرون إليهم بشئ من الخوف، والاحتقار، ولم أجد سببا لذلك إلا أنهم يعيشون فى خيام، والخيام قد امتلأت بهم وحيوانتهم وطيورهم، ولم أجد فى ذلك شيئا غريبا.

وعندما اقتربت من أحد الأطفال وجدته مثلى تماما، يريد أن يلعب، وقد لعبنا فجاءت أمه وطلبت إليه أن يكف عن اللعب وأن يهتم بالماعز والطيور وإلا..

وقبل أن يرد عليها كانت قد صفعته على وجهه ونظرت ناحيتى بقسوة شديدة، وكان لابد أن أترك المكان.

ولم أجد فى ذلك شيئا عجيبا، فقد عرفت الضرب والصفع والركل من والدتى ولأسباب من هذا النوع وربما لأسباب أتفه كثيرا.

وفى يوم أتيت معى بطعام وظللت واقفا بالقرب من هذه الخيام، وكان فى نيتى أن أقدم هذا الطعام إلى صديقى «حسان» إنه أحد الأطفال، أجده لطيفا وأجدنى حريصا على أن أجلس معه وأن نلعب معا، وكان يحدثنى عن الذى تفعله أمه بأبيه، قال إنها تضربه كثيرا، وقد أدهشنى ذلك فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى اسمع فيها أن أما تضرب أبا.

ولم يظهر حسان وألقيت بالطعام إلى الكلاب، وعدت إلى البيت حزينا، وسمعت والدتى وصديقات لها يتحدثن عن هؤلاء الناس، هؤلاء «الغجر» وكيف أنهم يسرقون الملابس والطعام والطيور وأى شئ.. ثم يحملون خيامهم ليلا ويذهبون إلى مكان آخر، فهم لصوص متجولون، وسمعت أحدا لايعرف من أين جاءوا أو إلى أين ذهبوا، إنهم هكذا يعيشون على الحدود، على حدود المدن، وعلى حافة المجتمع وعلى المسافة الضيقة بين القانون والخروج عنه.

هل لأنهم غجر هم لصوص أو هل لأنهم لصوص قرروا أن يكونوا غجرا أى أن يكونوا مجموعة من الناس تعيش معا وتهرب معاً، ولاتبقى فى مكان واحد حتى لايكتشف أمرها.. ويعاقبها الناس.

ولم أشعر لحظة واحدة بالضيق من هؤلاء الناس، أو بهذا الأحتقار لهم، إننى لا أوافق على أنهم يسرقون ولكن أجد فى أعماقى عذرا لهذه السرقات فأقول لابد أنهم محتاجون إلى الطعام ولو اعطاهم الناس ماسرقوا ولو كانت لهم بيوت ما سرقوا، ثم إنهم

ليسوا اللصوص الوحيدين، فالذين لهم بيوت يسرقون والذين يملكون الكثير يسرقون أيضا إننى لاأنسى فزعى يوم رأيت البوليس يلقى القبض على أحد أقاربى وكان ابن العمدة، أما تهمته فإنه قد ساعد عددا من الفلاحين على سرقة جواميس وأبقار! وسمعت وأنا صغير أن العمدة كان غنيا وأن هذا هو ابنه الوحيد!! وفى أول رحلة إلى أوروبا سنة ١٩٥٠ قرأت فى الصحف الايطالية أن ملكة الغجر قد ماتت ولم أفكر فيمن تكون، ولامعنى أن للغجر ملكة، ولكن ركبت القطار وذهبت إلى حيث بيتها وجنازتها ووقفت فى طابور المعزين، ونزلت الدموع من عينى، ووجدت من يسألنى!

من أى البلاد أنت؟ فقلت من مصر.. أى من غجرمصر!

ولاأعرف إن كان الرجل قد أدهشه ذلك ولكن كنت قد استسلمت لاحساس غريب فى أعماقى إنهم غجر وهم لذلك يثيرون العطف والحزن، لماذا؟ لم أفكر كثيرا فى ذلك!

واتجهت ادرس حياة الغجر، تلك الجماعات الضالة فى أوروبا شرقا وغربا ووجدت الأغلبية العظمى من الغجر يعيشون فى بولندا ورومانيا، وأن عددا كبيرا منهم يعيشون فى أسبانيا!

لقد كان بيتنا فى أطراف القرى.. وقد رأيت الذئاب والثعالب تعتدى على طيورنا ليلا.. وأحياناً سمعت من أمى أن اللصوص أيضا. لقد كنت أحس أننى اتعس حالاً من أبناء الغجر. فهم قادرون على السطو والسرقة والقتل. فالناس يخافونهم، وهم لا يخافون الناس.. أما نحن فقد كنا وحدنا فى أطراف القرى.. وحدنا فى

بيتنا.. هان امرنا على الناس وعلى الذئاب والكلاب.. ومهما اغلقنا الباب والشباك، فنحن فى خوف من أشياء كثيرة..

لم نكن جماعة من الناس يشد بعضنا ازر بعض.. وإنما كنا وحدنا.. أسرة صغيرة قلقة حائرة مصيرها ليس بيدها.. وحياتها ليست من اختيارها، بل لاختيار لها. عذابها فى أيدى الآخرين.. وإذا جاءها الليل. زادها فزعا.. وإذا انتقلت من الخوف الذى تعرفه، فإلى الهول الذى لا تعرفه.

وعرفت النظر إلى الأشياء والناس من بعيد. فكل شئ بعيد.. لأننى أقف وأجلس وأنام بعيداً عن كل الناس.

وعندما كبرت وعندما استقر رأسى على كتفى. ووجدت ماملأ به هذا الفراغ.. ووجدت مايميزنى عن غيرى من الصغار.

عندما تفوقت فى الدراسة، وعندما حفظت القرآن الكريم ونظمت الشعر أحسست أننى انتسب إلى فصيلة أخرى من الناس.. إلى طراز يعيش بعيداً. ومن الخير أن نكون كذلك لكى نرى أوضح ونسمع أصفى، ونفكر أعمق وليس ذلك سجنا انفراديا، ولكنها العزلة المقدسة.. عزلة الرهبان فى الأديرة والعلماء فى المعامل والزعامات فى القمم.. عزلة حيوان اللؤلؤ يفرز مادته الفضية وحده بعيدا عن بقية الكائنات البحرية.. وحدة دودة القز تفرز حريرها.. وحدة الجنين فى بطن أمه. وحدة علماء المراصد يعلقون عيونهم بين النجوم.. وحدة رواد الفضاء.. وحدة الفنان عندما يبدع

ويقول الفيلسوف الألمانى شوبنهور: قل لى كم ساعة تجلسها مع نفسك، أقل لك من أنت إن قلت نصف يوم من كل يوم كنت عبقرياً.. وان قلت لايوم فى أى يوم فأنت غير آدمى!

قرأتها فقلت ياأنا!

فنحن أولاد الغجر.. نحن الذين ننتسب إلى نوعية أخرى من الناس. نعيش بعيداً لنرى أقرب ونسمع أوضح نحن سلالة نوح عليه السلام.. أنه بعد (آدم) ـ أبو البشرية كلها.. وهو الذى حمل فى سفينته بدايات الحياة كلها.. (من كل زوجين) اثنين كما يقول القرآن الكريم. وكانت سفينة نوح وسط الطوفان خلية معزولة عن الحياة.. ولكن من هذه الخلية المنعزلة راحت الدنيا تضج بالحياة..

وأعجبنى من أبناء الغجر أن الناس يبررون سلوكهم وشذوذهم. اليسوا غجراً؟ اليسوا بلا جذور؟ اليسوا بلا حدود وسدود؟ ولاعلاقات عائلية أو قومية..

كأن الناس يحقدون على حريتهم وتحررهم فراحوا يتهمونهم بكل أنواع العيوب وعرفت أن الغجر ليسوا هكذا اشراراً، ولا الرهبان ولاالعلماء ولا الفنانين ولكنه حقد الناس على الذين ليسوا مثلهم، غارقين مثلهم فى قيود من صنعهم.. وفى عجزهم عن رفض هذه القيود.. ولذلك كان احتقارهم للغجر. ليس إلا حقدا عليهم. ولكن لأن الناس يخجلون من الحقد على هذه النوعية من الناس فإنهم قد قبلوا الحقد عليهم والغيرة منهم احتكاراً لهم.. فكان هذا التزوير لمشاعرهم الحقيقية تحية عظيمة للغجر.. لأن الناس يخافون أن يصارحوهم بما يشعرون به..

ولذلك مات!

مات الفيلسوف الألمانى الأصل الأمريكى الجنسية اليهودى هربرت مركوزه بعد أن تجاوز السبعين من عمره!

وهو فيلسوف لاشك فى ذلك فله اجتهادات كثيرة فى الفلسفة الماركسية وفى علم النفس وفى التربية والأخلاق والفن.

وهو ناقد حاد للمجتمع الرأسمالى الأمريكى. وهو أكثر قسوة عندما يتعرض لنظم الدراسة فى الجامعات الأوروبية والأمريكية وقد جاءت اراؤه الفلسفية ضمن دراسات صعبة شاقة.

ولكن لأن بعض هذه الآراء قريبة الشبه لما يدور فى رؤوس الشبان المثقفين فى العالم استراحوا إليه. ووجدوا اجتهادات فى فهم فلسفة الصين وفلسفة روسيا.. ثم وجدوا هجوما عنيفا على الطبقة العاملة فى العالم كله. وأن هذه الطبقة لم تعد المحرك الحقيقى لعملية التغيير والتقلبات فى التاريخ.. وأن الأمل كله فى الشباب وفى الطلبة بصفة خاصة.

هذه العبارة وحدها جعلت كتب الفيلسوف تضاعفت بمئات الألوف، وبالملايين.

وعندما ذهب مركوزه إلى جماعة برلين قبل موته بثلاثة أعوام سأله أحد الطلبة:

هل ماتزال تعتقد أن هناك أملا فى عمل شىء فى أوروبا وأمريكا؟

وكان رد مركوزه إننى أفهم سؤالك إن الذين علموك لم يعلموك كيف تسأل إن هذا السؤال ياسيدى ليس له معنى لأنه مادامت هناك حياة فهناك أمل.

والشباب هو الأمل فهذا مما يجب أن أوجهه إليك وليس على شكل سؤال ولكن على شكل قضية اضعها على كتفيك. أما وكل الذين ولدوا بعدى بعشرين عاما فلا أمل منهم ولاأمل بهم.

واندهش جدا هربرت مركوزه عندما وصفوه بأنه فيلسوف الشباب لأنه ليس شابا ولاهو يعبر عن روح الشباب وإنما هو فقط استطاع أن يقول ببرود مايقولونه بحرارة إنه استطاع أن يجعل لرصاصهم الطائش هدفا مؤكدا.

فقط هذه هى رسالتى المتواضعة.. هكذا يقول وهى ليست متواضعة فليس سهلا أن يحدد الانسان هدفه بوضوح ويجعل الطريق إليه واضحا مشرقا.

ويبدو أن مركوزه بعد أن اطمأن على أن صفحات من كتبه قد فهمت كما يريد قرر أن يطوى بقية الصفحات من حياته ومات!

زار.. زار

عندما يقرر أى انسان أن يعرض نفسه على طبيب نفسى، فلأنه تعبان جدا، ولأنه مقتنع بأن هذا الطبيب هو وحده الذى يستطيع أن يعيده إلى حالته أن يجعله يفكر بهدوء ويعمل بهدوء ولايصطدم بالناس ولاينظر إليه الناس على أنه انسان مجنون!

ولذلك فأول مايريده هذا الانسان التعبان هو أن يؤكد له الطبيب النفسى أنه فعلا تعبان، وأن كل الناس مثله. وأنه هو أعقل من معظم الناس. وبعد ذلك يجب على الطبيب أن يرفع الشعور بالحرج الذى بينه وبين المريض التعبان ـ والمريض هو المحرج عادة. ومن الضرورى أن يكون الطبيب رقيقا لينا واسع الصدر، وعلى هذا الصدر يجب أن يجد المريض مكانا لرأسه وأحلامه ومتاعب طفولته ورجولته. وأن يكون كل مايقوله الطبيب هو مخدات كاوتش دنلوب تتمدد عليه اعصاب المريض. وبذلك تنفتح نفس المريض ويقرأ الطبيب كل

متاعب هذا التعبان منذ ولدته أمه، إلى أن ساقته الظروف السيئة إلى عيادة الطبيب.

ولكن الذى يحدث فى بلدنا عجب! فمعظم الأطباء النفسيين عندهم عيادات مزدحمة بالتعبانين مزدحمة. نعم! وهذا أكبر غلطة فى حق المريض وحق الطبيب نفسه. فالمريض الذى يراه هذا العدد الكبير من الناس يحرجه ويعقده أكثر وأكثر. وإذا كان هذا العدد الكبير فى عيادة طبيب فمعنى ذلك أن الطبيب لن يكون عنده وقت لسماع أحد أو مناقشة أحد أو إعطاء الأمان لأى أحد. وهذا عيب يؤدى إلى تعقيد المريض: وهذا التعقيد يضاعف متاعب المريض فكأن الطبيب قد قرر أن يجعل مرضاه أكثر مرضا، وأن يجعل شفاءهم نوعا من المستحيل. ولكنهم فى جميع الحالات يجب أن يدفعوا.. الشئ الفلانى وهذا هو المهم!

وكنت قد سمعت عن طبيب كل مؤهلاته أن يكون ضابطا فى بوليس الآداب فنظرته هى تفتيش واتهام وادانة واهانة أى إذلال للمريض. وتعميق لشعور بالذنب عنده. وسمعت عن طبيب يشتم المرضى ويهدد بالضرب. أن «كوديه» الزار أرحم وأسلوبها فى العلاج ـ رغم أنها لاتدعى الطب ـ فهى لاتطلب أكثر من بعض الديوك البيضاء وبعض الفلوس. ولكنها تترك الناس يرقصون ويصرخون كأنهم شاهدوا الهدف الوحيد فى اخر دقيقة من مباراة دولية!

ثم يعود الناس إلى بيوتهم وقد استراحوا وإن كانوا يخجلون من أنهم حضروا حفلة زار. مع أن هذا الزار لايبعث على الخجل. ولكن هذا الطب النفسى هو الذى يبعث على الخجل.

حيوانات عاقلة !

نحن لانظلم الانسان إذا قارنا بينه وبين الحيوانات الأخرى إننا نظلم هذه الكائنات المسكينة لأننا نحتقرها ونتعالى عليها، مع أننا لاندرى حكمة حياتها.. ولابد أن تكون حياتها حكمة، وإلا فكيف استطاعت أن تعيش هذه الملايين من السنين، ولاتنقرض، وأن يتزايد عددها، وإذا كان الانسان قد عرف بعض حياتها، فهو لايعرف حياتها كلها ولاحياته هو، وإذا كانت الحيوانات لاتتكلم لغتنا فليس من الضرورى أن تتكلم لغة واحدة، فالناس لايتكلمون لغة واحدة.

فالخلافات بين الناس أقصى وأعمق من الخلافات التى بيننا وبين الحيوانات!!

وفى العالم اليوم اتجاهات علمية جادة تعود إلى مقارنة الأنسان بالحيوان وبالطيور،، وتميل إلى وضع الحيوانات فى مكان أعلى وأرفع، فالنحل هو أبو التعاون وانكار الذات،، والفراشات هى أمهات

التخصيب الصامت، ولولاها ماأثمرت أشجارالفاكهة ولا أشجار الحقل أيضا والوطواط هو ابو الرادار.. وجبلاية القرود هى نموذج للمجتمع السياسى وللقوة: الجسمية والجنسية.. والصرصار أبو الكلاكس والسمك أبو الغواصة!!

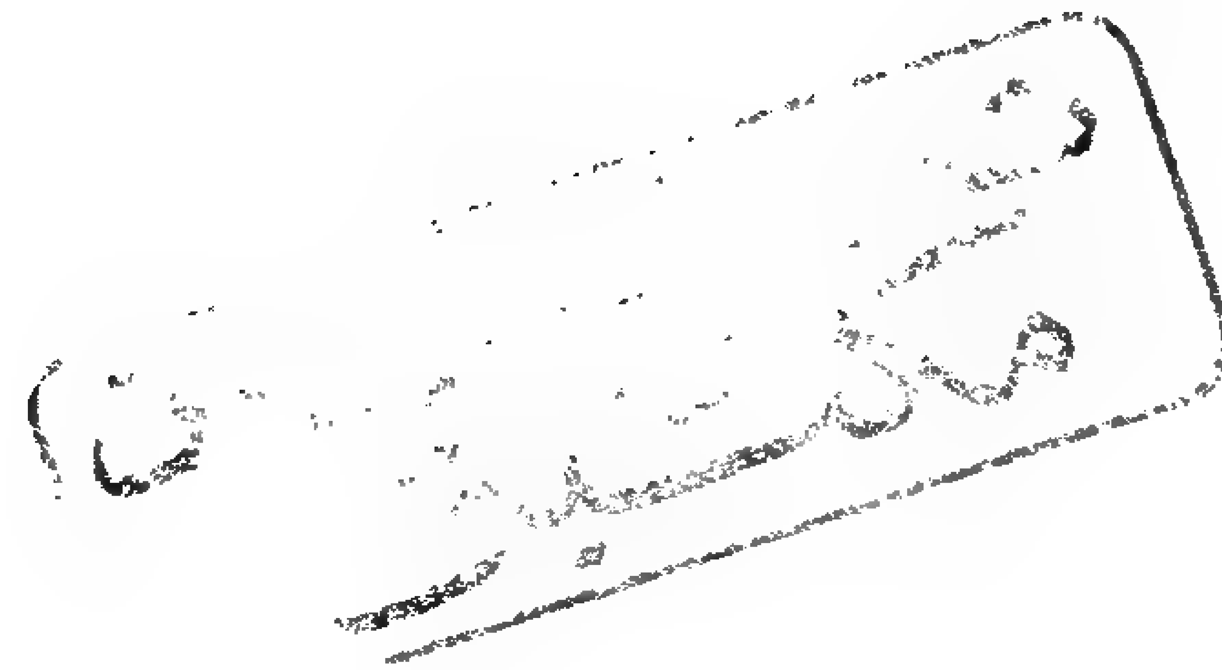
وقد أعجبنى كتاب أصدره عالم فرنسى عنوانه «أستاذى فى الغابات» أى أن اساتذته جميعا من الحيوانات فى أولى صفحات الكتاب تحية رقيقة بعث بها إلى الطائر المصرى أبو قردان، الذى إخترع الحقنة ـ أو على الأصح الذى اخترع الحقنة الذاتية ـ فهذا الطائر عندما يصاب بإمساك فإنه يملأ منقاره بالمياه ويفضل الماء المالح ثم يدخل منقاره فى مؤخرته ـ إنها أول حقنة فى التاريخ!!

والصفحات التالية أهداها لطيور أخرى فى أمريكا من بين هذه الطيور واحد اسمه: الميكانيكى فهذا الطائر يحدث أصواتا غريبة بجناحيه كأنه ميكانيكى صغير يحاول أن يدق مسماراً من الخشب فى جدار من الحديد، ويقع المسمار أو ينكسر ولكنه يعاود المحاولة.

هذا الطائر يضع لنفسه نوعاً من القطرة فى عينيه... وذلك بأن يذهب إلى إحدى الأشجار ويمرر جناحيه فى أوراقها المغطاه بمادة مخاطية بيضاء ثم يذهب إلى الماء ويمسح بجناحيه على الماء ثم يضع رأسه تحت جناحيه وينتظر قطرات الماء فى عينيه، ويحرك رأسه فى جناحيه بعض الوقت.. ثم يغسل عينيه.

وقد اكتشف الأطباء أن هذه القطرة الطبيعية هى أحسن ما اعرف الإنسان.

وغير ذلك من الحكمة الحيوانية كثير جداً.. وكلها لاتبرر غرور الانسان.. فما أقل ما نعرفه عن أنفسنا وماأندر مانعرفه عن غيرنا من الحيوانات!



قرد أنيق

تقلد المرأة الموضة مهما كانت لا تناسب جسمها أو سنها أو لونها أو مجتمعها .. والموضة الجديدة التى تجعل الفستان فوق الركبة بعشرة سنتيمترات سوف تنتشر فى أوروبا وامريكا.. وأول من يمشى وراء التقاليع عادة نوعان من النساء: الفتيات الصغيرات والارتستات أو المشتغلات بالفن.أما بقية النساء العاديات فيترددن عادة وعندما ظهرت موضة الفستان الطويل أو «النيولوك» الذى ينزل تحت الركبة فى عام ١٩٤٧ (من تصميم كريستيان ديور) ترددت صاحبات السيقان الجميلة فى ارتدائه. وسارعت ذوات السيقان الملتوية، واخيرا توارت السيقان الجميلة ايضا.. أنها حتمية الموضة! ولما ظهرت موضة الشوال او «السك» ترددت صاحبات الخصور الصغيرة وسارعت صاحبات الارداف. ولم يمض وقت طويل حتى كان الشوال قد التف حول كل الاجسام من كل المقاسات فى كل

الدنيا.. إنها حتمية الموضة.. أو حتمية الحل الاناقى .. للمشاكل الجسمية!

ومنذ القرن الرابع عشر ونساء أوروبا يمشين وراء فرنسا .. منذ لويس الرابع عشر بالذات أصبحت باريس ينبوعا دائما للاناقة، فقد كانت النساء فى ذلك الوقت يتنافسن على الملك وعلى الامراء، وذلك بالمنافسة فى تضييق الفساتين وتعرية الصدور وتغطية الرأس!

وإذا كانت الموضة فى الثلاثينات قد اهتمت بمظهر المرأة فوضعت الأحزمة والوردة والكرانيش، فإن الموضة بعد الحرب العالمية الثانية قد اهتمت بصدر المرأة وتعريته.. فظهرت على الشاشة صدور عالية عارية لجين راسل وجينا لولو بريجيا وصوفيا لورين وكلوديا كاردينالى.. حتى اهتمام المرأة بصدرها جعلها لا ترضع اطفالها.. مما أدى إلى انتاج الألبان الصناعية على أوسع نطاق.

أما الآن فقد اتجهت الموضة إلى الساقين والركبتين.. ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بخط سير الموضة بعد ذلك..

ولكن من المؤكد أن هذه الموضة الأخيرة ليست جديدة.. إن سنوسرت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة يرتدى زيا يعلو الركبة بعشرين سنتيمتراً!

بعيداً عن الفضيحة

ظاهرة ليست غريبة أن عدداً من كواكب السينما يبعثن بأولادهن وبناتهن إلى المدارس الأجنبية أو إلى الخارج.

ولكن لماذا؟

كانت الكواكب تفضلن المدارس الأجنبية لأن هذه المدارس «اجنبية» عن البيئة المصرية. وبذلك يكون الابن بعيدا عن مصر.. كأنه من دولة أجنبية بعيدا عن الأم وتصرفات الأم الشخصية وأعمالها الفنية.

فالابن لا يحاسبه أحد على مافعلته أمه، فلا يضطر إلى الدفاع عن نفسه ولا يكون عدوانيا ثم ينتهى به الأمر إلى أن يكره أمه التى تسبب له كل هذه المضايقات.

ولكن المدارس الأجنبية الآن لم تعد أجنبية إلى هذه الدرجة ففيها الآن كل عيوب ومزايا المدارس المصرية.

ثم إن الابن ليس فى إمكانه أن ينعزل تماما عن أمه وجو أمه وأعمال وانفعال أمه ـ وهذه عقوبة الشهرة التى تصيب الفنان فى عزيز لديه. ولأن المدارس الأجنبية لم تعد أجنبية «بدرجة كافية» فإن النجوم والكواكب يبعثن بأولادهن إلى الخارج بعيداً تماماً عن العيون التى تحاسب الابن على ما تفعله أمه..

ومن المؤكد أن الأم لا تحب لابنها أو لابنتها أن تعمل مثلها.. فى نفس المجال أو فى نفس الفن، وهذا يدل على أن الأم لا تحب «الوسط» الذى تعيش منه وتعيش فيه. ولا تريد لابنتها أن تتعذب كما تعذبت هى وأن تضطر إلى أن ترضى بأشياء كثيرة رغم أنفها ورأسها وشفتيها وقلبها.

ولذلك فالأم تبعد إبنتها أو إبنها عن الوسط إلى أقصى درجة ممكنة .. إلى بلاد أجنبية حتى يصبح هو «أجنبيا» فإذا عاد إلى مصر يعود وقد طبع على جو آخر وبيئة أخرى، فإذا أقام فى مصر يكون قد تحصن بأخلاق وعادات أخرى ويصبح قادرا على أن يواجه من يحاسبه على ما تقوم به أمه فى الحياة وفى الفن. وهذا معناه أيضا أن نجمة الفن قررت أن تخفى إبنها أو إبنتها عن الناس حتى تكبر. فإذا كبرت أو كبر كان مواطنا من نوع آخر ـ لا يهم ـ المهم أن يعيش وأن تعيش هى أحسن وأفضل!

أيهما .. الحرب ؟

ما الذى تشعر به وأنت تتفرج على فيلم عن الحرب العالمية الثانية أو الأولى أو حروب التحرير؟

أنت أمام قصة مدروسة محبوكة مركزه، أو بعبارة أخرى: كل شئ فيها مكثف، فوقت الفيلم قصير والاحداث كثيرة والمتفرج مشدود وهذه الشدة النفسية يجب أن تنفرج فى النهاية فإذا انفرجت كان هذا هو الثمن الذى يتقاضاه كل الذين اشتركوا فى التصوير والتمثيل والاعداد والاخراج والانتاج.

ولكن الشاشة التى ترى عليها أفلام الحرب، ترى عليها أيضا أفلام رعاة البقر والعصابات وكلها مصنوعة بدقة وبراعة.

وكلها تمثيل فى تمثيل.. فلا الذى اصيب مات حقا، ولا الذى مات لن يظهر فى فيلم آخر أو ينهض بعد أن تتحول عنه الكاميرا.

فأين ـ اذن ـ الحقيقة وأين التمثيل ؟

أين التاريخ وأين النكتة؟

من المألوف جدا أن تتفرج على الأفلام وأنت تأكل وتشرب. وأن يجلس إلى جوارك اطفال صغار دون خوف لا هم خائفون ولا أنت خائف عليهم من الخوف فأنتم جميعا تتفرجون على حدوتة مثيرة، وتنتهى الحدوتة مع الأكل والشرب وظهور اعلانات عن المأكولات والمشروبات والاغانى وكلها مثل امواج البحر، بعضها يمسح البعض الآخر. ولا نهاية للامواج ولا نهاية للأفلام والاعلانات والاغنيات يوما بعد يوم.

فإذا كان الغرض من هذه الأفلام هو «تبشيع» الحرب ـ إذا صحت هذه الكلمة فإن احدا لا ينظر إليها كذلك وإذا كان الغرض هو هز مشاعر الناس حتى لا تصبح حياتهم مملة، فإن هذا الهز المستمر مثل الصراخ المستمر يسد الاذان ومثل تناول الشطة يجعل اللسان يفقد الإحساس بها وبأى طعم آخر، وكذلك هذه الأفلام لا تجعل الناس يكرهون الحرب والدم والعنف، إنما يطلبون المزيد منها.

يطلبون الجديد من الأفلام المثيرة المشهية: أى التى تفتح الشهية إلى الأكل والشرب والنوم بعد ذلك انتظاراً لأفلام اخرى!

..لا حل!

اعرف ما يقوله علماء النفس عن الشخص فى مثل حالتى. اعرفه جيدا.

فى مثل هذا اليوم توفيت والدتى ـ يرحمها الله ويسكنها فسيح جناته ـ فهى تستحق كل رحمة وكل نعيم.

ولكننى منذ ذلك الوقت لم يمض يوم الا بكيت عليها. فلا أكاد اجلس وحدى حتى تغرورق عيناى بالدموع. ولا يمضى اسبوع دون أن اذهب إلى قبرها، وقبرها هو قطعة الأرض الوحيدة التى املكها فى هذه الدنيا. وعندها ينتهى كل نزاع.ولا يمكن أن ينازعنى فيها او عليها احد. حيا أو ميتا.

ومن الغريب اننى كثيرا ما توقفت فى الطريق اليها، لأن الدموع التى فى عينى تمنعنى من قيادة السيارة. وقد حدث اكثر من مرة ان رآنى صديق وسألنى إن كنت فى حاجة إلى مساعدة. فاقول: لا..

شكرا. مع اننى فى حاجة إلى مساعدة. ولكن من الذى يستطيع ان يساعدنى على نفسى، على شئ فى أعمق اعماق نفسى..

وقيل لو كان لك أولاد ما بكيت على أمك كل هذا البكاء.. وذهب صديق إلى أن حبى للقطط هو نوع من الرفق فائض الحنان. ولكنى لا احب القطط. وقد مات أمامى اكثر من قط. وتضايقت. ولكن الموت نهاية كل حى: القط وصاحب القط.. وقيل أيضا ان عندى فراغا عاطفيا وان هذا الفراغ سببه وفاة والدتى. وان هذا الفراغ لا يمكن أن يملأه أو يسده شئ واحد.. أو اهتمام بأية قضية فكرية او عاطفية او اجتماعية او سياسية..

اذن ما هو الحل؟!

لا حل.. وكثيرا ما ناقشت نفسى.

صحيح ما الذى ابكى عليه.. ما الذى فقدته ولا امل فى تعويضه. ما الذى كانت تفعله فى.. اننى لم اكن اراها كل يوم.. وإنما كنت أراها مرتين او ثلاثا كل شهر.. وان كنت اسمع صوتها كل يوم..

إن أمى هى تاريخ حياتى.. فهى التى تعذبت ومرضت وضحت بالكثير من أجل أن اواصل تعليمى.. ولم يكن هناك امل كثير فى ان افعل ذلك.. ان أمى لا تعرف بالضبط ما الذى أفعله. وإن كانت تسمع من الناس ماذا اكتب او ماذا اقول أو يقال عنى..

ولكن ليس من الضرورة أن تشغلها كل همومى.. فأنا كل همومها.. ولم أكن ـ شكرا لله ـ هما لها أو عبئا على قلبها أو عقلها..

ان شيئا فى داخلى قد انفجر عليها.. ان قوة خفية تعصرنى عصرا.. وأنا أعلم تماما أنه لا احد يعود، وأنه لا فائدة من البكاء، وان الاحياء اتعس حالا من الأموات.. وانه من الأجدر أن نبكى على انفسنا: نبكى على المعنى الذى لا نجده فى حياة أو فى كفاح أو فى حب أو كره أو مال أو ولد أو أم أو أب .. ولكنى لا اعرف ما الذى ابكيه، ابكيها.. أو .. ابكينى..

لقد تمنيت من الله ان تموت أمى قبلى بيوم اوبساعة.. حتى لا تتعذب لها روح أو يهان لها جسد. وقد استجاب الله لدعائى.. فشكرها لله وليرحمها الله وليرحمنى من بعدها آمين..

هناك قانون!

لا ألوم رجل الشرطة فى شارع الجيزة، فقد رأى شابا يطلق حجرا على طائر أبو قردان.. سقط الطائر وراح يزحف إلى جوار الحائط .. ولابد أنه مات بعد ذلك بقليل.

أما رجل الشرطة فهو لم يفعل شيئا ولعله يكون قد استنكر ما فعله الشاب.. ولكنه لا يستطيع أن يذهب فى انفعاله إلى أبعد من ذلك فهل من حقه مثلا ان يعتقل شابا ويسحبه إلى مركز الشرطة لأنه قتل طائرا للفلاح.. إنه لا يعرف أن كان هناك قانون يمنع ذلك.. أو خشى أن يترك العمل المكلف به ويتطوع لشئ آخر ليس من اختصاصه، أو لعله يتوقع أن يسخر منه زملاؤه فى مركز الشرطة فيقول له الواحد منهم: يا سلام ايه العواطف الرقيقة دى.. بقى أنت جاى هنا وسايب شغلك علشان حته عيل موت أبو قردان.. امشى اطلع بره.

لا اعرف أن كان هذا قد حدث قبل ذلك ولكن لا استبعد أن يحدث بعد ذلك وأنا لا انسى أن استاذاً للأدب الإنجليزى فى كلية الآداب من ثلاثين عاما أو اكثر استوقف احد العربجية فى شارع سليمان باشا، أيام كان مسموحا للعربجية بالسير فى هذا الشارع وأصر على أن يأخذه إلى القسم.

والتف حوله الناس: أيه يا خواجة.. جرى أيه خواجة.. صلى على النبى يا خواجة.

ولكن الخواجة أصر على الذهاب إلى القسم.. وتزاحم الناس ومن بينهم رجال الشرطة ليعرفوا أن سبب غضب الخواجة هو أن العربجى كان يضرب الحصان بعنف مع أنه لا يوجد سبب وجيه لذلك..

ومن الممكن أن يقال للخواجة: يا أخى أنت مالك.. عربجى وبيضرب الحصان بتاعه واحد مربى دقنه وانت تعبان ليه.. واحد حلق شنبه وأنت متضايق ليه؟!

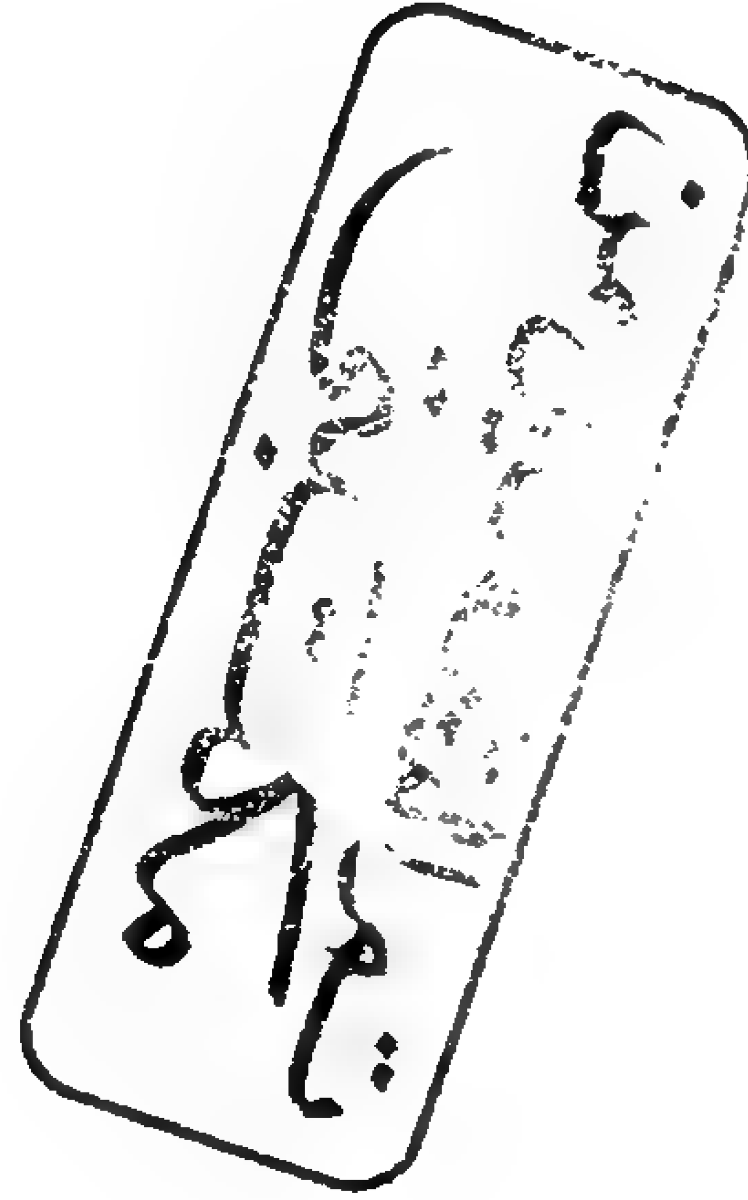
ولكن أين الرحمة بالحيوان.. أين الشفقة بالطيور.. فهناك قوانين فى العالم تطلب الرحمة بالضعيف.

وهذا الحيوان ضعيف.. وهذه القسوة يعاقب عليها القانون ويجب أن يعاقَب عليها. ولذلك تحمس هذا الأستاذ واصر على أن يأخذ العربجى إلى القسم.

أما الباقى فلا يختلف كثيرا عن الذى من الممكن أن يحدث لرجل الشرطة لو ذهب يشكو من قتل طائر أبو قردان.

وخرج الأستاذ من القسم أكثر أسفا مما دخل.

وهناك قانون يعاقب على قتل كل الطيور الصديقة للفلاح.. ولكن أحدا لا يعرف وإذا عرف فإنه مع الأسف لا يفعل ولا ينفعل لشئ!



التجربة

عرضت نفسى على أحد الأطباء فى ألمانيا، سألنى عن شكواى فرويت له قصة طويلة أعرفها. وهى تبدأ عادة بأن أقول له إننى ريفى مصرى، أصابتنى الدوسنتاريا والانكلستوما، وأنا صغير وعولجت منها فى ذلك الوقت، ولم أصب بها بعد ذلك.

والدكتور يهز رأسه ويتابع مضاعفات هذه الأمراض، ثم يضيف إليه من عنده تجاربه مع المصريين والشرقيين الذين يتمددون أمامه للكشف عليهم وعلاجهم بعد ذلك إن أمكن.

وبعد ذلك بدأ الفحص العادى.

وطلب منى أن أجلس وأن أحدثه عن الأطعمة التى آكلها فى مصر وليس من بينها الاسراف فى الدهنيات أو اغراق الأطعمة بالسمن أو وضع الشطة أو الفلفل أو حتى الملح فى أى طعام.

أما عدد أكواب الماء التى أشربها فهى كثيرة فى نظره ـ رغم أن الماء الذى أشربه فى اليوم الواحد يعادل ما يشربه أى طفل ألمانى من البيرة على الغداء أو العشاء أو الافطار، هذا صحيح ولكن كمية الطعام التى آكلها ـ وكذلك كل مصرى ـ تعادل ما يأكله أى رجل ألمانى فى أية سن!

وسألنى إن كنت ادخن؟

فقلت: لا أدخن، وطلب منى أن أذكر بعض العقاقير التى اتناولها قبل واثناء وبعد الأكل، ويبدو أنها عقاقير معروفة.

وسألنى عن الكبد والمرارة والبنكرياس ولم أعرف ما الذى أقوله، وطلب منى أن أمشى فى الغرفة.

ووقفت ومشيت ولاحظت أن حذائى واسع اكثر من اللازم، وأنه يكاد يهرب من قدمى.

فقلت له: أفضل الأحذية الأوسع من قدمى، إننى استخدم ما يريحنى ولا يهمنى إن كان يليق أو لايليق.

وقال الطبيب: الآن عرفت علاجك.

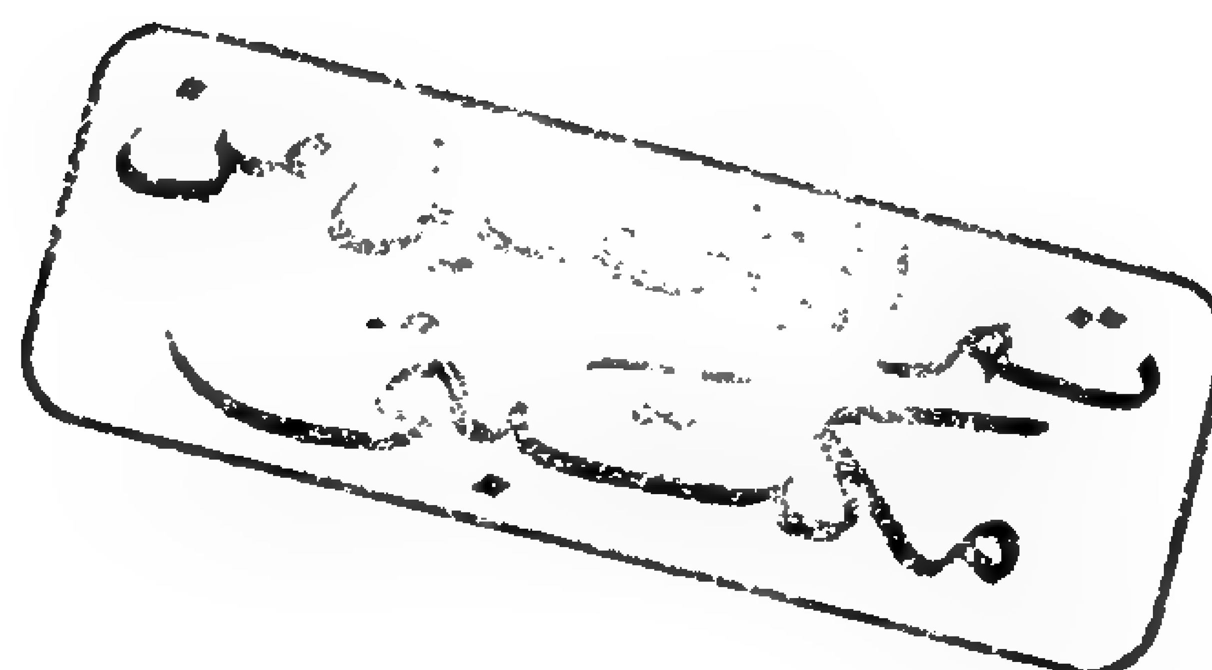
وقبل أن أدعو له بالصحة والعافية والنجاح وأن يبقيه الله لأبويه ولأولاده قال:

علاجك المشى.. والمشى.. والمشى..

ونزلت من عيادة الطبيب إلى الفندق.. إلى الصحة!

ولو عرف الذين يفوتهم الأتوبيس أو الذين لا يقف لهم التاكسى أن أمامهم فرصة ذهبية لن يعرفوا قيمتها إلا فيما بعد، ما غضبوا ولا لعنوا الحياة، فالمشى أحسن دواء لكل داء.

اسمعها منى عن تجربة!



العصر الحديث

الكاتب المصرى ـ أى الفرعونى ـ نعرف صورته جميعا، إنه رجل جلس مقرفصا، وهو ينظر الينا كأننا نلتقط له صورة وهو لا يكتب فليس من الضرورى أن يمسك الإنسان قلما لنعرف أنه يكتب أو يضع أذنه على راديو لنعرف أنه يسمع.

ولكن الكاتب المصرى كان شخصية مهمة جداً فى حياة مصر ولابد أنه كان أمل كل أب أن يكون ابنه كاتبا أو كاهنا وان كان الكهنة كتبة فى نفس الوقت.

وأصبح الكاتب الآن هو الذى يكتب المقالات فى الصحف أو يؤلف الكتب وفى نفس الوقت هو الذى يمسك أى قلم ليكتب أى شئ.. ولذلك كنا حريصين فى العصر الحديث على أن نفرق بين كاتب ـ أديب ـ وكاتب حسابات، فنقول كاتب: وجمعها كتاب.. وكاتب: وجمعها كتبة!!

ومن أهم معالم العصر الحديث: الإدارة.. التى يقوم بها الذين يجلسون على المكاتب وهم فى نفس الوقت اكبر عقبة. فالذين يديرون قادرون على أن يعطلوا، تماما كما نقول أن المواصلات مرفق هام.. هام جدا اذا وجدناه خطيراً جدا إذا عطلناه..

ومن مشاكل العصر هؤلاء الكتبة الذين يجلسون إلى مكاتبهم ويركنون الأوراق أو يكدسونها أو يعطلونها أو يضيعونها، أو ينامون تحت أثقالها . وأصبح الكتبة هم نموذجا للخلل الأدارى.

ولذلك فالعلم الحديث يحاول أن يتخلص من «الإنسان ومن متاعب الإنسان وعيوبه بقدر الإمكان. فالعقول الالكترونية و«التوجيه عن بعد» والسير نظيفا كلها محاولة من الإنسان لابعاد نفسه عن سير العمل لكى يمشى العمل اسرع وأدق.

ولابد أن العلم الحديث فى المستقبل سوف يعتمد على الأجهزة الدقيقة السريعة، حتى لا يعطله الإنسان.. حتى لا يكون ضحية للجالسين إلى المكاتب.

وحتى نصل إلى ذلك اليوم لابد من توسيع شرايين العمل بين إدارة وإدارة.. أو بين هيئة وهيئة.. وان تزيل رواسب البيروقراطية ـ أى الخلل المكتبى الروتينى بينهما.

فالكاتب المصرى يجب أن يقف وأن يتحرك فليس من المعقول أن يظل طول الوقت جالسا كأن الدنيا من أولها لآخرها ثلاثة أنواع من الناس: كتبة جالسون القرفصاء ومصورون متربصون لهذا الكاتب واصحاب مصالح لا يجدون من ينجزها لأن الكاتب مشغول بالمصور والمصور مشغول بالكاتب.

أن تنظيم الإدارة وحل عقدها املنا الطويل.. ولكن هذا الأمل لن يتحقق إلا بنا.. نحن الذين يجب أن نساعد القوانين الجديدة. ولذلك نساعد انفسنا.. ونساعد دولتنا التى زادت همومها واعباؤعها.. ونحن اقسى أعبائها!



والله أعلم

الفنان الكبير يوسف وهبى كان قد رأى فى حياته عجائب المخلوقات. فهو قد رأى رجلا يخرج يده من النافذة ليأتى بدجاجة مشوية على طبق ساخن نار. وفى الطبق شوكة وسكينة وملعقة وورقة عليها الحساب. وبعد أن يفرغ من طعامه يلقى بالطبق من النافذة وكذلك الشوكة والسكينة.

أما الحساب فإنه يلقى بالجنيه من النافذة.. ثم يعود غيره إلى الهواء ويأتى ببقية الحساب.

ويقول يوسف وهبى إن هذه الواقعة قد سمعها من محمد باشا محمود.. أحد رؤساء الوزارات السابقين وسمعها كثيرون أيضا.

ولقد قال لى توفيق الحكيم إن مسرحية «يا طالع الشجرة» قد استمد بعض وقائعها من شخص آخر غريب مثل هذا الذى تحدث عنه يوسف وهبى.

فقد كان هذا الرجل يركب القطار بلا تذاكر فإذا جاء الكمسارى فإن الرجل يمد يده فى الهواء ويأتى بالتذكرة له ولعشرات غيره من الناس إذا أرادوا وكان الكمسارى يقف مذهولا . ثم يقلب فى التذكرة ويجد أن كل شئ فيها صحيح: الورق والحروف والأرقام.. ولكن لابد أن يدفع ركاب القطار ثمن التذكرة وثمن الأكل وثمن الفاكهة وثمن أى شئ يطلبونه من هذا الرجل الغريب.

ومنذ فترة صدر كتاب للأديب الكبير أرثر كيستلر المجرى الأصل الانجليزى الجنسية يقول إن رجلا هنديا جاء لزيارته ولم يكن واضحا فى الدقائق الأولى من اللقاء أن هذا الرجل يعرف عن هذا الأديب شيئاً.

انما فقط اراد أن يبهره أو يضيف إلى معلوماته شيئا منطقيا أو فوق المنطق وكان الأديب الكبير يبحث عن كراسة قديمة كتبها وهوفى العشرين من عمره ولم يعثر لها على أثر..

ولكن الرجل الهندى مد يده فى الهواء وأتى بها.. وقلبها كيستلر وهو لا يصدق ما يرى .. نفس الورق.. نفس الخط.. وكان مبهورا سعيدا وامتدت يد الرجل الهندى والقى بها فى الهواء.. واختفى هو ايضا..

وسأله الأديب الكبير: أين ذهبت الكراسة؟

فأجاب الهندى : إلى مكانها فى إحدى قرى المجر..

وكان حديثهما فى لندن..

والله اعلم..

خمسة سطور !

إذا كان يهمك ما سوف يقوله الناس عنك بعد ذلك فمن الأفضل ألا تنشغل كثيرا بذلك فالناس الذين سوف يقولون رأيهم فيك بعد عمر طويل أنت لا تعرفهم ولا تدرى إن كانوا منصفين أو ظالمين أو كان لديهم من الوقت لكى ينصفوك وهم مظلومون أو يخلدوك وهم ضائعون أو يرفعوا الطين الذى على رؤوسهم ويضعوك.

فأنت تجد فى دائرة المعارف أن الفيلسوف العظيم فلان الفلانى قد ولد سنة كذا ومات بعدها بسبعين عاما.

وكان مثيرا عنيفا وأحبه الناس وله ستة من الأولاد.. انتهى كل ما يمكن أن يقال عن رجل عاش هذه الفترة الطويلة وآثار وامتع الناس وانجب أولادا لهم حياة معه وبعده. ثم مات انتهى.

وقد انشغل بعض المفكرين بما سوف يقوله الناس بعد وفاتهم ولذلك فضلوا أن يسبقوا الناس إلى هذا الكلام كتبوا مذكراتهم

وتاريخ حياتهم ونشروه وهم أحياء حتى لا يعطوا لأحد فرصة أن يقول عنهم ما يشاء.

وبعضهم نشر نعيه قبل وفاته مثل برناردشو.

ووفر على الناس أن يمشوا فى جنازته واكتفى بدعوته بعض الحيوانات التى احبها فلم يأكل لحمها..

وبعضهم كتب على قبره.. لم يمت ولكن دفن حيا..

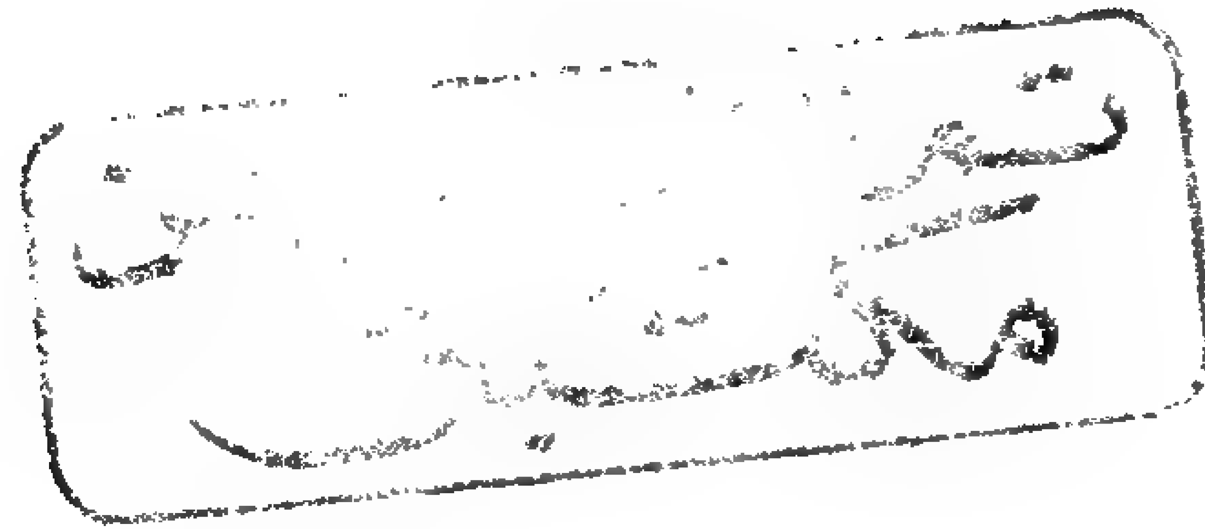
أو كتب على قبره يقول: ولد يوم 3 أغسطس ومات يوم ١٢ أغسطس وعاش قبل ذلك أربعين عاما.

ولما مات كتب أقاربه أيضا أنه مات بعد هذا التاريخ بأربعين عاما أخرى.. أى أنه عاش فقط تسعة أيام هى التى يمكن أن تسمى عمرا حقيقيا.

وفى كتاب عربى قديم نشره د. حسن حبشى بعنوان أنباء القمر بأنباء العمر من تأليف العسقلانى يقول عن أحد رجال الدين: اسمه محمد عبدالله بن عمر بن يوسف المقدس الحنبلى المعروف بابن الملكى شمس الدين ولد سنة 751 هجرية وتفقه قليلا ولازم مجلس القاضى شمس الدين بن التقى وولى رئاسة المؤذنين بالجامع الأموى وكان من خيار الناس جهورى الصوت حسن الشكل طلق الوجه منور الشيبة مات بعد أن أصيب بعدة أولاد كانوا اعيان البلد فى التجارة والوسامة فماتوا بالطاعون.

هل عرفت كم نصيب الرجل وما الذى اصابه بعد ذلك فى حياة استغرقت تسعين عاما خمسة سطور؟؟!

مع أن لهذا الرجل ولملايين الرجال الاخرين حياة أطول واعرض واعمق ولكن الذين من بعده ومن بعدنا ليس عندهم وقت ولا صبر.. ولا رحمة!



ضوضاء

أول ما يلاحظه السائح الأجنبى فى القاهرة أن بها الكثير من الضوضاء والتراب. وأنا أختلف مع السائح الأجنبى فى التراب. فالتراب عندنا يشبه الهباب فى كل الدول الصناعية فى أوروبا. وإن كان المطر يغسل الجو أحيانا ويغسل الشوارع فى معظم الوقت، ولكن التراب الذى عندنا شئ آخر.. إنه ذلك الشئ الناعم الذى نجده فى الشوارع وعلى الأرصفة.. وفى الأيدى وفى الطعام.. والذى نراه أحيانا على شكل حجارة وطوب وزبالة.. وأحيانا نجده عمقا على شكل حفر فى الأرض.. وأحيانا بارزا على شكل دمامل أو أورام خبيثة فى الميادين..

وقد أصبح التراب عندنا من أهم التقاليد الشرقية العريقة مثل: القضاء والقدر.. والتواكل.. وانتظار اليوم الذى تمطر فيه السماء ذهبا وفضة فلا يتعب أحد بالعمل، أو لا يرهق الإنسان نفسه بالأمل..

أما الضوضاء فهى تلك الأصوات التى تنطلق من كل سيارة وكل نافذة.. وكل ميكروفون بمناسبة انتقال أحد إلى بيت الزوجية أو إلى الدار الآخرة.. فالانتقال من حالة إلى حالة يجب أن يكون مدويا.. ولا يهم أبدا إن كان ذلك على جثث المرضى أو الطلبة أو النائمين.

ونحن بعد أن جربنا عدم استخدام اجهزة التنبيه فى شارعين أو ثلاثة فى القاهرة، لا نذهب إلى التوسع فى التجربة فنلغى أجهزة التنبيه فى كل العاصمة. لماذا؟ الله وحده يعلم.

وهكذا ننتهى آخر الأمر إلى أن القاهرة ـ فعلا ـ هى مدينة الهباب والضوضاء تماما كما يراها أى سائح أجنبى. ونندهش مثله تماما لماذا هى كذلك ولماذا لا تكون مثل كل العواصم أو المدن الأخرى فى العالم والتى تراها مئات الألوف من المصريين وفى مقدمتهم كل رجال المحافظة والمرور والأمن العام.

وفى نفس الوقت نحن نعلم علم اليقين أن الذى حدث فى مدينة اثينا من نظافة ونظام من الممكن أن يحدث فى القاهرة. ويكون هذا رأينا عادة ما دمنا خارج مصر، فإذا وصلنا إلى مصر تغير كل شئ بقدرة قادر.

وأصبح من رأينا أنه يستحيل أن ننقل الهرم أو المقطم.. أى كل شئ يجب أن يبقى على ما هو عليه: التراب فى كل فم والضوضاء فى كل أذن!

مرصد هابل!

المرصد الفلكى المدارى هابل وكان قد أطلق من سبع سنوات ودار حول الأرض حوالى الف مليون كيلو متر. وهذه الأجهزة الذى يقوم رواد الفضاء بخلعها هى أجهزة كبيرة وضخمة ودقيقة. ولكن ظهرت على الأرض أجهزة اكثر تطورا وابعد نظرا ولكى يطول عمر هذا المرصد الفضائى فإنهم عدلوا مساره وابعدوه عشرات الكيلو مترات عن الأرض. فقد لاحظوا أن مداره بدأ يهبط.

وهذا المرصد قد زاره رواد الفضاء من ثلاث سنوات وادخلوا عليه تعديلات لنظاراته التى يرى بها ابعد التكوينات الفلكية فى الفضاء حتى التى تبعد عنه ألوف ملايين السنين وقد سمى هذا المرصد باسم الفلكى الأمريكى ادوارد هابل الذى توفى سنة ١٩٥٣ وولد فى السنة الشهيرة التى ولد فيها العقاد وطه حسين والمازنى وعبدالرحمن الرافعى وشارلى شابلن وهتلر ونهرو وغيرهم من العظماء ومن الفلاسفة وهى سنة ١٨٨٩ .

هذا الفلكى الأمريكى هو الذى اكتشف أن فى الكون الوف الملايين من المجموعات النجمية التى تسمى السدم أو المجرات كما أنه اثبت أن الكون لايزال منذ نشأته يتمدد ويتراجع فى كل الاتجاهات أى أن الكون ينطلق بسرعة هائلة من حوالى ١٢ ألف مليون سنة ولم يتوقف عن الانطلاق. طبعا يصعب علينا أن نتصور كم هو متسع هذا الكون أو كم هو اتساع هذا الكون وهل هو الكون الوحيد أو أن هناك ملايين الملايين من الأكوان الأخرى.

فقد ذهب رواد الفضاء وعادوا بعد أن أدخلوا تعديلات مهمة جدا فى العقول الالكترونية والعدسات واجهزة التحليل الطيفى والحرارة والرطوبة والضغط والجاذبية كما أنه من المتوقع أن يرسل إلينا هذا المرصد الفضائى ابعادا واعماقا جديدة من هذا الكون..

طبعا نحن لا نملك إلا أن نكرر ونردد ما يقوله العلماء ونحن لا ندرى بالضبط عن أى شئ يتكلمون فإذا قالوا إن الكون اتسع فنحن لا نعرف ما هو الآن وما الذى صار إليه وإذا قالوا إن الكون يتراجع أو يتقدم أو ينكمش أو يتحلل أو يتخلف فنحن لا ندرى بالضبط ماذا يقولون ولكننا لا نملك إلا أن نحاول أو نتصور.

وهذه المعلومات التى تلقاها المرصد هابل وسوف نتلقاها من جديد هى عن أعماق أعماق هذا الكون. وأمل العلماء هو أن يعرفوا بالضبط متى خلق الله هذا الكون. طبعا نحن لا نعرف كيف كان هذا الكون قبل الخلق ولا نعرف إلى متى يظل هذا الكون ومتى ينتهى! ان الكثيرين من العلماء المعاصرين يرون أن الكلام عن نشأة

الكون ونهاية الكون هو كلام البشر أو كلام سكان الأرض الذين يولدون ويموتون. ولكن قوانين الإنسان وقوانين الأرض ليس من الضرورى أن تنطبق على الكون ومعنى ذلك أن هذا الكون لا أول له ولا آخر ولا بداية ولا نهاية ولا نعرف كيف بدأ ولا نعرف كيف ينتهى فإن كل يوم يمر يولد شئ جديد ويتجدد القديم ونجوم تبتلع بعضها البعض ونجوم تتوالد إلى ما لانهاية وإلى ما شاء الله!

النتيجة أهم!

مثل كثير من الناس تزوجا بعد قصة حب، ولم تكن هذه القصة طويلة ولا عريضة وإنما كانت قصيرة عميقة ولذلك كانت النتيجة مفاجأة لهما وللذين يعرفونهما ولكن النتيجة السعيدة تبرر كل المقدمات الأخرى غير المعروفة أو غير المفهومة أو التى لا يقتنع بها الناس، والناس عادة لا يقتنعون بشئ. ولكن وضع الناس أمام الأمر الواقع هو الذى يقنعهم، لأن الناس ليس عندهم وقت للتفكير، وليست عندهم قوة قاهرة كما نتوهم، وإنما الناس عيون وألسنة فقط، أما أيديهم الطويلة فمشغولة بأشياء أخرى. ولم يقتنع الناس طبعا بالفوارق الواضحة بين هذين الزوجين فهو رجل عملى جداً، مهندس مشغول بعمله وهموم عمله مثل ملايين الرجال فى مستهل حياتهم، فالعمل هم، والبعد عن العمل هم، والتفكير فى العمل هم، وهى ككثير من النساء خيالية حالمة رقيقة، وعندها آمال وطموح وتريد وتتمنى وتحلم. فإذا التقت بالزوج فأحلامها تموت

على وجهه الشاحب من التعب، وتتحطم على يأسه الدائم من الحياة، من حياة أفضل هنا أو فى أى بلد آخر! وجاءت للأسرة أطفال، فلا أحد يفكر فى الأطفال عادة، وإنما يجىء الأطفال ثمرة على شجرة، وكما يحدث فى كل أسرة أشاع الأطفال ألوانا وظلالا وموسيقى فى هذه الأسرة وأحيانا يشعر الزوجان أنهما ارتكبا غلطة، فهما ليسا فى حاجة إلى أطفال، وككل الاخطاء الحيوية، لا علاج لها!!

وفجأة نشطت الأحداث واسرعت نحو نهايات ليست على البال، مات أبوه، ومات أبوها، مجرد مصادفة ومات أحد أطفالهما كارثة، وفى سنوات متقاربة وأحس الزوج أنه مسئول عن أمه، وعن أخوته الصغار، وأنه لابد أن يساعد أمه بشئ وأن يعاون أخوته على اكمال الدراسة، وأن هذه هموم جديدة وأنه لم يخترها، وإنما هى التى اختارته، وبدأ الخلاف الحاد بين الزوجين لأسباب مختلفة، أو على الأصح لسبب واحد وتفسيرات مختلفة: لماذا يساعد أمه وأخوته؟! وكما لم يتدخل أحد فى زواجهما، لم يتدخل أحد ليوقف النهاية المنتظرة، وتم الطلاق ومن الغريب أن كلا منهما قد ذهب إلى أمه، وتركا بيتهما خاليا، نكتة لم يضحك لها أحد وضحك الاثنان لهذه النكتة وهذا العبط وتصادف أن التقى الاثنان أمام مسجد سيدنا الحسين، هو وحده وهى معها أطفالها الثلاثة، وتعلق طفل بوالده وبكى الجميع وعادت الأسرة إلى حياتها فى بيتها دون أن يتدخل أحد من الناس ودون حاجة إلى شرح ما حدث للناس. فلا يهم ما يقوله وما سوف يقوله وما قاله الناس. النتيجة السعيدة هى التى تهم!

القرن ٢١

متى يبدأ القرن الحادى والعشرون؟ سوف يبدأ فى الدقيقة الأولى بعد منتصف ليلة ٢١ ديسمبر سنة ٢٠٠٠، فما الذى يمكن أن يحدث بين الساعة ١٢ تماما فى ذلك اليوم وبين الدقيقة الأولى من صباح أول يناير؟

لن يحدث أى شئ.. فنحن الذين نسمى الأيام والساعات والشهور والسنين والقرون، هذه أسماؤنا نحن ومقاييسنا نحن.. والأرض لا تدرى بنا ولا الشمس ولا الكواكب التسع ولا الأقمار الستون التى تدور حولها.. ولا بقية النجوم فى مجموعة (الطريق اللبنى) الذى يضم مثل الشمس الف مليون نجم حولها كواكب وحول الكواكب أقمار.

لن يحدث أى شئ غير عادى، لأن حياتنا تهمنا نحن، ولا تهم أحداً سوانا.. والأرض التى نعيش عليها جسم تافه جدا.. ففى

الشمس فتحات تتسع لألف كرة أرضية.. وشمسنا هذه ولا حاجة بالنسبة لمجرة (الطريق اللبنى) وفى الكون ألوف ملايين المجرات.. وربما هناك ألوف ملايين المجرات.. وربما هناك ألوف ملايين الأكوان .. فنحن لا ندرى.. ولا نعرف لهذا الكون أول أو آخر.. ولا نعرف متى بدأ ولا متى ينتهى ولا نعرف ما هى حكمة واسباب بداية واستمرار ونهاية هذا الكون.

ولكن من الممكن أن نقول كلاما على قدرنا نحن، فنقول أن القرن الحادى والعشرين لن يختلف عن القرن العشرين والقرون السابقة .. فمن المؤكد أننا نخاف من الحرب وآثارها، فالتاريخ فى السبعة الآلاف سنة الماضية لم يعرف إلا مائة وعشرين عاما من السلام ووقف اطلاق النار.. فقد كنا ننتقل من حرب إلى حرب.. ومن الخوف من الحرب إلى الخوف من استئنافها.

وقد خفنا من القنابل الذرية وسارعت الدول الكبرى لأن تكون لديها قنابل ذرية.. فلا سبيل إلى الأمان النووى إلا بحيازة وانتاج قنابل نووية.. فكل الدول النووية تخاف من بعضها البعض.. تخاف من الردع النووى.. وما زلنا نخاف من الأسلحة النووية فى اسرائيل وايران وباكستان والهند والصين وفرنسا ومن اسلحة الدمار الشامل فى العراق.

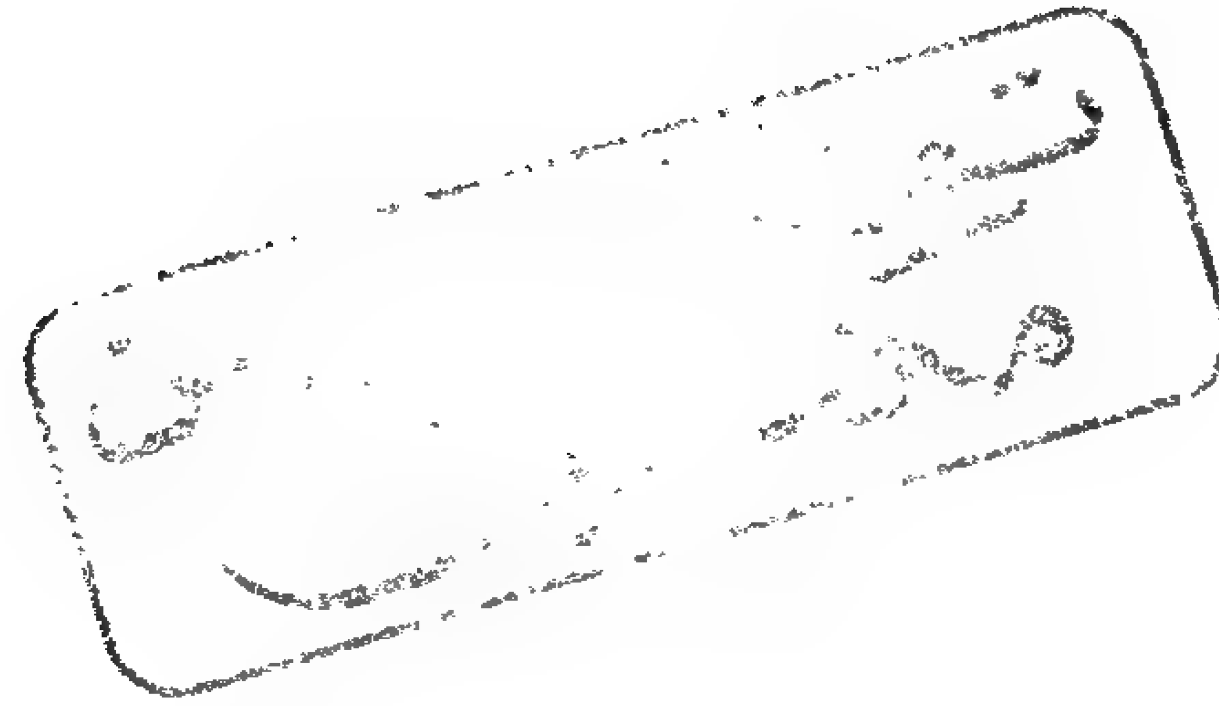
وإذا كان الإنسان قد عرف الميكروبات فإن خوفنا من الأمراض مايزال منتشرا انتشار الأمراض نفسها.. ومازلنا ألعوبة فى أيدى شركات الأدوية وشركات إنتاج الذخيرة والسلاح.. فشركات الأدوية

تخرج كل يوم دواء.. وبعد أن يشترى الناس ما قيمته ألوف ملايين الدولارات، تعلن الشركة انها اخطأت ليظهر عقار آخر. وهكذا فنحن كرة قدم يتقاذفها الاطباء والخبراء.. وكذلك شركات السلاح تبيع لنا سلاحا وتبيع لإسرائيل سلاحا مضادا، أو كما تفعل اميركا ببيع السلاح للعراق وتبعث بخرائط لمواقع هذا السلاح إلى إيران.. وهذا هو العدل العنيف.. العدل القاتل!

ونحن نخاف من تلوث الماء والهواء والخضروات والألبان واللحوم.. نحن الذين لوثناها بالمواد الكيماوية والمبيدات الحشرية.. نحن الذين وضعنا السموم فى طعامنا وشرابنا.. أليس هذا انتحارا شاملا؟

وكنا نخاف من الشيوعية التى تحتقر الأديان والتى لا مكان عندها لله ولأنبيائه وكتبه ورسله.. والتى كانت تثير الناس على الناس.. وتنسف القيم الأخلاقية.. ولقد انهارت الشيوعية.. وانفردت بنا اميركا، ونتمنى لو عادت روسيا الى قوتها حتى لا نكون ألعوبة بين قدمى اميركا.. وفى نفس الوقت نخاف إن قويت روسيا أن تعود الى الشيوعية. .فإذا لم تكن هناك حروب ساخنة، فهناك حروب باردة من الممكن أن تسخن فى أى وقت.. ثم لاتزال هناك حروب أهلية واقليمية.. ولم يتحقق السلام بيننا وبين اسرائيل ... بل كل قضايا السلام مؤجلة إلى القرن الحادى والعشرين الذى لن يكون احسن من العشرين!

إن العلم الحديث لم يحقق للإنسان الأمن والأمان والسلام.. فسوف يبقى الإنسان خائفا ليزداد خوفا.. فكل الذى استطاعه الإنسان هو تطوير (أدوات الحياة) فبدلا من أن يأكل بيديه يأكل بالشوكة والسكين، وبدلا من أن يمشى فإنه يركب الطائرة وبدلا من أن يزعق لك لكى تسمعه، فإنه يستخدم التليفون.. أما الإنسان وطبيعة الإنسان فهى لا تزال كما هى.. فهو كما يقول المثل اللاتينى: «الإنسان للإنسان ذئب!».



التحنيط درجات

طبيب يابانى نجح فى تحنيط جثة زوجته.. وظلت الجثة سليمة. وفى ذلك نجاح طبى وكيميائى لاشك فيه.. ولهذا طلب الطبيب عرض الجثة دوليا..

ولو كان فى اليابان معرض للتاريخ القديم. وبين المعروضات تابوت فرعونى لأحس الطبيب اليابانى بأن نجاحه هذا متواضع جداً.. لأن الفراعنة نجحوا فى ابقاء جثثهم سليمة ألوف السنين.. ولا يزال العلم الحديث حائرا فى معرفة سر التحنيط. وإن كنا نعرف كيف كان الفراعنة يحنطون جثثهم.. كانوا يفتحون الرأس ويسحبون المخ منه. أو يسحبونه من الأنف . ومن العجيب أن المخ هو أول عضو يتعفن فى الجسم الإنسانى.. ثم يفتحون البطن ويسحبون منها كل الاحشاء فيما عدا القلب والرئتين والكليتين. وكانوا يغسلون البطن بالاملاح ثم يحشونها بالكتان لكى يمتص الدم والماء.. ثم يضعون الجسم الإنسانى فى الملح فترة طويلة حتى يمتص الملح كل ما فى

الجسم من ماء ودم ـ الجسم الإنسانى ٧٥ فى المئة من وزنه من الماء؟!

ويستخدم الفراعنة الملح والزيوت والكحول والجلسرين بنسب مختلفة وفى فترات متباعدة ثم يغطون الجسم الإنسانى كله بالزيوت حتى لا ينفذ الهواء أو الرطوبة.. ويستخدمون عسل النحل.. فمن خصائص عسل النحل أنه يقتل كل الميكروبات ـ ولم يعرف الفراعنة الميكروبات وأن كانوا عرفوا نتائج وجودها كالتعفن والعدوى.. ولكن التجربة علمتهم أن عسل النحل يشفى من الجروح ويوقف الدم .. ويمنع العفن..

ولا يتركون الجسم خاليا.. وإنما هم يملأون كل تجاويف الجسم: الرأس والفم والبطن بالكتان.. والكتان منقوع فى سوائل القرفة والملح والمر والصمغ. وتستغرق عملية التحنيط هذه شهورا عديدة يلقى فيها (الحانوتية) انواعاً من العذاب والهوان. وقد وصفها المؤرخ الأغريقى هيرودودت.. فأهل الميت يضربون الحانوتى بالطوب ويتهجمون عليه لقسوته فى فتح بطن الميت واخراج احشائه.

وهناك درجات من التحنيط .. تحنيط الفقراء وتحنيط الاغنياء.. وتحنيط الملوك.

وبعد تحنيط جسم الملك يلفونه فى عشرين طبقة من الكتان ـ توت عنخ امون ملفوف فى ست عشرة طبقة من الكتان وموضع فى ثلاثة توابيت خشبية فى داخل تابوت حجرى ـ كل هذا حرصا على الجثة أن تتسلل اليها رطوبة الهواء فتقضى عليها قبل يوم القيامة!

ولابد ان مفهومنا ليوم القيامة الآن هو الذى جعلنا لا نهتم بالابقاء على جثة الميت سليمة. حتى إذا قامت من موتها، تكون كأنها قامت من نومها ـ ولكن لايزال الفراعنة اساتذة الطب والكيمياء والهندسة فى كل العصور!

حتى لا تعمل

احدى قريباتى عملت اخيرا موظفة، واهلها سعداء بذلك وهى اكثر سعادة، ولم تكن تعرف هى مواهبها الخاصة .. ولكن فى هذا العمل الجديد اكتشفت أنها ليست موظفة فقط، وإنما هى إحدى وكالات الانباء. فبسرعة غريبة عرفت الكثير عن كل الموظفين الزملاء والرؤساء: من هو الاعزب ومن هو المتزوج لأول مرة ولثانى مرة.. ومن الذى عنده تليفون سرى فى البيت أو فى المكتب .. ومن الذى حضر ومن الذى غاب.

ومعنى ذلك أنها لم تضيع وقتها فى القراءة، وإنما شغلته بالكلام ولابد أن يكون كلامها على شكل اسئلة.. والا فكيف استطاعت أن تعرف كل هذه الاجابات.. وهى لا تتحرك من مكانها، وليس معقولا أن يجئ الناس إليها.. إذن فالتليفون هو «الساعى» الدائخ بينها وبين جميع الموظفين، والتليفون عمومى ـ اى يجب أن يكون مشغولا بالعمل ولصالح العمل.

وعندما تزوج احد اقاربها لم تجد وسيلة للتزويغ من العمل للمشاركة فى الليالى الملاح.. ثم مات أحد اقاربها.. ولم تتمكن من تقديم واجب العزاء.. وإنما جاء الموظفون يواسون الموظفة الجديدة من باب الواجب او الشكليات او تضييع الوقت أو حب الاستطلاع.. ولم تكن ايديهم خالية فقد ألقوا فى يديها معلومات جديدة عن النظام والعمل والحضور والانصراف والاعتذار والغياب.. وفن التزويغ وادعاء الانشغال.. وفن التوقيع عند الانصراف وفن التوقيع من غير انصراف، أى وهى موجودة فى بيتها.. ومن الذى يتولى ذلك بالنيابة عنها.. أو تتولاه هى بالنيابة عن غيرها.. ومن الذى يفعل ذلك بانتظام وكم ندفع «ولمن» ولم يعد هناك خوف من شئ.. أو خوف على شئ.

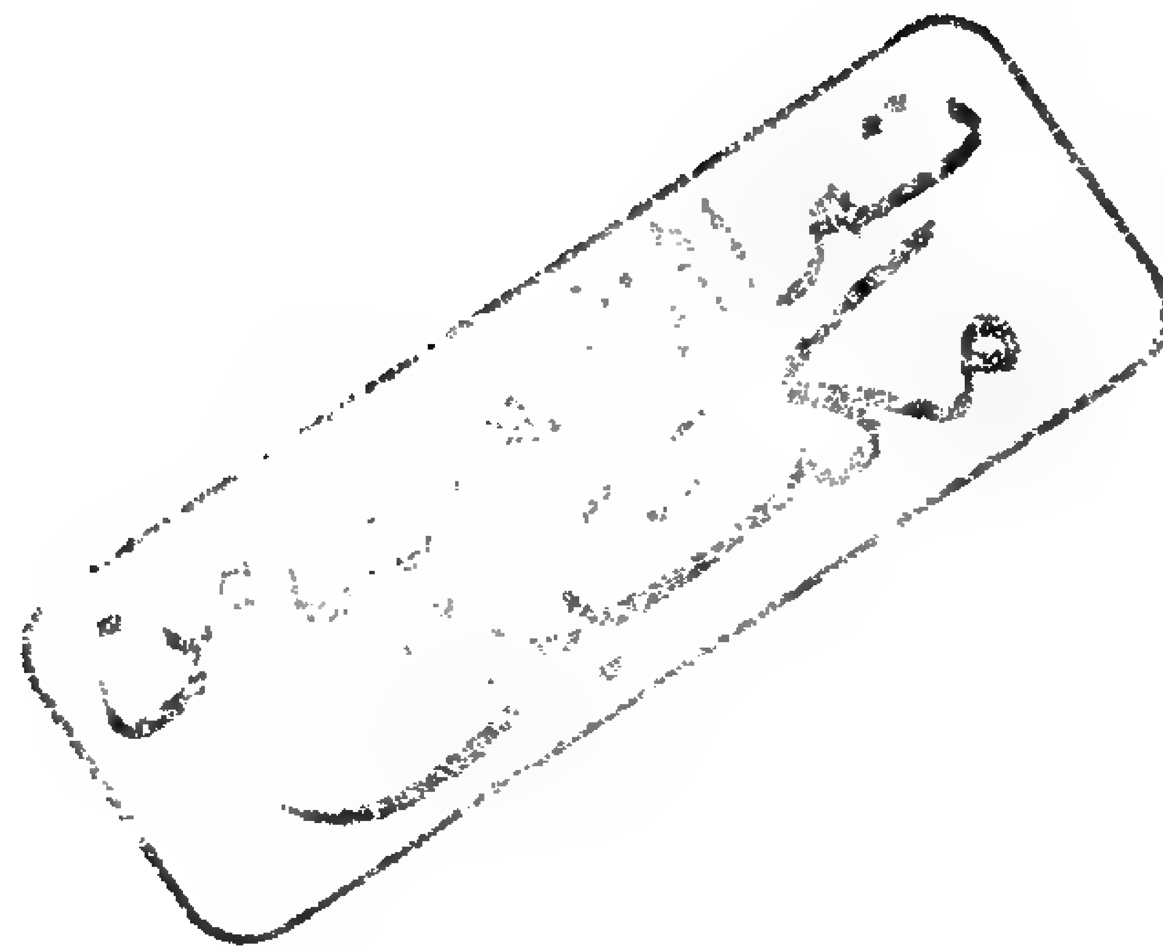
وعرفت الموظفة الجديدة ايضا لعبة الاجازات المرضية والعرضية. والاجازات الشخصية.. وعرفت الاماكن التى يمكن أن تنتقل إليها بكلمة من قريب أو صديق، واين هى الغرف ذات الشبابيك البحرية والغرف التى يمكن النوم فيها على المكتب دون ان يدرى احد.. والغرف التى تتجمع فيها الفتيات وفى ايديهن التريكو أو مجلات الاطفال دون أن يسمعن كلمة واحدة من احد.

ولما سألتها عن العمل الذى تؤديه أجابت: ولا حاجة!!

ولما طلبت إليها أن توضح اكثر قالت: ولا حاجة.. صباح الخير.. صباح الخير.. وفى هذه العبارة اضع كل نشاطى وحيويتى، وبعد ذلك استطيع أن أنام حتى الثانية مساء!

وعلى الرغم من أنها لا تعمل ولا توجد لديها فرصة للعمل، فإنها قد عرفت بالدقة كل الظروف والقواعد والحيل التى تجعلها لاتعمل إطلاقا مع أن عملها ليس إلا: صباح الخير ـ حتى هذه يمكن أن تأخذ منها أجازة!

ومثلها عشرات الألوف!!



ملليمترات

هناك خناقة بين علماء الفضاء على جانبى الاطلنطى يعنى بين العلماء الامريكان والاوروبيين والخلاف على مليمترات!

لو فرضنا أن أحد العلماء أعلن أن المسافة بين القاهرة والاسكندرية عبارة عن ٢٥٠ كيلو مترا واثنين مليمتر وقال عالم آخر لا بل أنها ٢٥٠ كيلو مترا ومليمتر واحد ونصف، تفتكر لو حدث هذا ما الذى يقوله عامة الناس أو ما الذى يستفيده الناس من فرق ملليمتر أو نصف ملليمتر؟ والجواب: لا شئ..

اذن فعلى اى شئ يختلف هؤلاء العلماء وما قيمة مليمتر أو اثنين أو ما قيمة هذا الخلاف أو مافائدته للذين يركبون السيارات أو العربات أو يمشون على أقدامهم فى هذا الطريق. وماذا يحدث لو أن الرياح اضافت ملليمترا من الرمال هنا وجاءت الأمطار فمسحت ملليمتر. هذا الخلاف بين العلماء على طول الطريق وعرضه وعمقه

وتاريخه وماضيه ومستقبله قضية لا تهم احدا غير المهندسين أنفسهم..

أو بعبارة أخرى.. أن علماء الفضاء يختلفون الآن حول متى خلق الله هذا الكون.

بعضهم يرى أن هذا الكون خلقه الله من ١٤ ألف مليون سنة واخرون يقولون لا بل من ١٣ ألف مليون.

والسؤال: ما الذى كان عليه هذا الكون قبل هذه المدة؟ ما الذى كان موجودا قبل وجود هذا الكون؟.. هل كان هناك عدم وما هو العدم وما معناه وكيف ظهر الكون من العدم؟ هل هذا الكون هو الكون الوحيد أم أن هناك اكوانا أخرى؟ فإذا كانت هناك اكوان أخرى فكم عددها.

نحن نقول أن الكون الذى نعرفه أو نحاول أن نعرفه به الف مليون مجموعة هذه المجموعة اسمها المجرة، وكل مجرة فيها ألف مليون نجمة. وعشر هذه النجوم تدور حولها كواكب مثل الأرض اى أن هناك مليون مليون مليون كوكب كالأرض وأن احتمالات الحياة فى هذا الكون مليون مليون مرة. هناك عدد من العلماء يقول إن هناك اكوانا اخرى لها نفس العدد من النجوم والكواكب. وإن هذه الأكوان تتباعد بعضها عن بعض. ومعنى ذلك اننا لا نعرف بالتحديد حجم هذا الكون ولا نعرف بالتحديد إن كان الكون يزيد أو ينقص أو يتسع أو يضيق. فكل يوم تسجل لنا المراصد أن نجوما تولد من نجوم وان نجوما تبتلع نجوما. تماما كما يحدث بين الكائنات

الحية كل يوم ناس يموتون واطفال يولدون. والموت والولادة من مظاهر حياة النبات والحيوان والإنسان وكذلك النجوم.

فما المعنى؟ المعنى أن الذى نعرفه من هذا الكون ونسجله ونفرح به قليل جدا وان الذى لا نعرفه ولا ندرى كيف نسجله ولا كيف نفهمه ولا نعرف حكمته كثير كثير كثير جدا. ومع ذلك فنحن سعداء بالقليل الذى نعرفه مشغولون بالكثير جدا الذى لا نعرفه فزيادة مليمتر فى الطريق الصحراوى أو نقص مليمتر لا يهم المشاه ولكنه يهم العلماء فقط.

فاقرأ وتأمل ولا تغضب لأنك لست طرفا فى هذه المعركة الكونية!

شرع الشارع

اقترح عليك أن تقرأ كتابا طويلا عريضا لكى تفهم نفسية ومبادئ أى شعب من الشعوب.. الكتاب الذى اقترحه لن تقلبه بيديك.. وإنما سوف تمشى فوق سطوره بقدميك.. وسوف ترتاده بعينيك.

وقد قمت بتجربة فريدة.. فقد اصدرت كتابا بعنوان (بلاد الله خلق الله) هذا الكتاب عن رحلات لى فى أوروبا.. وبدلا من أن أكتب عن الناس مباشرة.. كتبت عن شئ يصنعه الناس.. كتبت عن الفترينات فى باريس لأعرف ذوق واخلاقيات اهل باريس.. وعن الميادين والنافورات فى روما.. وعن المكتبات فى لندن.. وعن المحلات فى ألمانيا .. وعن الشوارع والكبارى فى أمريكا..

أى أن هناك مداخل ونوافذ وابوابا للدخول إلى عقول وقلوب شعب من الشعوب.. فأنت تستطيع من النظر والتأمل فى هذه الصفحات أن تعرف محتويات الكتاب، دون خطأ كبير أو كثير..

وفى اللغة العربية نحن نقول: شرع اى تناول الماء بفمه.. وشرعت البقرة فى الماء أى دخلت فى الماء.

ونقول: شرعت فى كذا أى بدأت..

.والشريعة والشراع معناهما المكان الذى ينحدر منه الماء.. والشريعة معناها ايضا: ما شرعه الله لنا من فرائض الصلاة والصوم.. والشريعة معناها المكان الذى نشرب منه الماء.. ونقول: شرع الحصان أى جعله يذهب إلى مكان الماء..

القرآن الكريم يقول (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) ويقول : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ويقول (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا).

والشارع: هو الرجل العالم

ويقال: بيت شارع إذا كان له باب على الطريق.. مفتوح على الطريق.. فأمامك شوارعنا ماذا ترى وماذا تقول.. وأى كلام سوف تقوله هو رأى فى الذين فتحوا الشوارع ورصفوها أو لم يفعلوا.. وفى الحركة فوقها وعلى أطرافها.. وكيف الأرصفة، إن كانت.. وكيف السيارات وألوانها وحركاتها.. والاضواء الحمراء والصفراء والخضراء.. وهذا الذى يتطوع فيقف إن استطاع، أن يوجه حركة المرور.. وما الذى يفعله المريض إذا سقط على الأرض؟ وهذا الذى يريد فقط أن يذهب إلى دورة المياه، وإذا جاء زائر كبير، وإذا ذهب.. وحتى لا يموت الناس تحت العجلات، فأين يمشون.. فى الشارع على الأرصفة.. وما قولك فى مدينة كبرى ليست بها ارصفة؟! هل

هذا معقول؟ نعم.. وما رأيك فى شوارع معظمها ارصفة وأقلها شوارع. .شارع اكسفورد فى لندن.. أو شوارع نصفها أرصفة ونصفها يجرى المرور.. مثل شارع الشانزلزيه فى باريس.. فما رأيك فى شوارع لا تدخلها سيارات على الاطلاق .. هناك شوارع وسط العواصم الأوروبية.. روما.. وباريس.. وفيينا.. وبون.. وبرلين.. وغيرها من العواصم الأوروبية حتى يتمكن المشاه من المشى.. بس..

وما رأيك فى الشوارع المتاحف.. للنافورات والتماثيل والورود والمقاهى.. تعال معى لنرى اين هذه الشوارع وأهلها وما المعنى!



أصعب يوم

أول يوم فى رمضان هو أصعب يوم لأنك سوف تخرج عن مجموعة عاداتك فى اليقظة والنوم وتأجيل وجبة الافطار والغداء والعشاء.. فلن تفطر ولن تتغدى ولن تتعشى. إنما كل ذلك فى وجبة واحد فى مكان متوسط بين الغداء والعشاء. ثم أن نوعية الأطعمة التى على المائدة مختلفة تماما. فعلى المائدة. اطعمه تقليدية: الفول والطرشى وقمر الدين الساخن والبارد الحريف والمخلل.. وبعد ذلك تبدأ الطعام الذى ليس عاديا. ولكنها من تقاليد شهر الصوم أن يأكل الناس كثيرا جدا عند الافطار .. وبعد الأكل يجئ الحلو مباشرة مع الشاى أو قبله تجئ القطايف والكنافة.

ثم مزيد من الشاى أو القهوة لعل الإنسان يفيق من الوجبة الثقيلة.. ولا يفيق فيظل يشرب القهوة.. ليبقى ساهرا حتى بعد منتصف الليل ويتناول طعاما آخر.. فى معظم الأحيان لا ضرورة له.. فليس من الممكن أن يكون الإنسان قد جاع بعد وجبة ثقيلة

غير عادية .. ولكن السحور ايضا عادة. وهناك كثيرون يكتفون بالافطار ولا يتناولون السحور.. وفى نفس الوقت يحرص اناس على السحور. ويكون السحور من الفول والزبادى.. وهم يتوهمون أن هذه وجبة خفيفة. من الممكن أن تكون كذلك لكن إذا أضفت إليها الافطار الثقيل، فإن السحور يجعل المعدة تنوء بما حشرنا فيها.. فلا يكون الا حل واحد: هو أن تنام وتصحو فى ساعة متأخرة.. أو تخطف النوم خطفا ثم تسارع بالعودة إلى البيت لكى تنام فى موعد الغداء وتحاول أن تظل كذلك حتى أذان المغرب.. وبذلك نستريح من الجوع والعطش..

أما إذا لم يفلحوا فى النوم طوال النهار، فإن اليوم الأول سوف يكون أطول يوم فى السنة.

ولذلك فكثير من الصائمين يفضلون أن يستقبلوا رمضان فى السرير.. فيظل نائما أو يحاول ذلك طوال اليوم.. يتقلب فى فراشه ويحاول.. ثم ينهض ويتفرج على التليفزيون أو يستمع إلى الراديو..

وبعض الناس الطيبين يجدونها فرصة للبقاء فى المسجد أطول مدة ممكنة.. أو التنقل بين المساجد يصلى الظهر هنا.. وقد ينام فى المسجد.. والعصر يصليه فى مسجد آخر.. وبدلاً من أن يعود إلى البيت فى سيارة فإنه يفضل أن يعود إلى البيت فى جلباب وسيرا على الأقدام.. ويصل إلى البيت قبل أذان المغرب بدقائق. ولا يكتفى بذلك بعد أن اطمأن تماماً إلى أن اليوم قد راح دون شعور بالجوع أو العطش.. فإنه يصلى المغرب قبل أن يتناول طعامه.. ورمضان كريم..

وجبة واحدة

اكره تناول العشاء في أي مكان. فليس اسوأ من عادتنا فى أن نتناول عشاءنا فى ساعة متأخرة من الليل. وقد حاولت أن اعتاد على ذلك، فلم استطع أن أكل بعد منتصف الليل لكى انهض فى الساعة الرابعة صباحا نشطا مستعداً للقراءة والكتابة حتى صار أمامى اختبار صعب: بين أن أتعشى متأخرا وبين أن أعمل. فإذا تعشيت فلا استطيع أن أقرأ أو اكتب... ولذلك ليس أمامى إلا أن أمتنع عن العشاء..

وكثير من الاصدقاء يتضايقون من هذا السلوك.. ويضطروننى أن أكل أى شئ.. حتى لو كانت شوربة وصلصة أو خضار مسلوق مع الحلو.. ويكون الحلو ثقيلا كأنه وجبة أخرى إنها مشكلة!

فوجدت حلولا منها: أننى إذا ذهبت إلى بيت صديق فأننى اطلب أن أتناول أى طعام مسلوق مع فاكهة. ويرفض اصحاب البيت

لأنهم قد اعدوا كذا وكذا.. ولا يمكن أن أكل هذا الكلام الفارغ. ومهما قلت من حجج وأن العشاء المتأخر يلخبط حياتى : نومى ويقظتى وعملى، ولكن لا فائدة.. وإن كان بعض الأصدقاء يقبل هذا السلوك «الشاذ» على مضض..

ولكن الحل الذى أراحنى، ولم يرح أحدا سواى هو أن أتناول العشاء قبل أن أنزل من البيت. ويكون ذلك فى الساعة الثامنة أو التاسعة مساء. ويكون عشائى هكذا: رغيف من الخبز السن مع جبنة من غير ملح وملعقتين من عسل النحل. وبس. فإذا ذهبت إلى العشاء اخترعت قصصا كثيرة.. منها أننى اتعاطى دواء. ولا طعام بعد الدواء.. ومنها أن معدتى وأن مصارينى وأن قلبى.. وحكايات ليس لها أول ولا آخر.. واسترحت إلى ذلك.. ولكن بقيت عندى مشكلة أخرى. ليس لها علاج ولا حل. وهى أن حياتى منضبطة جدا.. وليس فيها أى تغيير وإذا حدث أى تغيير فأننى اتلخبط تماما. ومن أهم الأحداث التى تلخبط حياتى أن أسهر طويلا.. أو أسهر واتناول طعاماً!

فأنا أنام عادة حوالى الحادية عشرة. أحيانا بعدها واحيانا قبلها. فإذا سهرت بعد ذلك فإن من الصعب أن أنام. وإذا نمت فساعة أو أكثر قليلا. ومعنى ذلك أن أصحو من نومى مرهقا مضطرب اليقظة والتفكير. غير قادر على القراءة أو الكتابة. وأظل طول اليوم مضطربا. ولا أفلح فى أن أعود إلى ما كنت عليه فى الأيام السابقة. إذن سوف يؤدى السهر الطويل إلى ارتباك فى حياتى يومين أو ثلاثة

وربما أكثر إذا سهرت مرتين أو ثلاثا. مضطرا طبعا. وأسوأ أنواع الاضطرار هى الأفراح والليالى الملاح. والسهر الطويل جدا والطعام المتأخر والضوضاء.. ثم إن كل الأفراح مملة. وربما تجد فيها السيدات متعة يتفرجن على بعضهن البعض.. وقصص وحكايات.. ولكن لم أجد رجلا واحدا يجد أى متعة فى الطبل والزمر الذى يخرم الاذان والراقصة التى هى هى ولكن بأسماء مختلفة.. تتلوى وتتقصع.. بسبب ما عندها من انتفاخ أو مغص.. شئ ممل ويغيظ أن تجد نفسك عاجزا عن فعل شئ!

ولكن فى رمضان أنا فى أحسن حالاتى .. وجبة واحدة متأخرة. وبعد ذلك لا شئ.. وأنام مبكرا وأصحو قبل الفجر ـ ورمضان كريم!



لا نصيحة

فجأة اكتشفت أنه لا فائدة من الكلام ـ ليس الكلام عموما.. ولكن من كلامى مع شاب ظهرت نتيجة امتحانه ويريد أن يذهب إلى الشاطئ ليستريح من تعب المذاكرة وضوضاء القاهرة.

قال لى: تنصحنى بماذا؟

قلت: فى أى شئ؟

قال: فى أى شئ؟

قلت: وهل تتصور أننى أعرف فى كل شئ؟

قال: طبعا لا.. ولكن تعرف أكثر منى.

قلت: صحيح اعرف أكثر منك.. ولكن ما الذى تريدنى أن انصحك به؟

قال: ماذا اعمل فى الأجازة

قلت: إذا عملت فإنها لا تصبح اجازة لو كنت مثلك وقد كنت مثلك يوما ما ـ فإننى أقرأ فقط.

اقرأ كثيرا وعلى مهل وهذه متعة كبرى ولكننا لا نعرف ذلك.

ودارت مناقشات فى أمور كثيرة وعندما ننتقل من موضوع إلى موضوع يتوقف هذا الشاب ليسألنى وبماذا تنصح؟

وأنا أكره أن أكون ناصحا ففى النصيحة شئ كثير من ادعاء الحكمة والفهم بالأمور وفيها نوع من التعالى ومن الأبوه وأنا اكره أن أجد نفسى قد جلست فجأة على مقعد عال.. ونظرت من فوق إلى كل شئ .. إذن هو صغير وإذن هو لا شئ.

ولابد أننى سأقول: أفعل هذا ولا تفعل ذلك..

ولابد أننى سوف أنسى أو اتناسى أننى عندما كنت فى سنه كنت أفعل بالضبط ما انصحه بالا يفعله.. ولو عدت إلى مثل سنه ما فعلت غير الذى فعلت ولكن الإنسان ـ عادة ـ عندما ينصح غيره فإنه يتصور أنه فى الامكان أن تجدى هذه النصيحةوأن يتفادى هذا الشاب اخطاء الشباب: الطيش والخيال والطموح والاستخفاف بالغير من الأشياء ومن الناس.

ووجدت نفسى أقول له: مخلصا وبكل أمانة لا أعرف كيف انصحك بأى شئ.. أنت عليك أن تجرب وأن تتحمل نتائج كل ما تفعل بعقل ولا عقل.

آسف: حتى عندما قررت ألا انصحه، وجدت نفسى قد نصحته وأنا لا أدرى!

حياتك وموتك..

فى سنة ١٩٦٠ توفى الأديب الفرنسى الكبير البير كامى فى حادث سيارة، وقبله ماتت ألوف وبعده سوف تموت مئات الألوف، فهو حادث أليم.

وهناك فارق بين أن يموت الإنسان وهو راكب إلى جوار السائق، وبين أن يكون هو السائق فإذا كان هو الذى يسوق سيارته ثم مات فإن الحادث يكون له معنى آخر.

وهذا المعنى الآخر هو الذى شغل علماء النفس بعد وفاة الاديب الفرنسى.

قالوا: إنه لم يمت.. ولكنه انتحر.

أى أنه أراد أن يموت أو عنده رغبة عميقة فى أن يموت ولذلك فقد تعلم قيادة السيارة ثم قادها ثم سرح اثناء القيادة.

والسرحان معناه أن يغمض الإنسان عينيه عن الخطر: أى أن يسمح للسيارات الأخرى أن تصيبه أو تقتله فكأنه ذهب بنفسه إلى الموت لماذا؟!

لأنه يريد أن يقتل نفسه..

وهناك نظرية تقول: كما أن الحياة والحرص عليها والكفاح من اجل ان يبقى الإنسان: غريزة، فكذلك الموت أيضا غريزة، فالإنسان حريص على أن يميت نفسه أدبيا أو ماديا أو أن يشوه نفسه بنفسه وكذلك يعيش على الحافة بين الموت والحياة.. لا هو ميت ولا هو حى..

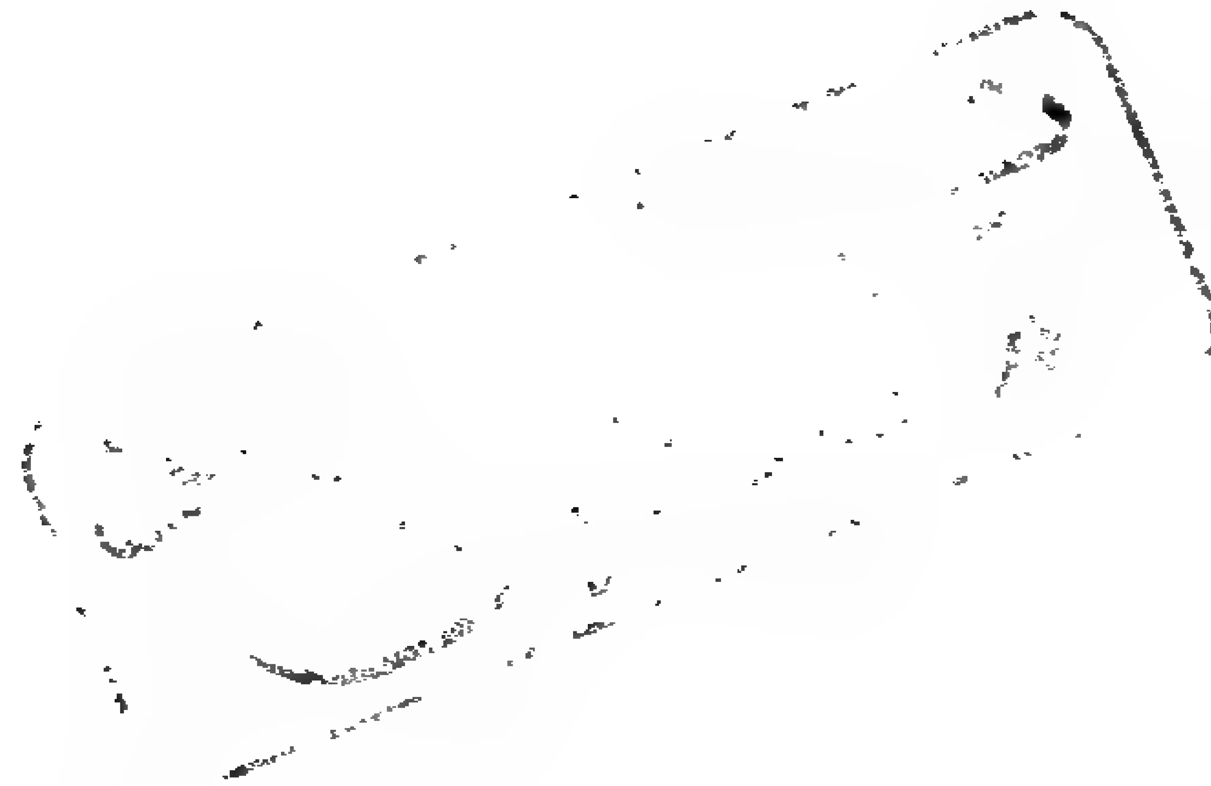
وقد اكتشفت أرملة الأديب الفرنسى أن زوجها قد ألف رواية عنوانها «الموت السعيد» هذه الرواية كتبها وهو فى الرابعة والعشرين من عمره. ولم يشأ أن ينشرها والذى يقرأ هذه الرواية يؤمن بأن الأديب الفرنسى كان مشغولا بالموت طوال حياته وأنه كان حريصا على أن يعرف كيف يموت الإنسان بصورة أسهل.. أو دون أن يشعر بأنه مات أو يموت أو ميت.

ومن المعانى التى استوقفت هذا الأديب كثيرا: أن الموت هو نوع من الذهول العقلى والنشوة الروحية.

أليست هذه صورة قبيحة للموت أو مخيفة ولكنها صورة فى عقل انسان اقترب من الموت ومازال يقترب حتى اختطفه الموت وهو مشغول به فكان موته مفاجئا مذهلا..

وهناك نظرية تقول: كل إنسان مشغول بحياته مشغول ايضا بموته دون أن يدرى فالذى يدخر المال هو خائف من أن يموت فقيرا والذى يسرف فى الانفاق يخشى أن يدركه الموت فى أية لحظة فمن الخير له أن يعيش لأنه لا يدرى كيف يموت والمسرفون يعيشون كالأغنياء ويموتون كالفقراء أو فقراء.

وليس الإنسان فى حاجة إلى أن يكون اديبا يفكر فى الموت يكفى أنه يفكر فى حياته بعض الوقت ليعرف إذا شاء كيف يموت بعد ذلك، إنها أفكار مؤلمة ولكنها الحقيقة!



مهذب فقط!

تعال لى أى يوم وستجدنى سعيدا جدا بلقائك مع أننى لا اعرفك وليس هناك مبرر لسعادتى بك!

وهنا اتوقف ما الذى يجعلنى ابدو هكذا سعيدا؟ لا سبب ما الذى يجعلنى ارحب بك مهما كنت مشغولا؟ لا سبب ولكننى اقوم بدور الرجل المهذب. اقوم بدور الذى يخفى متاعبه ومشاغله .. وأننى اقوم بدور الرجل الذى يرى أن همومه تخصه هو.. وأنها لا تخص الآخرين.. وفى نفس الوقت اقوم بالمساهمة فى الصورة الجميلة الكاذبة وهى أننا معشر الكتاب من طراز آخر من الناس نحن فوق.. بلا متاعب ولا مشاكل ولا هموم ولا قلق.

وليست هذه حقيقتى ولا حقيقة أى إنسان تراه أو تقابله فى البيت أو فى الشارع وإنما هى صورة انيقة لأعماقى أنها صورتى وهذه الصورة قد أفرزت ألوانها من داخلى وعلقتها على كتفى

وتواريت وراءها فأنتْ لا تراني وإنما أنت ترى إحدى صورى.. أجمل صورى!

فأنا لست سعيدا.. ولكن ظاهرى السعادة ـ أو «متظاهر» بالسعادة!

وكل إنسان كذلك.. أنت فى أى وقت لست إلا صورة من صورك لوحة من لوحاتك.

ونحن نطلب من الناس أن يكونوا صورا لأنفسهم وألا يكونوا على حقيقتهم لأن حقيقتهم تضايقنا ولا تهمنا.

مثلا.. الكمسارى فى الأتوبيس أو فى المترو نحن نطلب منه جميعا أن يكون مبتسما دائما إذا أخذ ثمن التذكرة يكون رقيقا ولابد أن يشكرنا على ذلك ولابد أن تكون معه فكة ولابد أن يعرف المحطة التى سوف انزل عندها مع أننى لست الراكب الوحيد من أول الخط ولا الراكب الوحيد طول النهار ولا طول الشهر ونحن ننسى أن هذا الكمسارى لا يختلف عن الراكب إلا فى شئ واحد هو أن المواصلات ليست مشكلة بالنسبة له ولكنه أب وزوج وله هموم ومشاكل أى أب وأى زوج وله همومه وله متاعبه ومن ضمن آماله فى الحياة أن يتحول من كمسارى إلى راكب.. وإنه هو ايضا يركب صاروخا فى خياله.. وهذا الصاروخ يحلم بأن ينقله فى يوم من الأيام إلى محطة اختيارية اسمها السنتر!

وأنت تقوم بدور الأب وتقوم بدور الصديق وتقوم بدور الموظف المطيع وبدور الرئيس الصبور.. وبدور الطبيب الذى يملك المعجزات.

ونحن فى الحقيقة نعرض على الناس صورنا نعرض على الناس أحسن ما عندنا .. والناس يعرضون علينا صورهم ولوحاتهم التى رسموها سرا فحياتنا على هذا المعرض الحى.. نحن الفنانين واللوحات ايضا ونحن المؤلفين والممثلين والمخرجين أيضا.

ومن المؤكد أى أن إنسان عندما يتهم إنسانا بالكذب أو بالنفاق أو بالشر فهو لا يتهمه وإنما هو فجأة قد رأى الصورة الحقيقية التى نخفيها وراء هذا العمل الفنى الزائف!

المخ واحد

تنفيذاً لتوجيه العالم الكبير اينشتين فتح الأطباء رأسه واخرجوا مخه ووزنوه . وحللوه. ولم يجدوا أية فوارق بين مخه من ناحية الشكل والتركيب وبين أى خادم لاينشتين، أو أى كلب من كلابه التى كانت تلعب فى حديقة بيته.

إذن أين تكمن عبقرية الإنسان وأين توجد بلادة الحيوان؟

لا يمكن أن يكون كبر حجم المخ هو السبب. فمخ الفيل يزن خمسة كيلو جرامات. والإنسان مخه يزن كيلو جراما ونصف الكيلو جرام. والغوريلا مخها يزن نصف كيلو جرام والكلب مخه يزن ١٣٠ جراما والقط مخه يزن ٣٠ جراما أما الفار فمخه يزن نصف جرام. ولكن الحيوان الضخم المسمى بالديناصور والذى يزن حوالى عشرين طنا، فإن مخه فى زنة مخ الفار.

وعلى الرغم من التطور الهائل الذى حققه الإنسان فى العشرة آلاف سنة الأخيرة، فإن مخ الإنسان لم يزد جراما واحدا.

فلا يزال متوسط وزن المخ هو كيلو جرام ونصف الكيلو جرام، ونادرا ما يصل إلى ٢ كيلو. ولكنه لم يزد على ذلك.

ولا تغيرت ألوان المخ ولا تغيرت مادة المخ. ويمكن أن يقال أن عدد خلايا المخ هى عبارة عن ١٤ ألف مليون خلية وأن الزيادة فى الخلايا ضئيلة جدا.

ومن الغريب أن مخ بعض العباقرة صغير الوزن بصورة مذهلة . وأن مخ بعض المجانين كبير الوزن. وقد اختلط الأمر على بعض الأطباء عندما شرحوا مخ طبيب قتله مجنون ثم انتحر. فوضعوا مخى الاثنين متجاورين. ووجدوا أن مخ المجنون أكبر، ومخ الطبيب اصغر ثم انهم لاحظوا أن الفارق فى الوزن كبير.

إذن ليس وزن المخ. وليس التطور الإنسانى هما الزيادة فى وزن المخ او فى عدد خلاياه. ولكن التطور هو هذه العلاقات المعقدة الإبداعية بين الخلايا..

وهذه العلاقات لا يمكن رؤيتها بالعين ولا بالميكرسكوب.. إنما هذه العلاقات تظهر آثارها فيما يفعله صاحب المخ المعقد التركيب، وصاحب المخ البسيط التركيب. والعقول البسيطة تتكون من أشرطة تسجيل متجاورة. ولكن التطور فى العقول الكبيرة تشبه اشرطة تسجيل متفاعلة.

ومن هذا التفاعل تخرج الأفكار الجديدة والخيالات الرائعة.

فليس التطور هو فى «كم» الخلايا .. ولكن فى «كيف» الخلايا.. ليس فى وزن ما يصدر عن المخ!

صورتان

أمامى صورتان لا يمكن ان انساهما.. صورة المكتب الذى كان يجلس إليه استاذنا الكبير عباس العقاد: وصورة المكتب الذى كان يجلس إليه الأديب السويسرى فريدريش ديرغات..

اما مكتب الاستاذ العقاد فهو قطعة من العذاب الحقيقى.. مكتب صغير مثل مكاتب طلبة المدارس الابتدائية.. لا يمكن ان يجلس إليه أحد، إنما يجلس أمامه، ثم ينكسر عليه.. لا أقول ينحنى عليه..

فالعقاد بقامته الطويلة لابد أن يتقوص على هذا المكتب ولابد أن يجعل رأسه متدليا بعنف. أما المقعد الذى كان يجلس عليه العقاد فهو صغير، وغير مريح ايضا..

ومن المؤكد أن العقاد لم يكن يستريح إلى هذا المكتب بسبب الساعات الطويلة التى ينكفىء فيها فوق المكتب قارئا أو كاتبا..

ولكن العقاد في نفس الوقت لم يتسع وقته لكي يفكر في البحث عن مكاتب اخرى.. أو لعله لم ير هذه المكاتب في أي مكان.. ولابد أن تكون آلام المصران الغليظ قد تضاعفت بسبب الضغط العنيف والتوتر المستمر اثناء القراءة أو الكتابة.

واذكر انني مرة داعبت الاستاذ العقاد فقلت له: عندك اخر كتاب عن سفن الفضاء وعندك اول وابور جاز دخل مصر..

وكان يضحك ولكنه لم يفكر في أن يغير وابور الجاز او المكتب..

أما مكتب اديب سويسرا ديرغات فهو ألوان ودرجات من الراحة في الجلوس والراحة في تقليب الكتب أو الصفحات..المكتب عريض جدا.. وهو عندما يجلس اليه يزحف تحته.. ثم اذا اسند ذراعيه اثناء الكتابة او القراءة فهو يضيف إلى جسمه مزيداً من الراحة وبذلك لا يبذل اية طاقة في محاولة الجلوس او الاعتدال اثناء الجلوس قارئا او كاتبا. وانما يصبح همه الأكبر هو ان يقرأ أو يكتب.. وهو في غاية في الراحة..

انني اعتقد ان نصف التعب من القراءة والكتابة ـ للمدمنين مثلي ـ يرجع إلى المقعد غير المريح او المكتب الذي يرفض اجسامنا وينبذها ويجعلها معذبة في الانكسار على الورق، فليست القراءة مؤلمة ولا الكتابة هي العذاب وانما المكاتب هي اقسى درجات العذاب.

ولا انسى صورة عرش ملك ايران فى طهران. انه مرصع بالاحجار الكريمة وثمنه بالملايين ولكن احدا لا يستطيع ان يجلس عليه.. انه مجموعة من الاحجار الباردة الموجعة. فهو غال جدا ومرهق جدا.

لقد فكرنا فى كل ما نقرأ ولكن مهندسا واحداً لم يفكر ان نجلس على مقعد مريح ونحن نقرأ او نكتب، وفى استطاعتك ان تنظر إلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم كيف يجلسون ساعات طويلة وما الذى يشعرون به بعد ذلك فى الظهر والبطن والكتفين ـ والمفاصل بعد ذلك ان شاء الله..



لغة الصمت

من واجب مجمع اللغة العربية أن يخاف على اللغة العربية.. وأن يقومها اذا استطاع وهو لا يستطيع أن يقوم لغة الملايين انما يقوم لغة العشرات من الكتاب الذين يؤثرون فى الملايين.

ومن المؤكد أن لغتنا العربية ليست قويمة ومن الواجب ان تكون قويمة.

فالذى تنشره الصحف مثلا: هو اسهل عبارة يمكن أن تخاطب بها ملايين الناس من كل المستويات التعليمية والعلمية وهى لغة سريعة ولذلك ففى اثناء السرعة تتساقط الافعال وعلامات الترقيم والاعراب، ولاننا حريصون على سرعة العبارة فإننا «ننحت» الالفاظ التى نراها مناسبة لنا فى الوقت الضيق الذى يتاح لنا أن نكتب أو نترجم فيه وكثير من المصطلحات العلمية والسياسية تجئ بها وكالات الانباء ومن الضرورى ان تنقلها الصحف، وتنقلها بسرعة

الآلة الكاتبة التى تكتب والتى تطبع والتى توزع والتى يركبها القارئ إلى بيته أو إلى عمله.

واذا كانت الصحف تحرص على السرعة فان كل شئ يحاول ان يقلدها او يجاريها او يتفادى خطورتها فالذى يتفادى السيارة المسرعة يجب ان يكون التفادى نفسه اسرع من السيارة، وهذا ما يفعله الصحفيون ويفعله الاذاعيون واكثرهم صحفيون.

واذا كانت بعض حيل الاضحاك الفنى ان يتلاعب الممثل بالالفاظ وان ينقل ذلك إلى صغار الناس فان التلاعب سوف يصبح اسلوبا فى الكلام او الاستخفاف باللغة وقواعدها، سوف يصبح من القواعد الجديدة فى هدم اللغة تحريف اللسان العربى.

ان مجمع اللغة العربية محق فى مخاوفه ولكنه مبالغ فى هذه المخاوف ايضا.

فالناس ليسوا بهذه الدرجة من «السلبية» او ليسوا عجينة يشكلها أراجوزات المسرح او الاذاعة ولكن الناس يرون الأراجوز ويضحكون عليه.. ولكنهم لا يذهبون إلى اكثر من ذلك ويذهبون إلى المسارح ويتمزقون من الضحك على الممثلين.. ويكون هذا التمزق نوعا من العلاج والتفريج وبعد ذلك يذهب كل شئ. تذهب «الالعاب اللفظية» وتبقى ذكراها فقط.. ويخفى الناس وجوههم فى الصحف التى لا تحرص فى المقام الاول على سلامة العبارة ــ وهذا الخطر الذى يجب ان نتنبه اليه.

فالصحف مدرسة الشعوب وكتابها يتعدى بهم الناس وليس من العدل ان يلوى الكاتب ألسنة الملايين لانه عاجز عن ان يكون قويما.

ان حرصنا على عروبتنا ولغتنا وقوميتنا يحتم علينا جميعا ان نقرأ مبادئ النحو والصرف قبل ان ننشر بين الناس مبادئ هدم النحو والصرف والعروبة!.

كلنا اطباء!

لا مانع من أن أدعى العلم بالطب مادام بعض الاطباء يفعلون ذلك.

فقد لاحظت أننى أشكو من اصابع يدى.. فهى توجعنى واصبح عاجزا عن تحريكها أو أن أحمل شيئا بيدى ويكون ذلك فى الليل وبعد النهوض من النوم مباشرة. ثم لا أشعر بذلك إما لأننى انشغلت عنها تماما أو لأننى غيرت المكان أو العمل أو أن درجة الحرارة قد اختلفت.

وهذا يحدث فى أوقات وفى مناسبات أعرفها جيدا. فعند الانفعال الشديد: الغضب أو الحزن أو الارهاق أشعر بأوجاع فى اصابعى. وفى أمعائى.. المصران الغليظ بصفة خاصة.. وأكبر دليل على أنها مسألة عصبية، هذا المصران الغليظ الذى يصاب به أكثر الناس و ٨٠٪ من الذين يقومون بأعمال عقلية: الادباء والفنانون والصحفيون

والسياسيون الذين يجلسون على مقاعد سواء كانت هذه المقاعد فى سيارة أو طيارة أو فى مكتب.

ويكون العلاج البسيط هو: الراحة..

وليس أسهل من أن يقال لك: استرح.

وليس أصعب من أن تحقق هذه الرغبة ومن حقك أن تتساءل: الراحة أين؟ وكيف؟ ومتى؟

مثل هذه الاسئلة لا تريح ولكنها تضاعف متاعبك وأوجاع اصابعك وأمعائك وليس اسهل من أن تبتلع أقراص الاسبرين بشئ من الانتظام.

فلا يزال الاسبرين هو العلاج الوحيد الممكن فى هذه الدنيا ـ إذا أضفت إليه العلاج الوحيد وغير الممكن فى هذه الحياة: الراحة..

الآن وقد عرفت أسباب أوجاع الاصابع وعرفت علاجها فأين تذهب؟

هناك عشرات الاجابات من بينها ألا تذهب إلى أى مكان وإنما فقط أن تختار مكانا بعيدا عن مكان العمل وعن البيت.. تحت شجرة فى أى حقل.. أو بجوار أى مجرى مائى..وتمدد رجليك وإذا استطعت أن تنام فأنت مريض نموذجي وفى نفس الوقت أحسن طبيب، وإذا لم تفعل فأنت نموذجي أيضا لأنك لا تحترم تجارب الآخرين الذين هم مرضى وليسوا أطباء.. والله أعلم..

نظافة القاهرة

عندى موضوع سخيف يستحق جائزة نوبل لكل من يجد له حلا علميا او اجتماعيا او اخلاقيا. هذا الموضوع هو نظافة القاهرة ـ طبعا والمدن الاخرى.

ولا شئ لم يقله احد فى هذا الموضوع. ولا يوجد قلم لم ينشف ريقه وهو يكتب عن الشوارع والبيوت والورق الذى يتساقط والزبالة التى تتكوم والطيور التى يرونها فوق الاسطح وتحت السلم، وفى الشقق. كل ذلك قد قيل فى الصحف وفى الميكروفونات. وكما ظهر الكلام اختفى، وكما انطلقت الاصوات تلاشى الصدى

والنتيجة؟

صفر لكل المتكلمين وعشرة على عشرة لكل اكوام الزبالة فى كل مكان..

مثلا: اذا كان صاحب السيارة الكبيرة، او السيارة فقط يفتح النافذة بسرعة ويلقى بالسيجارة على الارض، فما معنى ذلك؟ معناه ان صاحب السيارة أو سائقها يجد أن القاء السيجارة فى الشارع اسهل من اطفائها فى المكان المخصص لها.. أو وضعها تحت قدميه فى داخل السيارة.. وكثيرا ما سقطت هذه السيجارة على رأس أحد.. أو على احد.. وكثيرا ما اضطر إلى أن يعتذر ونادرا ما يفعل ذلك احد. واذا اعتذر فلكى ينتهز هذه الفرصة ليبدو مهذباً أو فاهما للاصول. مع انه قذر ومهمل ومستهتر وكذاب.. وليست هذه شتائم، وانما هى صفات حقيقية لاى انسان يفعل ذلك. واذا كان صاحب السيارة او راكبها يفعل ذلك، مع امكانية القدرة على اطفاء السيجارة فى مكان ما من سيارته، فماذا تقول للماشى على رجليه وغير قادر على ان يبتلع بقايا السجائر او ليس فى الامكان اطفاؤها فى كفه او جيبه.

وهذا فقط بند السجائر. وهناك بنود اخرى تبدأ من قشر البطيخ إلى ريش الدجاج وقشر السمك وطشت الغسيل..

اشك ان احدا يستطيع ان يفوز بجائزة نوبل اذا اراد ان يؤلف بحثا عن نظافة القاهرة، دون ان يمزق هذا البحث ويلقى به من النافذة، على رؤوس الناس!

سافر.. سافر!

كان شاعرنا القديم يتحدث ويتغنى بجمال الانتقال من مكان لمكان والسفر من جانب من الدنيا إلى جانب آخر:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب ما فى المقام لذى لب وذى أدب معزة، فاترك الأوطان واغترب إنى رأيت وقوف الماء يفسده فإن جرى طاب أو لم يجر لم يطب والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه فى كل حين عين مرتقب والأسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب والتبر كا لتراب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب فإن تغرب هذا مطلبه وإن أقام فلا يعلو إلى الرتب!

يعنى: أن الماء إذا وقف صار راكدا.. والقمر لولا أنه يكون هلالا ويكبر ويكبر فإن أحدا لا يلتفت إليه.. والأسد إذا ظل طول الوقت فى عرينه فإنه يموت من الجوع.. والسهم إذا لم يغادر القوس

فإنه لا يصيب الهدف.. وتراب الذهب إذا ظل فى مكانه من الجبال والمناجم فإنه لا يكون ذهبا إلا إذا نقلناه إلى المصانع نصبه ونقيه.. وإلا ظل كأنه تراب.. والعود ـ أى أعواد البخور ـ لابد من نقلها من مكانها لمعالجتها فيكون لها الشكل الذى تعرفه والرائحة الجميلة أيضا.. وإذا لم يسترح الإنسان فى بلاده فليذهب إلى بلاد أخرى.

والمعنى: لابد من أن تنتقل من مكان إلى مكان.. لابد من أن تسافر.. والسفر ترويض وترويح.. تتغير الدنيا أمامنا.. ونتغير نحن أيضا.. فالدنيا كتاب كبير نقلبه بأيدينا وأرجلنا وعيوننا وعقولنا وقلوبنا.

ولولا أن الناس يسافرون ويتعلمون ويهاجرون من مكان إلى مكان ما كانت حضارة إنسانية.. فالمجتمعات المغلقة على نفسها لا تسافر، ولا يسافر لها أحد هى شعوب متخلفة.. وعلى استعداد لأن تنقرض.. ولقد رأيت الهنود الحمر فى أمريكا والزنوج فى استراليا أنهم بقايا شعوب كانت مثلهم ثم سبقتهم وتطورت.

ولولا سفر الشعوب بعضها إلى بعض ما عرفنا ولا تقدمنا.. ولا رأينا ولا تعلمنا.

فإن تستعد للسفر وأن تسافر وأن تعايش أناسا آخرين.. حياة أخرى وعادات وتقاليد.. وأن تتجدد الأشياء والألوان والناس والعلاقات.. فهذه هى الراحة.. وهذه هى اللذة المؤكدة.. والذى عرف السفر ولو مرة واحدة، فسوف يسافر مرة واثنتين وثلاثا.. وأنا أحمد الله أن مكننى من السفر كثيرا وطويلا.. فأنا لا أعرف كم

مئة مرة سافرت... فعندى أربعون جواز سفر قد امتلأت كلها.. ولا يزال السفر من أعظم وأروع متع هذه الدنيا.

إنها السياحة فى بلاد الله وبين خلق الله.

ولأننا لا نعرف أين ومتى وكيف نسافر، فقد تشكلت شركات للسياحة فى كل الدنيا وإلى كل الدنيا.. هذه الشركات هى التى تضع البرامج وترتب وتدبر وتختار لنا الوقت والمكان الذى يناسبنا ويتفق مع قدراتنا المالية.. وهكذا صارت السياحة رياضة وتجارة وعلاجا.. وقد تخصصت فيها شركات ووكالات عالمية كلها متشابكة بين القارات الخمس.

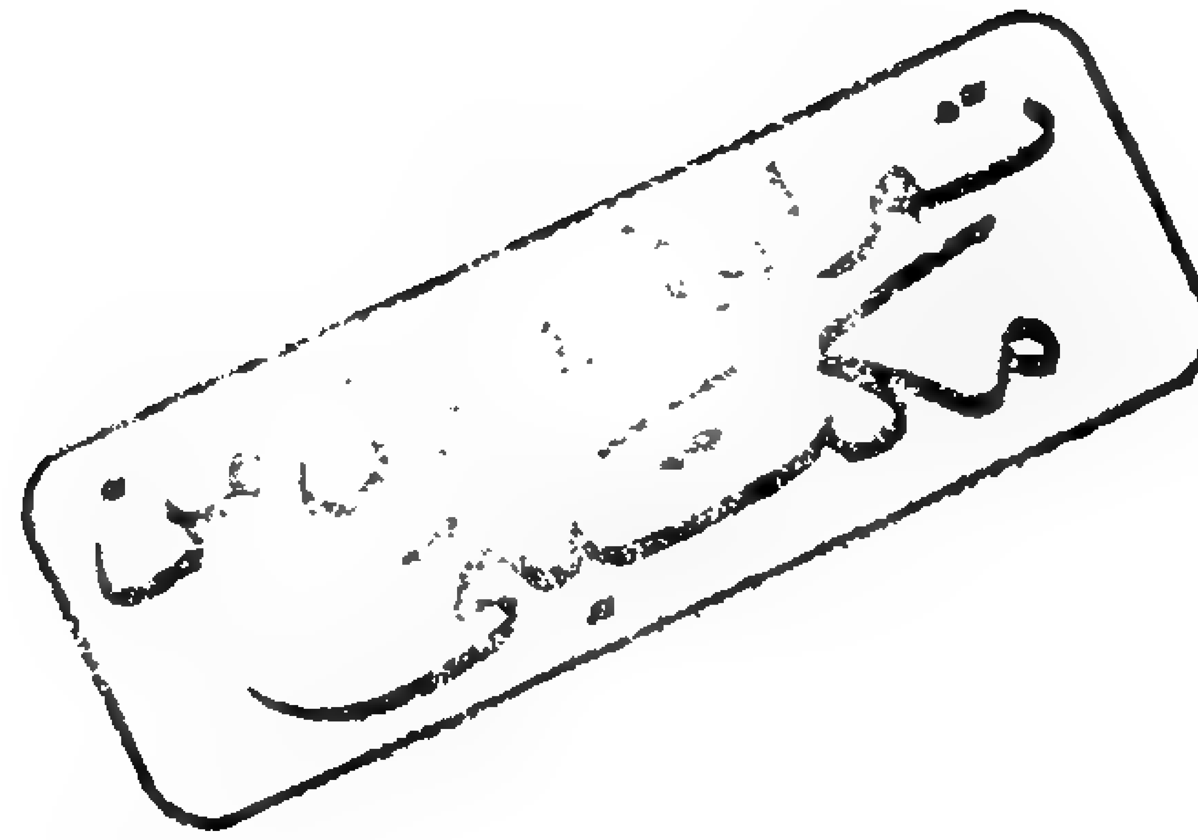
والخواجات أكثر انضباطا ونظاما واقتصادا منا.. فكل واحد يعرف مع بداية العام الجديد.. متى تكون الاجازة.. وكم يوما وإلى أين.. وكم تتكلف ولذلك فهو يقرر مع بداية العام.. ويذهب إلى الشركة السياحية ويحجز الوقت والمكان.. وينصرف بعد ذلك إلى عمله.. حتى إذا جاء موعد السفر وجد كل شئ جاهزا محجوزا فى أى مكان فى الدنيا.

وكذلك السياحة الدينية: العمرة والحج.. فهناك شركات ووكالات ترتب وتنظم وتوفر وتدرب.. وتكسب من وراء ذلك.

وتتبارى الشركات السياحية فى عرض برامجها على الزبائن.. وتتنافس فى اختيار المكان ودرجات الحرارة والأسعار.. الجميع يتنافس على راحة المسافر.. وهم يكسبون أيضا.

والسياحة مصدر رئيسى من مصادر الدخل فى كثير من دول العالم: أسبانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا واليونان ومصر.

فعلى أى شئ يتنافسون: على راحتك.. على ضرورة أن تستريح فى اجازتك.. وراحتك هى فى السفر إلى أماكن جديدة!.



مهموم فقط!

رائع ما يراه الشعراء

مروع ما يراه المعذبون

وانا مفتون بالجميع. وبالطبيعة ولذلك التقط البذرة والورقة والثمرة واللمحة والنغمة، ثم يتفجر احساس بها جميعا. اقنانا لحكمة الحياة. وسر الكون فأتذوق واستمتع واتوجع والعن وأرفض وأسخط واثور. على كل ما يقع في يدى وفي عينى ومن عينى ايضا.

انني افعل ما تؤديه الكائنات الأخرى الصغيرة في تواضع شديد ما تفعله الفراشة والنحل. طائرات دائرات راجعات، تقبل كل زهرة وتمتص وتفرز إلى الأبد.. وهي جميعا - ونحن معها - تساهم في الكورس اللانهائي لملايين المخلوقات التي تلمس ارادة الله وتنحنى لكل ما هو جميل. ولكل ماله معنى وهدف..

ولكن التواضع غريزة الحيوانات ورذيلة الانسان.. وليس من خصائص المفكر او الفنان.. فالفنان يريد ان يفعل شيئاً، او يتوهم ذلك.. يريد ان يجعل لكل ما يفعله معنى. او يتمنى ذلك..

فهو فلاح فى كل ارض. وربان لكل بحر. وطيار لكل جو.وشاهد على كل حكمة ارضية او سماوية فى كل عصر..

وهو بذلك يتحدى الطبيعة.

انه يريد ان يصعد الجبال ويهبطها إلى الأبد. حتى لو لم يكن لما يفعله. اى هدف سوى التحدى ـ كما فعل البطل الاغريقى سيزيف.

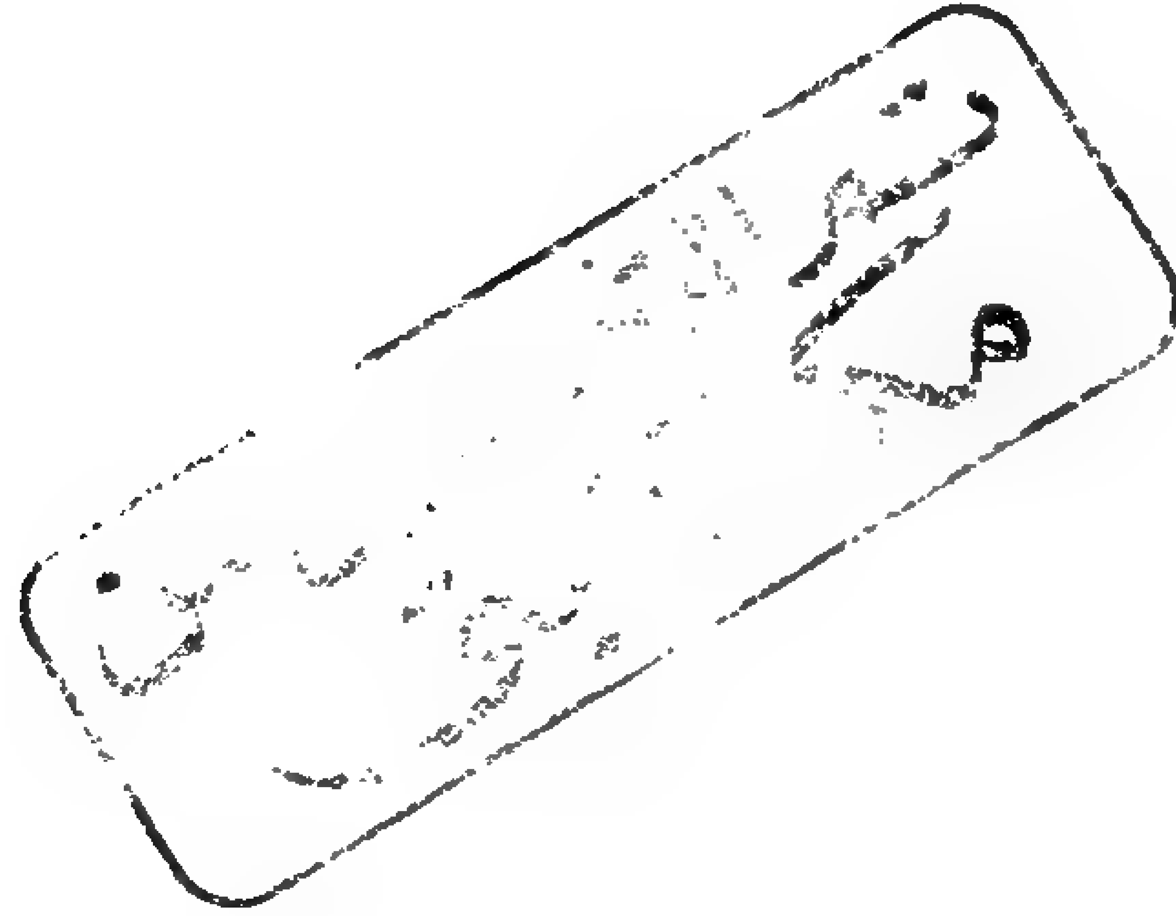
او انه يقف فى الماء العذب ولا يذوقه ولكن رغبته لا تنطفئ. وهو يعلم انه لا أمل. ولكنه يتحدى ـ كما فعل البطل الاغريقى تتنالوس..

او يحرث الارض ويبذرها بالملح وهو يعلم ان الملح مقبرة البذور وهو يعلم ان الفاكهة لا تنبت من الملح. يحاول ان يضيف مرارة الملح إلى حلاوة الفاكهة. ان يضيف مرارة الواقع إلى حلاوة الوهم ـ منتهى الجنون او منتهى الحكمة ايضا ـ ولكنه لا توقف. كما فعل البطل الاغريقى عوليس..

او يتثنى جمال الحياة والطبيعة والفن ينسى كل شئ ـ كما فعل بنا البطل الاغريقى أورفينوس..

ان الانسان هو الذى اذا قامت القيامة راح يغرس شجرة وهو يعلم ان عصفوراً واحداً لن يتأرجح على اغصانها. وان انسانا واحداً لن يسترخى فى ظلها ولكنها ارادة التحدى. هى التى تجعل الانسان يزرع الحياة فى وجه الموت. يلوح الأمل فى أهوال اليأس.. والتحدى هو الذى يجعله يخطف صفة الفلاح فى يوم انسحبت فيه الصفات من الجميع.. ويجعله يضيف كلمة بعد أن وضعت نقطة نهاية السطر فى نهاية كتاب الوجود.

ولست إلى هذا الدرجة متفائلا او متشائما.. وإنما أنا إنسان مهموم بالآخرين وبنفسى.. وعندى آراء فى أشياء، بعض الآراء فى بعض الاشياء. بعض الوقت!



استقر واستمر..

ان تقرأ عن احد نجوم السينما انه يدمن حتى يسقط على الارض.. او انه لا ينام الا فى العاشرة صباحا ولا يصحو الا عند منتصف الليل ـ طبعا هذا شأنه هو. وهذه حياته وهو حر فيها: ان ينفقها فى عشر سنوات او فى عشرين سنة!!

ان تقرأ عن لاعب كرة معروف انه لا يستطيع ان يجرى فى الملعب عشرَ دقائق دون ان تنطق الصفافير والزمامير من صدره، فمعنى ذلك انه لا يهتم بصحته. ولا هو يحترس فى الاكل والشرب والتدخين والسهر والتدريب. ومن المؤكد ان حياته كرة فى يده او فى رجله، ان شاء القى بها فى الشبكة او القى بها تحت اقدام الجمهور..

ولكن الذى يجب ان يهمنا هو كيف يحرص الانسان على حياته.. او على الاصح كيف يحرص الانسان على ان يكون فى المركز الذى يشغله والذى وصل اليه واستقر عليه بالتعب والاستمرار.

نجم السينما الذى اصبح فتى اول قد تعب فى ان يفوز بحب الناس. فكيف يبقى هكذا فترة طويلة. ان نجوم الشاشة الاوروبية والامريكية حريصون جدا على حياتهم.. او على لياقتهم الفنية.

واللياقة الفنية: صحة وتدريب.

ومادام الممثل قادرا على ان يفى بالالتزامات الفنية،وان يظل مرغوبا من الناس، استطاع ان يكسب اكثر من المال ومن حب الناس وان يعيش اطول..

وما يقال عن الممثل يقال ايضا عن اللاعب وعن المهندس والطبيب والمدرس وعن الكاتب والفنان..

واحيانا يتسع وقت الانسان او قلبه ليشعر بالاشفاق على فنان كان ممتازا، ثم اصبح شيئا تافها او ثانويا لاسباب معروفة، الاسراف فى الارهاق المهلك لصحته وحيويته. والاستغراق فى بطولات النوادى الليلية التي لا بطولة فيها لأحد.

فالليل اقوى من كل بطل، والنساء اكثر من ان يقوى عليهن رجل واحد كل ليلة وكل العمر!!

وهى قاعدة مدمرة لنجوم الشاشة أو للنجوم عموما ولذلك فعندما يتلاشى نجوم الشاشة والملاعب فإن الناس لا يشعرون بالأسى لهم او الاسف عليهم لانهم هم الذين اختاروا الموت السريع!

ابن حزم

دليل الأسى نار على القلب تلفح
ودمع على الخدين يهمى ويسفح
إذا كتم المشغوف سر ضلوعه
فإن دموع العين تبرى وتفضح
إذا ما جفون العين سالت شئونها
ففى القلب داء للغرام مبرح

هذه ابيات ابن حزم الاندلسى الذى عاش فى القرن العاشر، ولكن ابياته هذه وغيرها عاشت عشرة قرون اخرى بل ان المستشرق الألمانى بولك ينشر احصائية ان اسم ابن حزم قد تردد فى أكثر من ستة آلاف كتاب كلها تتحدث عن الحب والغرام.

وآخر مرة تردد فيها اسم ابن حزم فى مسرحية عرضت فى نيويورك من مدة اسمها «نحن الثلاثة» للكاتب الامريكى «ويلر»..

وموضوع المسرحية ان اثنين من الشبان يسكنان فى شقة.. ويجئ ثالث يوهم كل واحد منهما على حدة انه صديق للآخر.. ويقيم معهما، ثم يأتى بصديق له وينامان فى احدى الغرف.

وهنا تجئ عبارات غريبة ويجئ اسم ابن حزم الاندلسى خبير الغرام!

ومن الغريب ان ابن حزم هذا من رجال الدين ومن العلماء.. ولكن لم يكد يكتشف المستشرق بتروف سنة ١٩٢٤ كتابا نادرا لابن حزم اسمه «طوق الحمامة» حتى تحول ابن حزم إلى امام للعشاق والمحبين فى العصور الوسطى فى أوروبا والعصر الحديث.

ففى هذا الكتاب قد تحدث عن اسرار الحب والود والغرام والعشق.. وأنواع النساء والهجرة والصد. وفن الرسائل. وملامح المرأة وملاحتها أيضا.. وأحبهن إليه.

وابن حزم يستنكر الحب من أول نظرة.. وفى ذلك يقول وانى لأطيل العجب من كل من يدعى انه يحب من نظرة واحدة. ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه إلا ضربا من الشهوة.. وما لصق بأحشائى حب إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة الشخص له دهرا، واخذنى معه فى كل جد وهزل.

ولكن كيف يكون هذا حال رجل كهذا؟ ان ابن حزم الاندلسى قد وضع اصبعه على مشكلة العصر كله ـ عصره وعصرنا أيضا ـ فقد كانت المرأة هى التى تعلم الاطفال تعلمهم القرآن الكريم والحديث والشعر والخط.. ومن الطبيعى ان يبدى الطفل اهتمامه

بالمرأة فى سن مبكرة فإذا أصبح شابا رأى اهتمام الكبراء بالشعر والغزل والمغامرات.. ورأى عددا كبيرا من النساء فى بيته وفى بيت غيره من الكبار والاثرياء.. وكان ابن حزم واحدا منهم.

وهى نفس قضية العصر.. فكل الصحف والمجلات والمسارح والشاشة تعرض قصص الغرام، واغانى الغرام ورقص الغرام.. فكل شئ يشعل النار فى اجسام الاطفال والشبان... ويندهش الكثير من الاباء والمصلحين والمربين لهذه الفورة عند الجميع.. مع ان الذى يبعث على الدهشة الا يكون شئ من ذلك!

وابن حزم لا يترك جيله وهذه الاجيال دون نصيحة فيقول: ان العلم يضئ ولا يحرق.. ولكن الجهل يقتل ويحرق.. فلا خوف من العلم أو معه وهذه العبارة صادقة وحسنة النية، وهى وحدها التى تؤكد ان ابن حزم فعلا كان يعيش فى القرن العاشر.. ولا يعرف ماذا اصاب الناس فى القرن العشرين وكيف اختلطت فى عقولهم وقلوبهم ومعداتهم واحلامهم كل المعانى: فهم يتحدثون عن الكراهية بمنتهى الحب وعن الموت بمنتهى الحيوية!



اين الحب ؟

هل اختفى الحب العظيم؟ هل تلاشى الاخلاص حتى الموت؟ هل الحياة اقوى من الموت. والحرص على الحياة اقوى من ذكريات الموتى؟ الم يعاد هناك شئ يساوى ان يتعذب الانسان من اجل انسان آخر أحبه ومات؟

هل ضعفت ذاكرة الناس او تصلبت قلوبهم! هل من السهل على اى انسان ان ينسى لحظات عميقة فى حياته او سنوات غالية فى عمره.. هى حياته وهى عمره؟

إن الكثير من القصص والمسرحيات والافلام التى نراها تؤكد لنا أن الحياة قطار او طائرة او سيارة. واننا نلتقى بعض الوقت ونسعد بعض الوقت ونفترق لأى سبب.. ولكن علينا ان نكمل الرحلة وحدنا او مع آخرين..

فكل إنسان قد أخذ نصيبه من الحياة.. وليس من العقل ان يبيع الانسان عمره على اناس انتهت اعمارهم.. فلا شئ يساوى هذا العذاب او هذا الالم..

ومعنى ذلك ان العلاقات الانسانية هينة رخيصة.. عابرة.. وان الانسان يجب الا يفرح بشئ لأنه سيفقده ويجب الا يبكى على شئ لأنه لا امل من وراء البكاء.. فما راح راح.. وما جاء سوف يروح.. ومادامت الدنيا كلها إلى نهاية.. فلماذا نتعجل هذه النهاية ولماذا نعيشها قبل الأوان..

ولكن يبدو ان تيارا عكسياً بدأ يظهر على الشاشة يرد إلى الانسان اصله فى الحياة وتمسكه بالقيم الانسانية.. ومقاومته للموت والفناء.. فالذكريات والحياة على الذكريات معناها:

ان الذى مات لم يمت.. بل من الممكن ان يكون الاموات اقوى من الاحياء.. بل فى استطاعة الموتى الاعزاء ان يستولوا على حياتنا.. ونحن سعداء بهذه التضحية..

ولا انسى الفيلم الذى ظهرت فيه صوفيا لورين واسمه «عباد الشمس» هو البداية الحقيقية للحب الكبير العميق.. فهى تقوم بدور زوجة مات زوجها فى الحرب العالمية الثانية تحت الجليد فى روسيا.. ولكنها لا تستطيع ان تصدق ذلك.. فذهبت إلى روسيا تبحث عن الزوج.. تنتقل بين المدن والقرى.. وتقف على ابواب المصانع تنظر إلى وجوه العمال ذوى الملامح الايطالية.. ان شيئاً فى داخلها.. فى قلبها.. فى احلامها يؤكد لها ان زوجها لم يمت وانه حزين

عليها.. وانه فى حاجة إليها.. كما انها فى حاجة اليه.. وتنتقل صوفيا لورين إلى مقابر الشهداء.. وتتمشى بين الموتى.. بين قصص حب تحولت إلى تراب.. بين أحلام تكسرت وآمال تهشمت!!

وسجلت بداية إنسانية..

أو بداية لتصحيح الضياع الانسانى..

أو الضياع العاطفى..

ومعنى ذلك ان الانسان بعد ان يموت يمكن ان يعيش فى قلوب الذين يحبهم.. انه بعد موته لا يدرى بشئ.. ولكن الاحياء يعيدون اليه حياته مع مزيد من الامتنان.

ان الجديد هو شعور الانسان بالامتنان فى عصر من اهم معالمه: الجحود والنكران والكفران ايضا!



كنا أفضل

بعضنا ـ ونحن شباب ـ كان يقرأ الصحف والمجلات، وبعضنا لا يعرفها، ولا يجد لها معنى. بل ولا نعرف اسماءها. هل لاننا كنا فى الريف ـ فى المنصورة؟ ان الناس فى بلادنا يقرأون الصحف ويعرفون اسماء الوزراء.. لا اعرف بالضبط ما الذى كنت اقرؤه من الصحف. أو ان كانت هذه الصحف تدخل بيتنا. ولكن استطيع ان أقول لم اقرأ الصحف فى ذلك الوقت. ولا كانت نقصا اشعر به.. ولا ميزة عند أحد منا.. ولا كان اسمها يرد فى احاديثنا.

فما هى هذه الاحاديث ونحن نمشى على كورنيش النيل فى المنصورة؟

أكثرها كان تلخيصا للكتب التى قرأناها قبل أيام. فقد اعتدنا على أن يحدثنا واحد عن كتاب قرأه. وكنا فى حالة استسلام تام لما يقول. ومتعة أيضا ان نعرف وان نكدس المعلومات من هنا ومن هناك.

أحيانا يلتف احدنا إلى فتاة تمشى بعيدا يقول: انها صفية.. انها تسكن فى البيت المجاور لبيتنا. واقول: اننى لم ارها ولا اعرف ملامحها. ولا أريد أيضا.

وإن كان بعضنا أكثر شجاعة أو جرأة فيتركنا ويذهب إلى واحدة تمشى بعيدا،. ويذهب إليها ويقفان طويلا ويضحكان ويعود إلينا سعيدا. وقد ملأ يده بالفول السودانى ـ اخذه من شنطتها انها صديقة أو قريبة أو جارة.. لا اعرف ولا يهمنى ولا اريد!

هل هى استقامة؟ اخلاق؟ عفة؟ زهد؟ لامبالاة؟ لاشئ من ذلك.. ولكن اهتمامى بعيد عن ذلك ولكن لماذا؟

لاننى اتحرك فى مكان ضيق جدا.. لاننى امشى فى نفق تحت الأرض. هذا النفق هو: أنا تلميذ يجب أن أذاكر. وأن يكون ترتيبى الأول دائما.

لماذا؟ لا اعرف ولكن هذه هى مبادئ الاخلاق عند أمى وأبى. ولكى احقق ذلك لابد أن التفت فقط لدروسى، واننى لست مثل أى أحد ويجب ان أبقى كذلك.

فكنت الأول فى جميع مراحل الدراسة وفى الشهادات العامة. الابتدائية والثقافة والتوجيهية والليسانس.

عيب فى تكوينى؟ لم اعرف ذلك فى أى وقت.. ولكن أدى ذلك إلى أن أكون بعيدا عن زملائى.. أنا ابتعدت؟ هم ابعدونى؟ لا اعرف ولكننى وجدت نفسى بعيداً. وبقيت كذلك. فأنا اجلس فى

الصف الأول من الفصل فى مواجهة المدرس. فإذا رفعت يدى ـ ولابد أن افعل ذلك فلاننى قد ذاكرت كل شئ فى البيت ـ سمعت الضحك والسخرية من زملائى فى كل جوانب الفصل.. استنكارا.. أو استخفافا..ومن الغريب ان المدرسين كانوا لا يسألوننى فهم يعرفون مقدما اننى اعرف الاجابة.. ولذلك يتجهون إلى زملائى الآخرين.. وبعضهم قد وضع صورا عارية فى الدرج.. وبعضهم يدخن سرا.. وكنت ارى ذلك جريمة كبرى.. أو شيئا شاذا.

وكنت ألاحظ أن أكثر الشباب مرحا وخفة دم وأكثرهم ثراء هم الذين يجلسون فى آخر الفصل لا يقرأون ولا يذاكرون ولا يخافون من الرسوب فى نهاية العام. وكنت ارى ان هناك نوعين من تلامذة: هؤلاء.. ثم الذين هم مثلى فى الصفوف الاولى ويبعدون عن زملائهم.

وكنت ارى زملائى هؤلاء أكثر فصاحة.. وعندهم حكايات ويدخلون فى مناقشات سياسية ـ ولا اعرف معنى كلمة السياسة.. ولكنهم يذكرون اسماء الوزراء والبكوات والباشوات واحيانا الملك.. ويدخنون ومعهم فلوس كثيرة.. ويأكلون السندوتشات دائما فى حوش المدرسة.. واندهش جدا. لماذا لا يفطرون فى بيوتهم.. وعرفت انه على الرغم من انهم يفطرون لكن لابد ان يأكلوا السندوتش.

إذن الاغنياء هم الذين تلمع بدلهم واحذيتهم ويضعون الكرافتة والساعة ويضحكون بلا خوف ويأكلون السندوتش ولا يقرأون لا الكتب المقررة ولا غيرها.. ولم يذهبوا قط إلى المكتبة العامة.. ويعرفون عددا كبيرا من البنات!

انها لعنة

علماء الأرصاد الجوية فى أوروبا مشغولون جدا ببحث قضية أخلاقية موسيقية هى: كيف كان الجو فى مدينة فيينا منذ أكثر من مائتى عام، أو بالتحديد يوم ٦ ديسمبر سنة١٧٩١ ؟

ففى هذا اليوم توفى الموسيقار العظيم موتسارت عن ٣٥ سنة، وهو العبقرى الذى بدأ يعزف على البيانو وهو فى السابعة ويؤلف لنفسه وهو فى العاشرة، وقد ظن الناس فى أيامه أن عليه عفريتا وأن هذا العفريت هو الذى يكتب له، ولذلك كانوا يحبسونه فى غرفة، ثم يفتحون عليه الباب، فيصرخ الطفل الصغير، ولا يجدون عنده أحدا من الناس أو من الجن.

لقد كان هذا الطفل إحدى معجزات القرن الثامن عشر فى أوروبا وفى كل العصور وفى كل البلاد أيضا.

هذا الشاب تقدم للزواج من فتاة.. رفضت الفتاة أن تتزوج «عيلا» مجنونا، ولكن خطيب هذه الفتاة قد دخل التاريخ فقط لأنه رسم لوحة بالقلم لهذا الموسيقار.

وتزوج فتاة أخرى كان يطلب إليها أن تحكى له الحكايات وهو يؤلف موسيقاه، إنه يريد شيئا يشغله ويعطيه مبررا للتركيز، وكانت تقص عليه القصص وعندما تنهى قصصها كانت تعيد ما قالته، فكان ينبهها إلى أنه سمع هذه القصة من قبل.

وتقول كتب التاريخ إن الموسيقار عندما مات فى ٦ ديسمبر سنة ١٧٩١ لم تمش زوجته فى جنازته.

واختلف المؤرخون هل الجو كان شديد البرودة وكانت هى مريضة، وقالوا إن هناك خلافا عنيفا بين الزوجين، هذا الخلاف لم يحسمه الموت، ويقال إنه هو الذى طلب إليها قبل وفاته أن تحقق له آخر أمنية: ألا تمشى فى جنازته، فوعدته، ووفت بالوعد!

وبعد وفاة موتسارت تزوجت أرملته، وأعلن زوجها الثانى بعد ذلك أن الذى منع زوجته من الذهاب إلى قبر موتسارت أنها كانت مريضة!

أما علماء الأرصاد فهم يؤكدون أن الجو فى مدينة فيينا كان لطيفا ولم تكن هناك رياح عاصفة، وأنه كان فى استطاعة الأرملة أن تسير فى جنازة الزوج لو أرادت.

فهل الزوجة المشاكسة هى التى قصفت عمر هذا الموسيقار العظيم، أو إنها الموهبة الفذة التي نضجت مبكرا وذبلت قبل الأوان؟!

الجواب: إن كلا منهما نال عقابه.

هى: لعنة التاريخ.. وهو: لعنة العبقرية!



كلها خطيرة..

لا خلاف بين العلماء على خطورة التدخين.. هذه حقيقة علمية طبية مؤكدة، ولكن العلماء يختلفون فقط على متى يصبح التدخين خطرا على حياة أى انسان بعض العلماء يؤكد أن ضرر التدخين يبدأ مع أول نفس من اى سجارة من أى نوع.

وهذه الصفحة لا تتسع لأسماء المواد التى تدخل الرئتين والفم مع أول نفس.. ولكن يكفى أن نقول أن ألوف الملايين من الجزئيات تدخل الفم والحلق والرئتين.

وان هذه المواد تفرش الطريق أمام مالا عدد له من الاشياء الضارة وان سبب الانتعاش الذى يحس به المدخن هو مادة النيكوتين ومادة اخرى اسمها الادرانالين والمادتان معا تزيدان ضربات القلب وترفعان الضغط وبذلك يرتفع الدم بكميات اكبر إلى الرأس.. وبذلك تحدثان نوعا من التنشيط، أو نوعا من (الحماس) وهى حماسة كاذبة انها حماسة الانسان اذا ضربته بالكرباج فراح يجرى امامك.. والذى يراه

من بعيد يقول: انه بطل رياضى والذى يعرف الحقيقة يقول انه خائف ومع الخوف يفرز الجسم مادة الادرانالين التى تجعله ينشط وينطلق.

وهو نشاط ارهابى او بالاكراه واذا كان هذا النشاط مستمرا، فانه يصبح مرهقا وهو لاشك يهد الحيل.

فاذا كان التدخين عادة يومية فان الجسم يكون قد تكيف مع هذه الكرابيج الداخلية، ويطلب الكثير منها.. ما دمنا نرغم اجسامنا على أن تضاعف عدد ضربات القلب والصدر والكليتين.

والعلماء فقط يختلفون على درجة خطورة السجائر احد العلماء يقول ان ضررها يبدأ بعد ثلاث ثوان من التدخين والبعض الاخر يقول بعد دقيقة.

ولكن من المؤكد ان كل إنسان قد اخذ مليون نفس هو فى قلب الخطر وهو مريض أو قد رفع حالة الاستعداد لكثير من الامراض إلى الدرجة القصوى، وهذا المليون نفس يساوى تدخين علبة سجائر يوميا ولمدة خمسة عشر عاما.

هذه المعلومات ترجمتها عن علبة سجائر تباع فى الاسواق الامريكية، لقد اصبح من الواجب انتاج السجائر والتحذير منها فى نفس الوقت، وبعد ذلك وقبل ذلك فأنت حر فى اختيار النهاية التى تعجبك.

اى ان تموت فى صحة جيدة او ان تموت مريضا وان تقول ايضا اذا كان الموت هو نهاية الاصحاء والمرضى فما قيمة الصحة والمرض.

كلام معقول.. ولكنك حر!.

والباقى على الله !

أصعب علاقة بين رجل وامرأة هى: الزواج.. وأسوأ العلاقات أيضا.

إن كنت ناسيا فإننى أفكرك.. كيف كان الكلام أيام الخطوبة وقبلها بقليل وبعدها بقليل.. ثم ما الذى انطفأ بعد ذلك فى العينين ـ عينيك وعينى العروسة وأمها وأبيها وأخواتها.. لقد كان حضورك إلى بيت العروسة يوما تاريخيا.. فكل شئ جديد.. وكل شئ قد استعار من الشمس الدفء ومن القمر النور ومن النجوم مالا نهاية له من الفرحة.

وكيف كانت الكلمة التى على لسانك هى التى أيضا على لسان حماتك.. وكيف أن ذلك كان دليلاً على توارد الخواطر.. وإذا أنت نسيت فلا عتاب لك، وإذا أنت تذكرت فعظيم أجرك.

ويقولون لك: ماذا قالت فلانة التى رأتك ولم تصل على النبى.. وعلانة التى رأتك وحسدتك. وحسدت ابنتهم عليك.. يعنى أنت كنز عظيم وأنت نعمة من عند الله.. وأن جدة العروس رحمة الله عليها كانت قد رأتك فى منامها.. ووصفتك بالضبط.. وأنا أقول أوصافك: طويل عريض.. ضحكته حلوة.. وقلبه طيب.. وأمه ماتت ـ المهم أن تكون الست والدتك قد ماتت لكى تكون عروسك بلا حماة. ويمنعك الحياء إن تقول أن جدتك التى لم تمت قد تخيلت العروس بالصورة التى تراها.. بل إن الصورة التى تراها أجمل وأروع. فلما رأتها جدتك حمدت ربنا أن كتب لها العمر الطويل فترى الزوجة الجميلة التى هى قرة عينيك فى الحياة!

كل هذا وأكثر كان أيام الخطوبة وبعدها بقليل وبعد الزواج بكام ساعة!

ثم كان الزواج.. كم يوما شهر العسل؟.. قل عشرة..ولا أحد يعرف أو يتذكر أو يريد أن يتذكر كيف كان الزمن ثقيلا، وكيف أنك كنت تكنسه بمقشة الصبر والتسامح.

وبعد ذلك تغيرت عقارب الساعة وصارت عقارب حقيقة. وكيف أن الساعة أصبحت بدلا من ٦٠ دقيقة ٦٠٠ دقيقة.. وكيف أن الكثير من الأنوار قد انطفأت فى عينيها وعينيك. وكيف أن العيون قد أغمضت فلم تعد ترى.. لا ترى أحداً ولا يراك أحد.. وكيف أن الأيام كلها قد تشابهت.. نهارها وصباحها.. وسبتها وأحدها وخميسها.. ويونيو وأغسطس وسبتمبر.. كلها استعادت

أرقامها وألوانها ودرجات حرارتها.. وكيف أن الزهق الذى بدأ يغزوك فى المكتب هو فائض الزهق والقرف الموجود فى البيت. وكيف أن النوم يجئ سريعا وطويلا.. وكيف أن النفس قد انسدت عن الطعام والشراب.. وأنت لا تسمع ما تقوله العروس فى التليفون لصديقاتها ولأمها إن كانت على قيد الحياة ـ ولمعلوماتك فإن الحموات لايمتن كثيرا ولا بسهولة!.

ولو عرف الرجال ماذا تقول النساء عن الرجال ما تزوج رجل واحد.. ولو عرف المتزوجون ماذا تقول الزوجات ما بقيت امرأة واحدة على ذمة رجل.. فأنت قرد وبخيل وأنانى ـ وأنت لاتدرى. وأنت كنت زبالا أو شحاذا أو عاطلا، وزوجتك هى التى جعلت منك بنى آدم.. وهى التى علمتك كيف تغسل أسنانك وتجفف أذنيك.. وتأكل بالملعقة والسكين. ثم إنها هى التى تنفق على البيت من مالها الخاص.. يعنى بعملية حسابية بسيطة: أنت ولا حاجة ثم أنت لا حاجة إليك!

كيف حدث كل ذلك!

لا ذنب لك. لا ذنب لها. فالعلاقات الطويلة مملة.

وتبعث على الزهق وعلى القرف والضيق. والعلاقات الطويلة هى التى تجعل الغزال قردا، وهى التى تجعل القمر محاقا. هناك مثل يقول: الضيف فى أول يوم: قمر منور.. وثانى يوم: طبق مدور. وفى ثالث يوم: عفريت مصور ـ فما بالك بعشرات السنين من الزواج.

والمثل يقول: إن الضيوف والأسماك تظهر لها رائحة بعد ثلاثة أيام.. فما هى الرائحة بعد عشر سنين أو عشرين؟

لاذنب لك.. ولاذنب لها ولكنها طبيعة العلاقات الإنسانية. فإذا أضيف إلى ذلك: سوء الفهم.. وسوء الطبع. والأنانية. والغيرة والعقوق. عقوقك أنت أمام التى جعلت منك بنى آدم محترما بين الناس وقد كنت محتقرا. وكان الناس لا يحبون أن يعرفوك أو يقتربوا منك. ولكن الزوجة هى التى قامت بدعاية ضخمة لشخصك حتى ابتلعك الناس وهضموك.. وقد كنت قبل ذلك تقف فى (زور) كل الناس.. فالفضل لها.. وحتى لو مت فسوف تقول زوجتك: لولاها ماسار فى جنازتك شخص واحد. لماذا؟ لأنها هى التى أقنعت الناس بأنك نموذج للزوج والأخ والأب والصديق والحبيب.. ولولا هذه الأكاذيب لتركوا نعشك يمشى وحده!

يعنى إيه؟

يعنى أن هذه هى طبيعة الأزواج طال بهم الزمن أو قصر وإن كانت كل العلاقات الزوجية طويلة.. لا لأنها طويلة ولكن لأن ثوانى ودقائق الساعة الزوجية ثقيلة.. وهى ثقيلة لأنها مملة. وهى مملة لأن الزوجة تقول نفسى الكلام ليلا ونهارا. والذى تقوله هو: أنت ولا حاجة وأنها هى كل حاجة ولولاها ما كان الذى جرى.. يعنى إيه؟

أنت تحاول أن تجعل للذى لا معنى له ولا ضرورة، شيئا له معنى وله ضرورة.

ورحت أقول وأعيد لصديقى لعله يفيق من الدوخة التى بدأت من عشرين عاما وأسفرت عن خمسة من الأولاد.. وقال لى: انصحنى!

قلت: أنا عملت اللى علىَّ والباقى على الله!

لابد أن يعودوا..

الصدفة وحدها جعلتنا: د. سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب وأنا ندخل مطعماً ملاصقا للفندق. وفجأة وجدنا وجها ضاحكا رقيقا إنه مصرى. صاحب المطعم مصرى اسمه صلاح الدمرداش.

المطعم اسمه: لاجوسترا.. ومعناه الساقية أو المراجيح لسبب خاص اختار هذا الاسم.

إنه جاء إلى إيطاليا من عشرين عاما. وتزوج إيطالية. وهو صاحب المطعم ومحل آخر مجاور لبيع المشروبات. وهو سعيد فى حياته.ولا يضايقه إلا أنه يريد أن يكون عضوا فى (نادى الصيد) المصرى ـ ليه؟ مش عارف ـ إنه يعيش معظم الوقت فى إيطاليا وإذا جاء إلى مصر فأيام وفى استطاعته أن يتغدى أو يتعشى طبعا فى جميع أندية مصر ـ بما فيها نادى الصيد!

وهذا الرجل اللطيف الظريف كان مشكلة: فهو يقدم لنا أحسن الطعام وأجمله وألذه.. ويصر ألا يتقاضى مليما واحدا. فى طولك فى عرضك.. أبداً. إنه سعيد بوجودنا. وسعادته لا تقدر بثمن. ونحن أيضا سعداء به وبمطعمه الجميل ونريد أن يكسب منا ومن غيرنا. ولكنه رفض. تماما مثل (أولاد البلد) المصريين الجدعان.. وهو حريص على أن يظل ابن بلد فى إيطاليا أو فى غيرها.

وجاءت السيدة زوجته وأصرت أن تصنع لنا عشاء إيطاليا من الكائنات البحرية الكثيرة فى إيطاليا ابتداء من (أم الخلول) حتى الاستاكوزة.. بمنتهى الأمانة لا أكلنا قبل ذلك ولا بعد شيئا مماثلا لما صنعته هذه السيدة. وكان من الصعب علينا أن نعرف أين البهارات وأين الشطة وأين روائح عطرية أخرى فى هذا الذى صنعته هذه السيدة!

سألت: ما الصعوبات التى تواجه أى مصرى فى هذه البلاد غير اللغة الإيطالية؟

فكان جوابه ولا حاجة.. فالناس هنا طيبون جداً. وفى غاية اللطف. ولا يمضى وقت طويل حتى تكون واحدا منهم.. ثم يبدأ بعد ذلك الحساب.

أما الحساب فهو أن تدخل فى كشوف المواطن الذى يكسب والذى يجب أن يدفع الضرائب. والضرائب هنا لا تعرف الرحمة.. وبعد ذلك وقبل ذلك تدخل فى دوامة العمل.. الذى لانهار له ولا ليل. ويجب أن تعمل أنت كثيراً جداً لأن هذا أرخص من أن تأتى بعمال إيطاليين. فالعمال لهم حقوق كثيرة.

ولذلك فهو لا يفلت من (دوامة) العمل يوما بعد يوم بعد شهر بعد سنة.. بعد عشرين عاما. ولم يزر مصر إلا قليلا جداً.. ولا يعرف إن كان في استطاعته أن يعود إليها وأن يفتح له مطعما إيطاليا. وسألني: ما رأيي؟

قلت له: تعال أنت.. وسوف تجد في مصر مطاعم كثيرة في الفنادق وفي أماكن أخرى من كل لون وطعم.. وأنت وحدك الذي تقرر إن كان في استطاعتك أن تحتفظ بملايينك أو تضيف إليها ملايين أخرى.. ثم أنك كبرت في السن!

وفي الليل جاءتني سيدة لطيفة ومعها ابنتها. وفوجئت أنها تتكلم اللغة العربية بلهجة مصرية. وقبل أن أسألها قالت: أنا مصرية وأمي إيطالية ولدت في مصر وجئت إلى هنا وتزوجت هنا وهذه ابنتي!

الأم حلوة في الخمسين وابنتها أجمل في الثلاثين وقد تزوجت مدرسا إيطاليا وهي في نفس الوقت تعمل في أوركسترا الأوبرا.

ولما صافحتني الأم قلبت يدي لتقرأ حظي في يدي اليمنى واليسرى. وسألتني:

إن كان من الممكن أن تجد لها سوقا في مصر.

فقلت لها: من المؤكد فملايين النساء والرجال يعتقدون في البخت والفنجان والكف والودع والنجوم.. تماما كإيطاليا وأي بلد آخر.

وسألتني عن عدد من السيدات قارئات الفنجان والكوتشينة في مصر. وكم يكسبن وقلت لابد أنهن يكسبن كثيرا. ولكن بالضبط لا أعرف.

وشجعتها على أن تجئ إلى مصر: فزوجها سوف يعمل ـ حلاقا وهي تعمل قارئة كف. وابنتها من الممكن أن تنضم إلى أوركسترا القاهرة فهي أيضا إيطالية ومصرية الجنسية.

شئ عجيب هؤلاء المصريون لا يقدرون أن يعيشوا طويلا بعيداً عن مصر. فمهما طال الزمن ومهما كانت ثرواتهم ونجاحهم يريدون أن يعودوا إلى مصر ولو بنصف المال والصحة والحظ!



حالاً.. وكثيراً!

سؤال: ما هو الحب؟

جواب: هو أعقد علاقة وأكثرها غموضا بين رجل وامرأة، تناولها الشعراء والفنانون والفلاسفة منذ خمسة آلاف سنة. والنتيجة أن الناس مازلوا يطلبون المزيد من الحب وعن الحب، وقد نشرت صحف انجلترا أخيرا أن إقبال الناس على القصص العاطفية أكبر من إقبالهم على أى نوع آخر من القصص. ولكن ما هو الحب؟ هناك آلاف التعريفات للحب. فهناك من يقول: إنه شئ من القلب.. أو قوة سحرية تربط بين رجل وامرأة.. أو أنه ينبوع السعادة فى هذه الحياة.. أو إنه الشمس التى تشرق فى أفقين اثنين فى وقت واحد.. والشاعر العربى أبو نواس يقول:

يقول أناس: لو وصفت لنا الهوى

فو الله ما أدرى الهوى كيف يوصف

ولكن مع ذلك يمكن أن يقال إن الحب هو: تفاهم وتعود وامتلاك.. أنت تتفاهم مع إنسان وتتعود عليه وتريده لنفسك.

سؤال: متى يبدأ الحب فى حياة أى إنسان؟

جواب: مع الطفولة: فالطفل الصغير يرضع ثدى أمه، ويرضع حبها أيضا. ويظل متعلقا بها، فهى مصدر الحياة والحنان له. ولولا الأم لمات الطفل أو لما كان أصلا.. والأم هى أول إنسان تحبه. وهى أيضا أول إنسان يجب أن ننفصل عنه عندما نكبر. فالأم يجب أن تعاون ابنها على توجيه حبه ناحية أخرى، فلا يجب أن يتعلق بها طوال حياته. وإنما يجب أن يبحث عن «بديل» للأم.. عن فتاة تصبح صديقة وحبيبة وزوجة، وكل الذين تعلقوا بأمهاتهم تعلقا شديدا شاذا أصبحت حياتهم بعد ذلك جحيما: فهم ينظرون إلى المرأة على أنها يجب أن تكون كالأم لا يصح أن يقربها أو يتزوجها.

سؤال: هل الحب ضرورى؟

جواب: نعم ولابد من الحب لكى تكون أية علاقة بين اثنين من الناس ناجحة.. بين رجلين، بين امرأتين بين رجل وامرأة.. إن قصة روبنسون كروزو ذلك الرجل الإنجليزى الذى سافر من بلاده إلى جزيرة لا يسكنها أحد هى أقوى دليل على ذلك، لقد كان يعيش وحده.. ويضع البندقية تحت رأسه فإذا سمع صوتا فى أوراق الشجر انتفض واقفا وبندقيته فى يده. إنه خائف من كل شئ حوله.. ليس له صديق.. إنه عدو لكل سكان الجزيرة من الزنوج.. وفى يوم سقط فى يده زنجى وحاول أن يجعل من هذا الزنجى صديقا له، وتعب فى

ذلك جدا.. كان يخاف من هذا الزنجى ويتوقع أن يقتله بين لحظة وأخرى.. وبدأ يزرع الحب فى قلبه.. كلمة كلمة وعملا عملا.. وأمن إلى الزنجى وأحبه.. وأحبه الزنجى وهدأت الحياة فى الجزيرة.. وفى كل جزيرة مادام بين الناس حب، والزمالة حب والصداقة حب. والحب كالصمغ والدبابيس والمسامير التى تمسك الأوراق والأخشاب فى حياتنا، إنه جاذبية الأرض.. ولولا الجاذبية لطارت الحياة فى الهواء والبيوت والأشجار والناس والحيوانات.. ولتفتتت هذه الحياة من أولها لآخرها فالجاذبية ضرورية.. والحب ضرورى.

سؤال: هل يمكن أن يعيش الإنسان ويموت دون أن يحب؟

جواب: ممكن. ولكن هذا شئ نادر، والحقيقة أن الإنسان يشعر بميل نحو أى إنسان آخر، لابد أن يحدث هذا. ولكن ليس ضروريا أن يكون هذا الميل عنيفا. ومن المؤكد علميا أن الإنسان يحلم كل ليلة. ولكنه عندما يصحو من النوم ينسى أحلامه وكذلك من الممكن أن يحب الإنسان إنسانا آخر.. ولكنه لا يدرى ولا يعبر عن حبه. فهو يحب دون أن يدرى.. ونحن فى حياتنا العادية نقول هكذا: فلان دمه ثقيل.. وفلان استريح إليه.. وليس لهذه العبارات معنى غير الحب وعدم الحب.. ومن الممكن أن يظل الإنسان طوال عمره دون أن يهتز قلبه اهتزازا عنيفا، وفى آخر لحظة يصحو قلبه فجأة ويحب.. حدث هذا لنساء فى الخمسين والرجال فى السبعين كثيرا جدا.. أما فى عصرنا هذا فنحن نلهب الحب فى سن مبكرة.. نلهبه بالقصص والأفلام والأغانى والحريات.. ولذلك لا يشكو أحد من الناس من أنه لا يحب. ولكن من أنه يحب.. وكثيرا وبعنف.

زوجات الآخرين

شئ واحد يحاول كل زوج أن يهرب منه.. إذا رآه فى النافذة هرب هو من الباب وإذا رآه بالباب انطلق هو إلى الشارع.

هذا الشئ هو الذى يجعل الزوج لا ينظر إلى وجه زوجته ولا يسمع كلامها ولا يصبر عليها. ويرى أن الشارع أحسن من البيت، وأن الوقوف على الرصيف خير من الوقوف فى البلكونة، وأن كل زوجة أخرى أحسن من زوجته. وأن زوجته قبل الزواج كانت أحسن من زوجته بعد الزواج.

وأن زوجته كانت قبل الزواج تفاحة لامعة، أما الآن فهى خيارة صفراء.. هذا الشئ هو الملل.. هو الإحساس بأن كل شئ قديم، كلام الزوجة قديم وملابسها قديمة ونكتها قديمة أيضا.

والرجل يبحث عن الجديد.. أما زوجته فهى تقلب الكلام القديم لعله يبدو جديدا تماما كما تفعل بالفساتين والجاكيتات

والبنطلونات القديمة.. وقد يتغير لون الفساتين والجاكيتات، ولكنها مع ذلك قديمة.. كلامها وسلامها.

لماذا؟ لأن الزوج كان يجعل من زوجته مرآة قبل الزواج ينظر إليها ويربط الكرافته، ينظر إليها ويسرح شعر رأسه وحواجبه وشواربه. أما بعد الزواج فقد عرف المرآة وتعب من المرآة.. إن النظر إلى الحلل والأطباق والحوائط أسهل وأجمل من النظر إلى وجه الزوجة.

ولا يستطيع الزوج أن يقسو على زوجته. إنها ليست قمصياً ولا بنطلونا إنها كائن حى من دم ولحم وحب وعطف.. إنها هى التى كان يجرى وراءها وكان قلبه يدق وهو يصعد السلم إليها. إنها هى التى ضحت من أجله بابن خالتها وابن عمتها والضابط الأسمر. والمهندس الأشقر والفنى العجوز.

كل هؤلاء قد ضحت بهم من أجله.. فهل إذا فاز بها وأصبحت زوجته أصبحت إنسانا آخر.. وأصبحت بلا قيمة ولا كرامة؟ إنه لا يستطيع أن يغيرها إو يبدلها. أين يذهب من الناس ومن الأخلاق ومن التقاليد ومن الدين.. كل هؤلاء يقفون فى وجهه. ولو كان فى مجتمع بلا دين ولا تقاليد ولا أخلاق لتركها وراح يبحث عن غيرها. ولكن التقاليد تقف فى وجه الطائش من الرجال والنساء.

إذن لابد أن يغير «البرواز» الذى يضع فيه صورة زوجته وكلام زوجته وابتسامات زوجته وهموم زوجته.. سيجعل كلامها فى برواز كبير فيبدو كلامها صغيراً شاباً حيا. وسيجعل البرواز الذى يضع فيه هموم زوجته صغيرا فتبدو همومها كبيرة هامة خطيرة. ستصبح

مشكلة الغسالة التى لاتجئ إلا مرة كل أسبوع مشكلة كبرى تهمه وتهم زملاءه فى العمل وسيرويها لكل أصدقائه من الصحفيين وستصبح مشكلة الأسبوع ومشكلة اليوم.. ويطلب من الحكومة أن تتخذ تشريعا خاصا بالغسالات وتحديد ساعات العمل لهن وتحديد الأجور.. وسيجعل من مشكلة ارتفاع وانخفاض سعر الطماطم مشكلة عالمية يعرضها على مجلس الأمن. سيجعل كل مشاكلها التافهة مشاكل كبرى وسترضى الزوجة وتفرح وتحس بأن زوجها مهموم أكثر منها ويسهر عليها وهى تنام تحلم بأيام الزوجية السعيدة.

ولا يكتفى الزوج بهذا القدر.

سيذهب بزوجته إلى اصدقائه وسيدعو أصدقاءه إلى بيته.. وتقوم الزوجة بدعوة صديقاتها.. ويتكاثر الناس فى بيته ويتكاثر مع الناس فى بيوت أقاربه وأصدقائه. والحفلات والزيارات هى عبارة عن أسواق تشترى فيها كل أسرة كميات كبيرة من الكلام والقصص والمشاكل وتتردد فيها كلمات: ياعينى عليها.. ويااختى عليها آلاف المرات.. ولكن هذه الحفلات والزيارات هى التى تخفف عن الزوجين حياة الملل والقرف، فيعيشان على هامش هذه الحفلات أياما طويلة.

وتتطلع الزوجة إلى أصدقاء زوجها.. إنهم مختلفون عنه. طبعا مختلفون عنه وأكثر أناقة منه وأكثر لباقة وفصاحة. إنه نفس الإحساس الذى أحست به عندما عرفت زوجها ورأته لأول مرة. كان جديد الكلام. جديد الفكر. جديد الصوت. والملابس كلها جديدة أيضا.

وتحاول أن تجد عذرا لزوجها. فتقول فى نفسها: إنه يتعب. إنه يرهق نفسه فى العمل. إنه يحمل الهموم الكثيرة. إنه يفكر فيها وفى أمه وفى أبيه وفى أخوته.. أما هؤلاء الرجال. فهم مختلفون عنه. أحسن حظا وأكثر بهجة. وتفكر أول مرة بصوت هامس. وبعد ذلك يرتفع صوتها. وتعلن أن هؤلاء الناس أحسن من زوجها وأن حظها سيئ.

أما الزوج فقد سبق زوجته إلى مثل هذا التفكير.

إنه يتطلع إلى زوجات أصدقائه. ينظر إلى السمراء ويتنهد والشقراء ويتحسر والطويلة ويتأوه والقصيرة ويتلوى. وإلى التى أصغر منه بسنوات وإلى التى أكبر منه بسنوات.. ويحس أنهن أكثر جمالاً وشبابا وأناقة وحيوية.. وأن الدنيا قد جاءت وراحت على زوجته وأن كل امرأة أجمل وأروع من زوجته.

وأن عيب زوجته الوحيد هو أنها زوجته، وأن أحسن الزوجات هن زوجات أصدقائه أو غير أصدقائه.. أحسن الزوجات زوجات الآخرين.

ارفع يدك ..

كنت في مدينة سيدني في استراليا من عشرين عاما، وفوجئت بحكاية غريبة، فقد سمعت من أبوين أن البوليس قد دق الباب في ساعة مبكرة، وطلب من الأبوين الذهاب إلى مركز البوليس فوراً. لماذا؟ لم يقل لهما رجال البوليس شيئا، ولكن لابد من التعجيل لأمر خطير، وفي البوليس فوجئ الأب والأم بأن ابنهما الصغير قد ذهب إلى البوليس بشكوى. وكان لابد من النظر فيها والتحقيق مع الأبوين حالا، الشكوى: أن الأم ضربت الطفل على قفاه وان الأب شتمه أمام زملائه!

ونحن ـ من المحيط إلى الخليج ـ نقول في نفس واحد: وإيه يعني. هذا ما نقوله نحن، ولكنهم في استراليا عندهم رأى آخر هو: لاحق للأب أن يشتم الطفل ولا حق للأم أن تضربه. وإذا فعلا فلابد من التحقيق معهما ولابد من سؤال الطفل: هل تحب أن تعيش مع والديك؟

فإذا قال: لا

ففي هذه الحالة ينقلونه إلى مدرسة داخلية أو إلى بيت أية أسرة أخرى تحب أن تربيه أو تتبناه!

ولما سافرت إلى استراليا سنة ٦٨ وجدت عدداً كبيراً من الزوجات قد انفصلن عن أزواجهن.. فاستراليا هي بلد المطلقين والمطلقات.. كيف حدث ذلك؟ يكفي أن تذهب الزوجة إلى البوليس وتقول: ضربني.. شتمني.. «خلاني قد السمسمة» أمام صديقاتي!

وهذا يكفي لأن يتم الطلاق بين الزوجين!

وقد قررت دول أوروبية كثيرة منع ضرب الأطفال، الدول هي: السويد والنرويج والدانمارك وفنلندا والنمسا وقبرص.

لقد اهتز المجتمع الانجليزي بعنف عندما طلعت الصحف بأبشع جريمة في التاريخ: طفلان قتلا زميلاً لهما!!

وتساءل العلماء كيف حدث؟ ولماذا؟ كيف يتحول الطفل إلى مجرم.. وليس طفلاً واحداً وإنما هما طفلان اتفقا معا على ارتكاب جريمة.. والجريمة في طفل ثالث.. شئ فظيع.

ولم تهدأ الهيئات العلمية في بريطانيا.. علماء النفس والتربية ومهندسو المجتمع والساسة ورجال الأمن والأطباء والمدرسون.. وألوف الآباء والأمهات كلهم يبحثون عن إجابة عن: كيف حدث هذا؟ ولماذا؟ وكيف لا يتكرر ما حدث؟

واجتمعت لجان. وأصدرت تقريراً شاملاً صافياً.

التقرير يقول: إن العنف عند الأطفال قد ولد فى البيت وليس فى الشارع وليس فى المدرسة.

والسبب هو أن الأبوين يضربان الطفل، وأنهما أيضا يسخران منه أو يحتقرانه أمام الأطفال الآخرين.

وضرب الطفل معناه: أن الضرب ممكن، وأنه أسلوب للتعبير عن الغضب. وأن الأب مادام يضرب والأم أيضا: فالضرب مشروع.. ومادام الآباء يفعلونه فلماذا لا يقلدهم الأطفال.. ولذلك فالعنف الذى يمارسه الآباء.. يكرره الأبناء.

وهذا يفسر سلوكيات بعض الأطفال الذين يكسرون الأدوات فى البيت ويحطمون لعبهم.. ولو استمعنا إلى الأطفال وهم يتحدثون إلى الحصان أو العروس.. فستجد الطفل يسأل العروس أو الحصان: إن كان أبوه يضربه.. وإن كانت أمه تشتمه.

ويفاجأ من ينظر إلى هؤلاء الأطفال.. فنجدهم يضربون الحصان والعروس أو يطلقون النار من المسدسات التى يلعبون بها، فالطفل يمارس بالضبط ما يفعله أبواه.. فهو يردد ويكرر ما يفعله الآباء.. ويرى ذلك طبيعيا.

ولذلك أوصت اللجان العلمية فى بريطانيا بمنع استخدام العنف مع الطفل، واقترحت تعديل قوانين حمل السلاح عند الشباب.

وهناك رأى أيضا يقول: بأن المجتمع كله يسمح بصور من العنف يقلدها الأطفال ويحرص عليها الشباب مثل: المصارعة والملاكمة والجودو.

فهذه الألعاب تقدس العضلات والضرب المنظم.. وهى دعوة قومية للأطفال والشباب أن يفعلوا ذلك.

وهذه الألعاب يمارسها الرجال أكثر من النساء.. ولذلك فالعنف تقوم به الأغلبية من الرجال وليس من النساء.. فأمام كل خمسة من الرجال نجد امرأة واحدة!

بل إن الرجال يمارسون العنف مع النساء أيضا.

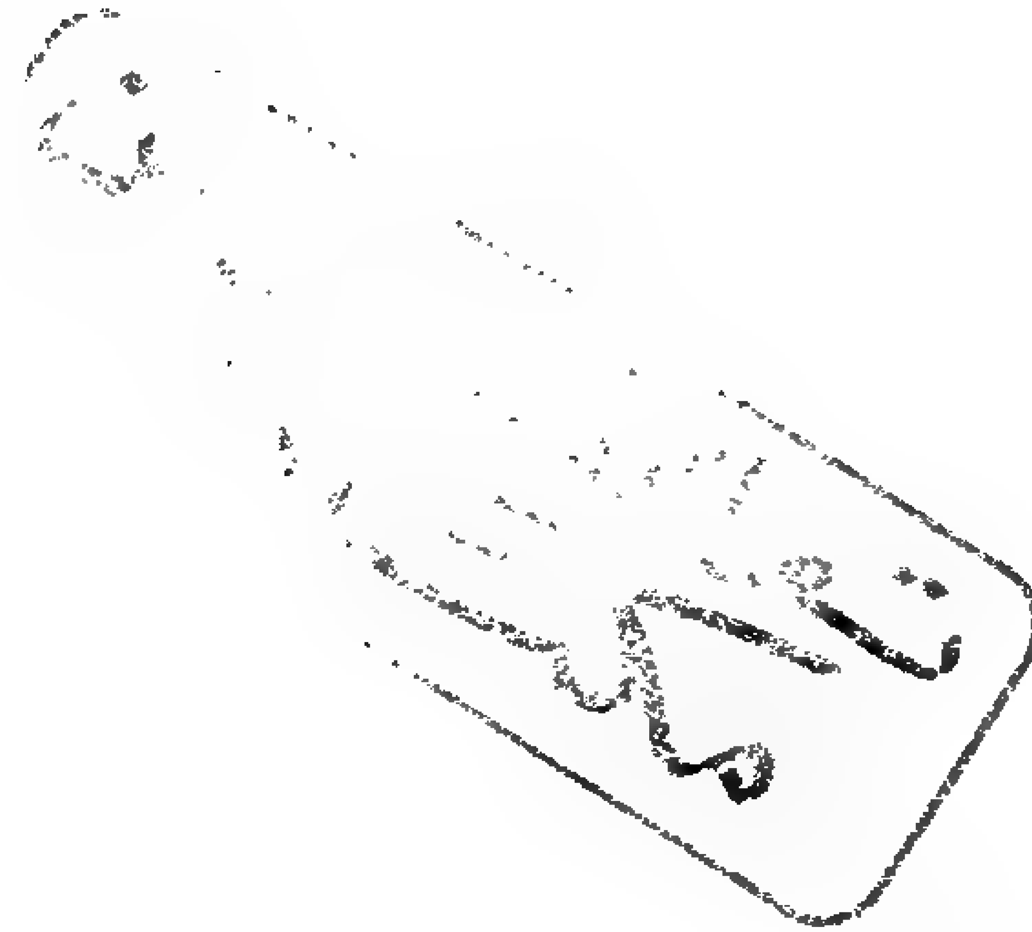
فما الحل لهذه المشكلة المتفاقمة فى العالم كله؟

قبل أن نفكر فى الحل يجب أن نضيف إليها مشكلة أخرى أشد عنفا: العنف السياسى والعنف الدينى أيضا!

فهذا النوع من العنف أشد وأبشع.. فليس ذلك ضد فرد.. أو معركة بين واحد وواحد.. وإنما هى ضد المجتمع كله.. والضحية مئات الألوف من الأبرياء.. وهذا الشكل العنيف صورة مروعة أمام الأطفال.. وهى أيضا تدفعهم إلى الانتظار لأن يكون لهم دور فى هذه المذبحة الدموية. فما الحل؟

يقول كثيرون من علماء النفس والمجتمع والتربية: إن العنف يولد فى البيت. ويجب أن يموت حيث يولد.. ولذلك بأن ترفق الآباء والأمهات بالأطفال، لأن كل صفعة على قفا طفل سوف يردها إلى أطفال آخرين وبصورة أشد وأعنف.. فكأن الآباء هم الذين يمسكون أيدى أطفالهم ويضربون بها أطفالا آخرين أبرياء!

وهناك توصية من علماء بريطانيا إلى الدولة بأن تعطى للمرأة أو للأب إجازة مدفوعة الأجر لكى يتفرغ لتربية أولاده فى سنواتهم الحرجة. فليس أهم ولا أخطر من تنشئة مواطن صالح يحب السلام ويدعو له.. وليس أهم ولا أخطر من مجتمع يعرف الرحمة والتسامح.



لو أنت حبيبى!

هذه المقاطعة الإيطالية بها مليون نسمة. وقد ضربها الأمريكان فى الحرب العالمية الثانية حتى جعلوها أرضا مسطحة. ففيها مصانع كثيرة للألومنيوم وصناعات غذائية. ثم إنها فى موقع مركزى للمواصلات الداخلية والعالمية.

وبها متحف. وفى هذا المتحف أكثر من ألفى قطعة أثرية فرعونية سرقوها من مصر. سرقها القنصل النمساوى فى القاهرة. ومن هذه المسروقات مجسمات ونقوش ومشغولات ذهبية وأوراق بردى.. وقد سرقت هذه الآثار سنة ١٨٣١ . واشتراها أحد أغنياء بولونيا.

وأقاموا لها المتحف الموجود الآن.. وقد أعجبتنى هذه الآثار المتنوعة.. ولكن ضبطت مجسما لابد أن يكون حديثا أو مزيفا.. فقد لاحظت أن صاحبة المجسم ترتدى بصورة واضحة بعض الملابس الداخلية.. ولم يكن الإنسان الفرعونى أو غيره قد اخترع الملابس

الداخلية للرجال أو للنساء ـ فقد ظهرت الملابس الداخلية بعد ذلك.. ربما فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى. وقد نبهت أمين المتحف إلى ذلك. ووعدنى بأن يبعث لى برأى علماء المصريات الإيطاليين فى هذه (القضية).

والمدينة لا تحتفل بدرجة كافية باثنين من أولادها: ماركونى الذى اخترع الاتصالات اللاسلكية. وقام ماركونى (١٨٧٤ ـ ١٩٣٧) بتجاربه الأولى فى هذه المدينة ثم على السواحل الإيطالية. وماركونى كان عضوا فى مجلس الشيوخ وفاز بجائزة نوبل فى الفيزياء سنة ١٩٠٩ .

والابن الثانى هو الشاعر الرومانسى الكبير كاردوتشى (١٨٣٥ ـ ١٩٠٨) وهو الآخر كان عضوا فى مجلس الشيوخ وفاز بجائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٠٦ .

وعلى الرغم من استغراق هذين الرجلين العظيمين فى الأدب وفى الفيزياء فقد كانت لهما اهتمامات سياسية واضحة. فكلاهما له رأى واحد: إنه العلم يجب أن يكون فى خدمة الشعب.. أو خدمة الإنسانية. وأن العلم الذى لا ينفع الناس ليس علما وإنما هو تسلية ولهو.

وكذلك الأدب سواء كان رومانسيا أو واقعيا يجب أن يكون لإقناع الناس وفى نفس الوقت ليخفف عذاب الحياة عنهم ولإضاءة الطريق إلى الرحمة والجمال والعدل والحرية.

ومن الغريب أننى لم أجد فى المكتبات ديوانا واحداً للشاعر كاردوتشى. ولا وجدت كتابا عن حياة ماركونى. وسألت: فقالوا: إن هذه المكتبات للأجانب.. أما أبناء المدينة فهم يعرفون كل شئ عن هذين الرجلين.. الأطفال والكبار فى ذلك سواء.. ولا تجد المكتبات سببا قويا لعرضهما لأنهما فى كل بيت!

ووجدت ديوانا من الشعر الرومانسى. ولفت نظرى أنه كتب عنوانه على أحد المطاعم المطعم اسمه (لاجوسترا) ـ أى الساقية.. وهو المطعم الذى يملكه أحد المصريين. ووجدته جرسونا.. وعرفت أنه صاحب هذا (الديوان). غريبة! ولم أفهم. ولكنه قال لى: بموهبتى الشعرية فأنا شاعر، ولكن بثقافتى المحدودة فأنا جرسون.. الموهبة وضعتنى إلى جانب كاردوتشى وثقافتى وضعتنى فى خدمتك.. فأنا رأسى فى السماء ويداى على الأرض!

له قصيدة عنوانها: لو أنت..

يقول: لو أنت حبيبى لوضعتك فوق.. ووضعت نفسى هنا تحت.. عند قدميك.. وتحت أمرك.. ولكنى لأنى أحبك.. فأنا فوق أطول من الشجرة.. أطول من الجبل .. أعلى من السحاب لأرى صورتك المنعكسة على سطح القمر.. فأنت حبيبى. وأنا حبيبك أيضا!

الله يخيبك يا ست!

عندما جاءت الأديبة الوجودية سيمون دى بوفوار إلى مصر ومعها حبيبها وأستاذها الفيلسوف الوجودى سارتر، قابلا الرئيس عبدالناصر. ثم ذهبا إلى معسكرات الفلسطينيين ليريا ظلم اليهود للشعب الفلسطيني. وأسعدنا ذلك.. ولكن عينى وقعت على كاتب فرنسى منحل اسمه لانسمان وتعالى الهمس وقالوا: عشيقها!

يعنى أن لها رجلاً احتياطياً غير الفيلسوف العظيم سارتر! ممكن ياناس؟ قال الناس: فى التقاليد الفرنسية فى كل العصور ممكن ونص، فما بالك إذا كان العاشق والمعشوق من الذين يقدرون الفردية وكانا فى قمة الفكر الفرنسى!

إذن هذا الشئ ممكن وعادى جداً. أما دهشتى فهى تدل على أننى شرقى ريفى، ورغم أننى كنت أيامها أحاضر فى الفلسفة الوجودية فى الجامعة. فقد جاءت دهشتى دليلاً على أننى لست

وجودياً بدرجة كافية، فأنا الغلطان وليست سيمون دى بوفوار!

وفى الأسابيع الماضية ظهرت خطاباتها بالمئات. وكانت هذه الخطابات لم تنشر من قبل، هذه الخطابات موجهة إلى صحفى أمريكى طيلة ١٤ عاماً. الصحفى اسمه نلسون ألجرن. وتقول فيها كلاما يقف له شعر الرأس ويجمد له الدم فى العروق ، إنه حبها الحقيقى. وأنه جسدها الثانى وروحها التى على الجانب الآخر من الأطلنطى.. وما أجمل عطرك!.. وأروع صوتك وهمسك.! ولا قبلك ولا بعدك.. وتقول: ومستعدة أن أكنس وأن أغسل وأنشر الغسيل فوق السطوح وأربى لك أولادك حتى لو كانوا عشرين.. كل ذلك من أجلك يا حبيبى!!

وتقول له: من قال أن المرأة لا تستطيع أن تحب واحداً واثنين وثلاثة فى وقت واحد.. بل تستطيع.. فأنا أحب الفيلسوف سارتر وأرى الحياة من غيره مستحيلة.. فهو الصديق العاشق الولهان.. وهو الذى شكل عقلها.. وهو الذى أنعش وجدانها.. ولولاه ما كتبت ولولاه ما اهتديت إلى كثير من أفكارها.

وتقول: بفضله كان قلمى وكتبت.. فهو هوائى ومائى وأملى ومستقبلى.. ولكنك أنت حياتى وطعم حياتى.. أنت عذابى وعذوبتى.. أنت الذى كان والذى هو كائن والذى أتمنى أن يعود لى فتعود لى دنياى وحياتى وأنوثتى.

وتعود إلى أستاذها وحبها الفلسفى الأول: أما سارتر المسكين.. فهو الدافئ الرقيق.. سارتر الذهبى الذى لايرتوى أبداً.. والذى هو

الظمأ والجوع الأبدى والضوء الذى لا يخبو. ثم تعود إلى العشيق الأمريكى وتقول: ولكنك أنت الذى ليس له صورة أخرى.. ولا يقترب من جماله وحيويته وتدفقه شئ آخر.. فمن غير سارتر لا فكر ومن غيرك لا حياة.. ويوم قررت ـ ويتعسنى ذلك ـ أن تبقى حيث أنت فى أمريكا، وأحسست أنى انكسرت.. أننى صرت نصفين أحدهما هنا والثانى هناك.. حتى الذى هنا لاأجده دائماً، فكأنما هرب منى إلى هناك.. هل تعرف أين أنا الآن ياحبيبى؟!

إلى آخر الكلام الجميل البديع العميق الرقيق الحريق الذى قالته الأديبة الوجودية العظيمة سيمون دى بوفوار.

ولكن لأسباب لاعلاقة لها بالأديبة وإنما بى أنا خاب أملى فيك.. وصدمتنى فى أفكارى القديمة البالية..وكانت صدمتى فيك كبيرة جداً.. فأنت حرة طبعاً. ولكن هذا لا يمنعنى أن أدعى عليك من صميم فؤادى وأقول:

الله يخيبك ياست سيمون!.



يا أخى اضحك !

بولونيا ١

المدينة نظيفة صغيرة أو هذا هو الذى بدأ فيها.. والجو بارد جدا فى الصباح والليل والشمس ساطعة جدا لأن الجو ليس صافيا ـ لاتراب ولاهباب ولا رطوبة تحجب عنا الشمس وترتفع درجة حرارة الجو وتخنقنا.. والأرقام بعشرات الألوف والملايين.

فالجنيه المصرى يساوى ٥٠٠ ليرة .. والتاكسى من الفندق إلى المعرض بعشرة آلاف ليرة.. وإذا اشتريت شيئا قيما فلاتنزعج إذا قال: مليون أو مليون ومائة ألف .. فأنت الآن تعرف كم يساوى الجنيه ـ ولكن هذه الأرقام لاتخص الإيطاليين.. فقد اعتادوا عليها.. فأكثر الناس من أصحاب الملايين.. ملايين الليرات .. فكلمة مليونير لاقيمة لها وربما كلمة ملياردير أيضا.

وأمام المعرض سألت السائق : كم ليرة؟

فقال: عشرون ألفا.

فقلت له مصطنعا الدهشة: ثمن السيارة؟!

فوجدت السائق قد وقف على جانب من الطريق وراح يناقش في أسعار السيارات. مع أنني لم أقصد ذلك. ولكنهم لايضحكون في هذه المدينة الصناعية أو التجارية. غريبة!

مرة ثانية سألني سائق التاكسي إلى أين فقلت له : إلى شارع النار ؟ واستعادني مرة أخرى . فأكدت له أنني أريد أن أذهب إلى شارع النار.. ولم يعرف الرجل أين شارع النار. ويبدو أن هذا الاسم موجود في الكتب.. وأن له اسما آخر الآن.

وقلت له إن شارع النار هو أحد شوارع (حارة اليهود) في بولونيا القديمة.. بولونيا القرن الثاني عشر.. وكان الكاثوليك قد أطلقوا اسم النار على شارع اليهود، أما أن الكاثوليك يتمنون لهم أن يدخلوا النار. أو أن هذا الشارع قد اتخذ هذا الاسم لكثرة ورش صب الحديد والنحاس.. ولكن السائق لم يعرف.

وحاولت أن أداعبه مرة أخرى. فقلت له: إذن اذهب إلى شارع النار في روما!

ولاحتى يعرف هذا الشارع في روما.. وسألني . فقلت له فيما يوجد شارع مظلم خارج المدينة .. وفي الظلام تقف الفتيات نصف عاريات وقد أوقدن النار للتدفئة أو ليهتدي إليهن الذئاب واندهش السائق الذي لم يكن يعرف شيئا لا عن شارع النار في بولونيا أو في

روما .. ولم يضحك .. وأدهشه أكثر أننى أعرف كل ذلك وهو الذى ولد فى بولونيا يسمع عن مثل هذه الشوارع.

قلت له: كم تتكلف العروس هنا؟

ولم يكن السؤال واضحا. فرأيت دهشته فى المرآة فقررت أن أكف عن الأسئلة البايخة . ولكنه اصر أن يعرف بالضبط ماذا أريد.. حتى لايبدو غبيا أو جاهلا.. وأنا قلت فقط أريد أن أتحدث معك وأن أجرب قدرتى على اللغة الإيطالية.. وسألنى: إن كنت قد ولدت فى إيطاليا. فقلت: أنا مصرى. وقال: ولكن لهجتك إيطالية جنوبية كيف؟

قلت: لأننى أتحدث كثيرا إلى سائق التاكسى.

هنا ضحك وقال: ولكننا جميعا من الشمال.

قلت: إذن أنا لاأكون مفهوما!

وضحك من قلبه. وقررت ألا أداعب أحدا فى بولونيا. مادامت رغبتهم ألايضحكوا.. وخصوصا أن أسباب الضحك ليست قوية. وقد عرضت عليك عينه منها ومعه ومعهم حق!

وفى الليل ذهبت إلى أحد المطاعم وقررت أن أكون وحدى .. متعة أن يكون الإنسان وحده وهو آمن تماما .. فأنا أعرف اللغة .. وهذا يكفى .. جاءنى الجرسون قلت:

أنا نباتى!

ـ يعنى إية؟

ـ يعنى لا آكل اللحوم

ـ إذن أسعد إنسان فى هذا البلد... فليس عندنا إلا أسماك وعجائن وخضروات وفواكه.. والبنات الجميلات اللاتى جلسن فى الركن هناك بينهن رهان .. وهو أنك من جنوب إيطاليا وأنك لاتأكل اللحوم.

ـ يا سلام .. كيف؟

وذهب إليهن وسألهن.. وضحكن وضحكن.. ثم استأذن فى أن يجلسن معى. فوافقت. فقلن : أبدا . نحن لاحظنا أنك عندما جلست إدرت ظهرك للخنزير ، وكأنه منحوتة من الطين مع أنه محاط بكمية هائلة من الفواكه والجوز واللوز والفلفل على الطريقة البرازيلية.

وجاء دورى لكى أضحك . فسألتنى: صحيح

قلت: هذا صحيح ولكن لسبب آخر.. فأنا فعلا نباتى وإذا لم أكن نباتيا، فنحن لانأكل الخنزير!



تشاجروا .. تصحوا!

سؤال: أيهما أعنف فى حبه.. الرجل أم المرأة؟

جواب: لاتوجد قاعدة لعنف الحب عند الرجل أو المرأة. فنحن نجد رجالا يحبون ونجد نساء كذلك. ولكن حب الرجل هو الذى يصنع شيئا جديدا.. فلولا حب الفنانين والشعراء والعلماء. ماكان ٩٠ فى المائه من التراث الأدبى والفنى.. ولكن حب المرأة يبنى أسرة جديدة. وأروع قصص الغرام فى التاريخ كانت من وحى رجال أحبوا وسالت دماؤهم على صفحات التاريخ.. ولانعرف فى التاريخ كله امرأة واحدة كتبت قصة غرام خالدة.. وكل الذين كتبوا هم الرجال. والسبب هو أن مهمة المرأة هى أن تكون الهدف.. أو تكون «الجو» الذى يبتكر فيه الفنان والجو الحار الذى يجعله يصرخ من النار، والبارد الذى يرتجف من البرد.. إنها الجو والغاية.. وهذا أكبر فضل لها علينا.

سؤال: أيهما أكثر إخلاصا فى الحب.. الرجل أم المرأة؟

الجواب: بلا تردد.. المرأة . فالمرأة بطبعها مخلصة للرجل الذى تحبه. إنها لاترى أحد سواه ولاتسمع أحداً غيره. فعواطفها تسير فى اتجاه واحد نحو الرجل الذى تحبه . إن قلبها كالراديو الذى لايذيع إلا لمحطة واحدة.. هى رجلها الذى تحبه.. أما الرجل فهو مخلص أيضا للمرأة، ولكن على طريقته هو وهو يتمشى مع طبيعته فهو من الممكن أن يحب المرأة ويخلص فى هذا الحب. ولكنه مع ذلك من الممكن أن يعرف غيرها من النساء. فهو كالراديو الذى يذيع لجميع المحطات.

والمرأة لاتستطيع أن تتصور أن هذا الرجل يحبها. لماذا؟ لأنها تقيس كل شئ على نفسها. فهى لاتستطيع أن ترى أو تسمع أو تفكر فى أحد غيره. فكيف لايفعل مثلها؟ طبعا كان أفضل لو فعل مثلها ولكنه لايستطيع ولم يستطع.. ومن هنا كان عذاب الرجل وعذاب المرأة. إنهما طبيعتان مختلفتان ويحاول كل منهما أن يغير من طبيعة الآخر.

سؤال: ولماذا يتعذب المحبون؟

جواب: لأسباب كثيرة.. فهناك الحرمان الذى يجمع بينهما وفى نفس الوقت الذى يجعلهما بعيدين بعضهما عن بعض، هناك الفاكهة ولكنها محرمة، وكل فتاة تخاف أن تنزل من سماء المجتمع إلى أرضه.

وهناك الخوف من أن يضيع الإنسان الذى نحبه.. هناك الغيرة. هناك الإحساس بأن واحدا منهما يحب الآخر أكثر أو أقل من الثانى فالفتاة تشكو من أنها تحب فتاها أكثر من حبه لها.. وأنها تفكر فيه وهو لايفكر فيها.. وهذه مشكلة حقيقية فالفتاة عامة تفكر فى الفتى أكثر مما يفكر هو فيها.. كل شئ عندها يدور حوله.. ليس لديها إلا هو، ليلا ونهارا.. عندها الوقت متسع منذ آلاف السنين.. فالمرأة لاتزال بلا عمل. بلا شئ يشغلها عن نفسها إلا هذا الفتى.. إلا هذا الحبيب.. إلا هذا الزوج فهى منذ آلاف السنين قد تعودت أن تملأ وقتها وحياتها به أما هو فقد تعود منذ آلاف السنين أن يشغل نفسه بأشياء كثيرة.. من بينها المرأة ولذلك فالمرأة تعرف عنه كل شئ وتريد أن تعرف عنه كل شئ وهى تحفظ كلامه وتعرف حركاته وتعرف معالم وجهه وجسمه وهى لاتنسى له كلمة واحدة قالها، فى ساعة ضعف أو فى ساعة قوة أما هو فمشغول عنها بالكثير. ولايذكر كل ما قاله ولا كل ما قالته.. وهنا يجئ الخلاف بين طبيعتين.. طبيعة الرجل وطبيعة المرأة.. بين تاريخين.. تاريخ الرجل وتاريخ المرأة.

سؤال: هل الخناق أو الشجار ضرورى بين المحبين؟

جواب: لابد أن يحدث.. بل يحسن أن يحدث. ولايوجد اثنان لايحدث بينهما شجار أبدا.. بل إن هذا الشجار دليل على الصحة. على الصحة العاطفية. فأنا إذا تشاجرت مع الفتاة التى أحبها معناه أننى أحبها وأننى أخاف عليها وأننى أهتم بها.. وأننى صاحب حق وأننى مالك.. وأنها لى.. والفتاة التى أحبها يرضيها هذا الشعور بل

إنها تعمل بوعى أو بدون وعى على أن أتشاجر معها. إنها تريد أن تعرف مدى اهتمامى بها ومدى حرصى عليها.

والمرأة تريد أن تشعر دائما أننى أطاردها. أننى أخطفها . أننى أنتزعها من أنياب الآخرين. حتى لو لم يكن هناك آخرون والحكمة تقول : تشاجروا.. تصحوا!



نفسك فى إيه..

واحد أميركى قال: إن أمنياته فى هذه الدينا هى: أن يكون عنده سيارة اسبور إنجليزية.. وعلبة سيجار هافانا كوبيه.. وصندوق من الفودكا الروسية، وأن يتمدد بعد ذلك على شاطئ الريفيرا الفرنسية مع فتاة إيطالية ليغيظ فتاة ألمانية!

حاول أن تضع هذه الشروط الواحد إلى جوار الآخر.. وتحلل وتستنتج أى نوع من الناس هو.. وما مشكلته.. وما سبب اختياره لكل شئ ليس أميركيا.. فلا اختار السيارة ولا الشواطئ ولا الفتاة.. إنه هو الآخر غاضب على بلده وعلى نساء بلده وعلى جمال بلده.. ولذلك اختار الهجرة والجمال والمتعة والرياضة من بلاد أخرى..

وهو يشبه كل الناس الذين يرون أن الجمال فى بلاد بره.. وأن السعادة أجنبية وأن الهم والغم وطنى!

ولكن قارن بين هذا الذى قال وما قاله واحد صعيدى طيب عندما رأى بحيرة المنزلة لأول مرة .. فنظر يمينا ونظر شمالا وهز رأسه وقال بعد أن تطلع إلى السماء كأنه يطلب من الله أن يحقق له هذه الأمنية الغالية: قال.. ياسلام لو كانت البحيرة (بصارة) والشجر الذى حولها بصلا أخضر .. ياسلام ياناس .. كان الواحد يأكل فيها أكل!

يريدها أن تكون (بصارة) البحيرة كلها.. وأن يأكل معها هذا العدد اللانهائى من شجيرات البصل الأخضر.. والرجل بعالمه المحدود وطموحاته التى هى ولاحاجة.. تمنى أن تكون البحيرة طبعا من البصارة.. فلم ير جمال الماء والهواء وطلوع الشمس وغروبها .. ولا رأى الطيور ولا الأسماك. ولا فكر فى أن يركب زورقا عبر البحيرة.. ولا أن يقيم بيتا.

هذا رأيه وخياله وحاله وقد قال الذى أسعده.. والذى يبدو لك مضحكا. ولكنه لا يراه مضحكا وإنما يراه مصدر سعادة عظيمة له.. وحتى لم يذكر لا أولاده ولا زوجته ولا أصحابه.. مع أنه من المستحيل أن يأكل كل البحيرة وما حولها.. لم يفكر فى أن يدعو الشعب المصرى لمشاركته هذه الوليمة الضخمة!

وكان الشاعر العربى القديم يتمنى أن يكون مصابا بالجرب هو والمحبوبة، حتى لايقترب منهما أحد.. أى حتى يخاف الناس منهما وبذلك ينفرد هو والمحبوبة يهرشان. لايهم. فالذى يسعده أن تكون المحبوبة فى مستشفى أو فى جهنم.. فالوحدة حتى لو كانت مؤلمة، فهى أرحم من الناس!

كما تقول أم كلثوم: بعيد بعيد أنا وانت.. بعيد بعيد وحدينا..

وعند تنفيذ حكم الإعدام فى مجرم فإن المرافقين له يسألون المحكوم عليه بالموت: نفسك فى أيه؟

فقال واحد دمه خفيف: نفسى أموت!

وهو يريد أن يسخر من الذين ينفذون حكم الإعدام .. فلا جدوى ولافائدة من أن يتمنى أى شئ وبعد ذلك يموت.. ويرى أن هذا السؤال سخيف.. فلا هم أناس يعطفون عليه.. ولاهم صادقون فى هذا الطلب .. ولافائدة من الصدق والكذب لواحد لن يكون بعد لحظات..

وهو أعنف سخرية من عريس سألته عروسه ليلة الدخلة وقد اكتشف أنها ليست بالجمال الذى كان فى خياله فدخلا معا غرفة النوم وكشفت وجهها واقتربت منه جدا وقالت بصوت ناعم واعد: ودالوقت نفسك فى إيه يا حبيبى؟

فقال لها: فى الطلاق ياحبيبتى!

وأنت نفسك فى إيه حالا دالوقت اكتب ومن غير تفكير ـ وأنا مصدقك!

لنا رأى أيضا!

فى هذه اللحظة التى أكتب فيها ـ أى فى الساعة الرابعة صباحا ـ لا أستطيع أن أطلب أى أحد فى التليفزيون، لكى أسأله عن برنامج، كان يذاع فى رمضان الماضى.. البرنامج اسمه: بتقول إيه.. ما بقولش حاجة.. كلام لخبوط.. مش مضبوط.. أو شئ مثل هذا البرنامج أعجبنى جداً. لأنه صورة صحيحة ـ كيف يفكر الناس؟ .. البرنامج يبدأ بمذيع يقول كلاما غير معقول وغير منطقى. ولكنه يقوله بصورة جادة جداً.. والذى يستمع إليه ينتظر حتى يجد شيئا مفهوماً، يتمسك به ليرد على سؤاله.. مثلا يقول: هذه قصة فرعونية أخذت يدها المال فى فرنسا، ثم استأنفوها فى صعيد مصر ولكن القضاء كان حكمه عادلا.. فالاتوبيسات مزدحمة ومع ذلك الناس لايشكون من ذلك.. وأنا لا أفهم موقف الرئيس الاميركى من عدالة التوزيع.. عبارة طويلة مثل هذه. وهى غير مترابطة. وغير مفهومة. ولكن الذى يحدث هو أن الضيف، يجد عبارة واحدة فى

كل هذا اللغو، وهى زحام الأتوبيس وعدم الشكوى من ذلك.. ويتكلم عن الزحام وعن سلبية الناس.. وفى هذه الحالة يقوم المذيع بتعليق من هذا النوع، مع ترك عبارة مفهومة.. ويتشبث الضيوف بالعبارة المفهومة ويقولون كلاما..

الموقف مضحك. ولكنه يدل على أن الناس عموما.. أولا لايتهمون أنفسهم بعدم الفهم.. وإنما هم فاهمون عارفون ويقولون. والناس أيضا يرون أنه من الضرورى، أن يقولوا وأن تكون لهم فتوى، فى الذين يفهمون والذى لايفهمون. ويجدون أنه من العيب أن تتاح لهم مثل هذه الفرصة، دون أن يقولوا. ويقولون كلاما يدل على العبط والبلاهة والجرأة أيضا ـ مثل المطربين الذين لاصوت لهم، ولا أداء، ولا جمال، ولاثقافة موسيقية ومع ذلك يغنون!

اسأل أى واحد فى الشارع: هل تعرف أين توجد مجلة «اليقظة» ؟

بسرعة يقف ويفكر قليلا ويشير بيده: الشارع ده لآخره وتتجه يمينا وأول شارع على الشمال، سوف تجد أمامك لافته هذه المجلة!

الجواب السريع يدلك على أنه عارف. وأنه متأكد من معلوماته. وتكون أنت فى أسوان والمجلة فى القاهرة!!

أذكر أننى فى أول مرة ذهبت إلى فيينا، سألت عن مجسم الموسيقار الكبير «بتهوفن» ؟ وكأننى سألت عن بيت «الريس متقال» فوقف الرجل أمامى فى ذهول، يقول لى: إننى لم أسمع بواحد بهذا الاسم؟ وأذهلنى ذلك فقلت: لم تسمع عن الموسيقار الكبير بتهوفن يانهار أسود.. كيف؟

وفجأة وجدت الرجل يقول: آه.. أنت تقصد «بتيهوفن» ـ إنه عند نهاية الشارع الذى على الشمال!

فما غلطتى؟ غلطتى أننى نطقت بتيهوفن خطأ.. والصحيح أن أنطقه بتيهوفن ـ بالياء!

فالاسم يجب أن يكون صحيحا، لأن بتيهوفن فى أذنيه وفى عينيه غير بتهوفن تماما كالفرق بين عمرو.. وعمر.. فى النطق والشكل!

ومرة فى لندن سألت عسكرى المرور، الذى لم أكد اقترب منه، حتى رفع يده بالتحية: من فضلك أين توجد كاثدرال القديس بولس؟

فتساءل مندهشا: هل تقصد كاثيدرال؟

وكنت قد نطقتها خطأ. نطقتها كاثدرال من غير ياء.. فكان هذا النطق الخاطئ، بحثا عن شئ آخر.. ولكن بعد أن عرف ماذا أريد.. أشار بيده يمينا وشمالا.. وسألت فى برلين أحد المشاة، عن شارع فى برلين الشرقية، أيام كان السور عاليا بين شطرى المدينة. فوقف لحظة، وقال: أنا لا أعرف .. ولكن دعنى أقل لك من الذى تستطيع أن تسأله؟ وسار معى حتى وجدنا من يعرف بدقة!

ولكن نحن نعلم بالتقريب ونجيب التقريب.. فلا قلنا الحقيقة ولا أجبنا.. وإنما كل شئ بالشبه.. بالتقريب.. فالدقة ليست من صفاتنا.. والتظاهر بالعلم والمعرفة من أعظم صفاتنا..

ولا أعرف لماذا اختفى هذا البرنامج.. وإن كنت الآن أعرف لماذا؟ لأنه برنامج فاضح لسلوك الناس.. أو لأسلوب الناس فى الفهم وفى الكلام.. فهو قد كشف أهم عورات عامة الناس، الذين لايعترفون بأنهم جهلة.. مع أن الناس لاتستطيع أن تعرف كل شئ عن أى شئ. ليس عيبا أن أقول: إننى لا أعرف.. ولكن العيب أن أدعى المعرفة، وأحاول أن يكون لى رأى خاص فى الذى لم أفهم ..

.. إلا القطة!

في سنة ٢٠١٢ في استطاعتك أن تحمل معك حقيبة فيها ملابس تزن كيلو جرامين فقط. هذا إذا أردت أن تقيم ثلاث ليالي في فندق يدور حول الأرض.. قد تكلف ٥٠٠ مليون دولار.. ثمن التذكرة الآن حوالي خمسة ملايين دولار. وفي العام الماضي دفعها اثنان من اليابانيين ليدورا في سفينة فضاء أميركية حول الأرض بضعة أيام..

ولكن بعد عشرين عاما سوف يكون ثمن التذكرة عشرة آلاف دولار لتبقى في فندق يدور حول الأرض ثلاثة أيام. الفندق يجرى بناؤه وتجربته في إحدى جزر هاواي.. والفندق سوف يكون على شكل دائرة. هذه الدائرة بها ١٠٠ غرفة نوم.. وفي هذه الدائرة التي على شكل إطار سيارة منفوخ توجد قاعات لمشاهدة الأرض التي تحتك.. والنجوم التي حولك وفوقك..

وقبل أن تسافر سوف تعرف بعض المعلومات عن طبيعة الرحلة. وعن بعض الصعوبات الخاصة بالارتفاع المفاجئ للصاروخ الذى سوف يحملك من الأرض إلى السماء.. وسرعة الصاروخ والضغط الجوى ثم انعدام الضغط حول الأرض .. ثم الأطعمة التى يجب أن تكون على شكل أنابيب لكى تمتصها.. ثم يجب أن تتدرب على عملية امتصاص الأكل وابتلاعه.. فهذه عملية تحتاج إلى ضغط عضلات لأنه لاتوجد جاذبية تجعل الطعام ينزل من البلعوم إلى المعدة.

ثم سوف ينفرد بك العلماء ويحدثونك بصفة شخصية سرية عن الصعوبات التى سوف تواجهك إذا قررت أن تصطحب زوجتك معك.. ليست الخناقات التى يقصدونها .. وإنما ذلك الإحساس الغريب الذى سوف يغمرك بالنشوة من غير شمبانيا.. وما سوف يحدث لك بعد ذلك.. ولزوجتك أيضا. لاتخجل.. يمكنك أن تقول لزوجتك: خليك أنت وبلاش فضايح!

وسوف يدربونك على دخول دورة المياه.. إنها مشكلة عندما تجد أن كل الذى يخرج منك يظل معلقا فى الهواء. لأنه لاتوجد جاذبية!!

وفى الوقت نفسه أنت حر يمكنك أن تنام فى أرضية الغرفة أو على سقفها.. أو تظل معلقا فى الهواء.. وهناك احتياطات شديدة حتى لايصاب أى إنسان بحالة هياج فيقرر الانتحار بتحطيم النوافذ.. لو حدث ذلك لذهب الفندق كله فى ستين داهية.. وتحطم فى الفضاء ألف قطعة!

أما الخضروات فإنهم يزرعونها فوق فى بيئة علمية دقيقة..

وهناك شركة أميركية موجودة فى جزر هاواى تتلقى رغبات الذين يريدون السفر والإقامة فى هذا الفندق المدارى. وقد حدث أن عرفت إدارة الفندق أن زوجين قررا السفر والانتحار ـ أى الحياة معا والموت معا فوق. ورفضت الإدارة اشتراكهما لا اعتراضا على قرار الانتحار ولكن الوفاة والدفن مشكلة فإذا كان هذا قرارهما النهائى فلابد أن يدفعا أجرا إضافيا.. للكفن والنعش.. وخاصة إذا كان فى نية الزوجين أن يموتا فى نعش واحد يدور حول الأرض.. ويكون فى دورانه بعيدا عن الفندق.. فوقه أو تحته.. فهذا يحتاج إلى صاروخ لدفع النعش بعيدا عن مدار الفندق.

وقد وعدت إدارة الفندق أنه إذا عرفت التكاليف بالضبط فسوف تخطرهم فى الوقت المناسب فى العشرين عاما القادمة..

ولما طلب الزوجان أن يصحبا معهما قطة لهما. اعترضت الإدارة وقالت: قطط لا.. كلاب أو قرود أو صراصير أو براغيث..

فقد فشلت التجارب التى أجريت على القطط والخنازير. أما بقية الحيوانات والحشرات فلها سجلات معروفة.. كيف تأكل وكيف تمرض وكيف تموت.. وربما عدل الزوجان عن هذه الرحلة بسبب أنهما كانا يريدان أن يعيشا وأن تموت معهما القطة فهى أعز أصدقائهما فى هذه الدنيا!

حب إيه اللى..؟!

حب إيه اللى أنت جاى تقول عليه ـ صوت أم كلثوم، وشعر «عبدالوهاب محمد» ولحن «بليغ حمدى». فعلا حب إيه ؟ لم يعد أحد يتكلم عن الحب اللى هو .. وإنما عن اللذة والمصلحة والتكافؤ فى الحياة والخيانة الضرورية.. لأنه من زواج بلا حب يكون حب بلا زواج!! ولو عدنا إلى الحب القديم. كما صورته الحضارة الإغريقية، فى ملاحم الإلياذة والأوديسه للشاعر «هوميروس»، لوجدنا أن الحب شهامة.. وبطولة ووطنية. ولو قرأنا حب أفلاطون لوجدناه حب الناس الخيرين والجميلات.. طريقا إلى حب الخير والجمال.. وعند أرسطو إنه حب الله.. فكل شئ فى الكون بسبب حبه لله ينتظم وينضبط.. والشاعر الإيطالى «دانتى» أحب طفلة فى التاسعة. وكانت حبه الوحيد. ولما تزوجت غيره، لم يتركها بل جعلها بطلة ملحمته الشهيرة «الكوميديا المقدسة..»

حتى جاء عالم النفس «فرويد»، فاستخدم الطين والزفت تفسيراً وحيداً لكل أنواع الحب: حبك لأمك .. وابنتك.. وأختك.. وبلدك.. حب عاطفي!! حتى أصبحنا نخجل من كلمة «حب». وقد حدث عندما أجرت مذيعة التليفزيون الأميركية «برباره والترز»، حديثا مع الرئيس «السادات»، وسألته عن رأيه في الرئيس «كارتر» قال: إنني أحبه.. وانزعجت وانزعجنا نحن أيضا. وحاولنا دون جدوى أن تحذف هذه العبارة. لأن الاصح أن يقول: أحترمه. أقدره. ولكن «برباره» رفضت، وقالت: سوف ينسى الناس كل ما قاله «السادات»، ولن يذكروا إلا أنه يحب الرئيس «كارتر» ؟!

فالسادات عندما قال: إنه يحبه، لم يقصد أنه يحبه عاطفيا. وإنما يحترمه كثيراً. ولكن الحب هكذا غريب وشاذ أيضا!

وفي عصور الرومانسية، تحوَّل الحب إلى شئ آخر غير الواقع.. فالحب.. والعشق.. والهيام كلها من صناعة الفنانين والشعراء.. ولا علاقة لها بالواقع.. اقرأ عمر بن ابي ربيعة، ومجنون ليلى.. وأخيراً «كامل الشناوى» فيلسوف الحب، الذى يحطم قلبه، وإن لم يحطمه فأنه يوجعه. يقول «كامل الشناوى»:

حطمتنى مثلما حطمتها

فهي مني وأنا منها شظايا

ويقول:

كوني كما تبغين لكن لن تكوني

فأنا صنعتك من هوايا ومن جنوني

ولقد برئت من الهوى ومن الجنون

فالمرأة.. وجمالها.. ودلالها.. كل ذلك من صنع العاشق.. فلا هى جميلة ولا هى رقيقة.. ولا هى لطيفة وإنما كل ذلك من خيال الشاعر، الذى يريدها كذلك.. والحب صناعة أدبية فنية.. الحب والمحبوبة من صنع الشاعر «كامل الشناوى»، أو مجنون «ليلى» أو «عمر ابن أبى ربيعة»..

أما أن «كامل الشناوى» ـ أو أى شاعر رومانسى مثل: «إبراهيم ناجى»، أو «صالح جودت»، قد شفى من الهوى ومن الجنون، فليس صحيحا.. وإنما هواه وهم، وحلم من أحلام الشاعر.. فالحب قد خلق لنا عالما آخر لانعيش فيه، وإنما يحاول الشعراء أن يحشرونا فيه.. أما الحب الذى هو حب الأم والزوجة والابنة.. حب الجمال.. وحب الحياة.. وحب الوطن.. وحب الحقيقة. وكلها مشاعر حقيقية .. وصادقة.. وعميقة... فقد ذهب الرومانسيون إلى ماوراءها وفوقها.. حب إيه اللى أنت جاى تقول عليه ـ والله ياست نحن لانعرف عن أى شئ تتكلمين.. فالحب فى زماننا هو نقصان الكراهية، والكراهية هى انعدام الحب ـ وبس!

كل الأزواج .. كارتر!

ليس غريبا ما قاله لى الرئيس الأميركى «كارتر»: إنها حكاية لا أمل ذكرها. لا لغرابتها ولكن لأنها صادقة. سواء حكاها رئيس أميركا أو أحد العاملين فى بيته. فالرجل هو الرجل وبسلامتها المرأة هى المرأة.. أو الزوجة. لأن هناك ثلاثة أنواع من النساء: أمك .. وزوجتك.. وكل النساء!

سألت الرئيس الأميركى عندما كان فى القاهرة، عن حكاية خطيرة رواها هو فى مذكراته.. ثم روتها زوجته بصورة مختلفة..

الحكاية: إنه كانت هناك محاولة لاغتيال الرئيس «السادات» فى «كامب دافيد». وسألت الرئيس «حسنى مبارك» عن هذه الحكاية، فقال: لا أساس لها من الصحة. وإنما المصريون كانوا يتناقشون بصوت مرتفع، فظن الأميركان أنهم يتخانقون. ثم لاحظوا أن الرئيس «السادات» نام مبكراً. وطلب منهم ألا يوقظوه!

فظن الرئيس «كارتر» أن هناك شيئا غريباً. وأن هذا الشئ الغريب هو مؤامرة لاغتيال «السادات»! وسألنى الرئيس «كارتر»: ما الذى وجدته غريبا فى ما كتبته زوجتى؟

قلت: إنها روت الحكاية نفسها بشكل مختلف تماما!

فضحك الرئيس «كارتر»، وقال: إننى تزوجت منذ خمسين عاما. ولم أكتشف إلى أن تركت البيت الأبيض، أننى لا أتفق مع زوجتى فى أى شئ.. لدرجة أننى أتساءل: على أى أساس تزوجنا؟وبعد أن تزوجنا كيف أننى لم ألاحظ ذلك؟ والجواب: أننى كنت مشغولا جداً بحياتى ومستقبلى، وتركت لها كل شئ صغيراً كان أو كبيراً تديره وتقرره كما يعجبها. فلما أصبحت بلا عمل اكتشفت أن زوجتى تقرأ فى السرير ساعات قبل أن تنام.. واكتشفت أيضا أنها فى الصباح تنتظر منى أن أصنع لها القهوة.. واكتشفت أن كل أسئلتى عن أى شئ كانت مفاجاة لها.. فهى لم تتعود أن أسألها عن أى شئ.. وإذا قلت لها: الشرق، قالت: الغرب.. وإذا قلت لها غداً، قالت: بل اليوم.. بل هذه اللحظة.. وإذا حاولت أن أناقش قالت لى: مالك؟ . جرى لك أيه؟

ـ كلامك مضبوط ياريس. تماما.

وقصة زواج الرئيس «كارتر» ضابط البحرية، لا تختلف عن زواج أى اثنين من الشبان.. فشئ صغير أعجبك فى المرأة التى تزوجتها وظننت بسذاجة وعبط أن كل شئ فيها كذلك.. إذا وجدت عينيها جميلتين، تخيلت أن كل شئ فيها كذلك، بما فى ذلك عقلها

وقلبها.. وتتزوج وبعد الزواج تكتشف المساحات الشاسعة، التى بينك وبين السيدة حرمك؟!

وأعجب شئ أننا نحن الذين نطلب إلى المرأة أن تضع الأحمر والأبيض والأسود، وأن تسوى شعرها، وأن تشد خصرها وأن تبرز صدرها وترفع قدميها ـ أى أن تتجمل وتكذب وتكذب.. وكل هذه الأكاذيب بفلوس.. وبعد ذلك نتهمها بالكذب والخداع..

مع أننا الذين نطلب إليها كل ذلك ثم ننسى!

ولايوجد أى فرق بين واحدة معها الدكتوراه فى الذرة، وبين واحدة تحمل على دماغها (بلاص مش).. فالمرأة هى المرأة.. والمرأة فى أية سن.. صغيرة أو كبيرة هى .. هى.. الأستاذة.. والتلميذة.. والخادمة. كلهن سواء. وإذا جلسن معا فلديهن موضوع واحد هو: الزوج.. أى التآمر على الرجل .. ولو جلس ألف رجل معا، فلن يكون موضوع المناقشة والخناقة هى الزوجة.

فالرجال يفكرون قليلا فى النساء، والنساء يفكرن دائما فى الرجال.

فالمرأة تخصصت فى الرجل. وليس الرجل كذلك. والمرأة تستطيع أن تدرك كم عدد الشعرات البيضاء فى رأس زوجها.

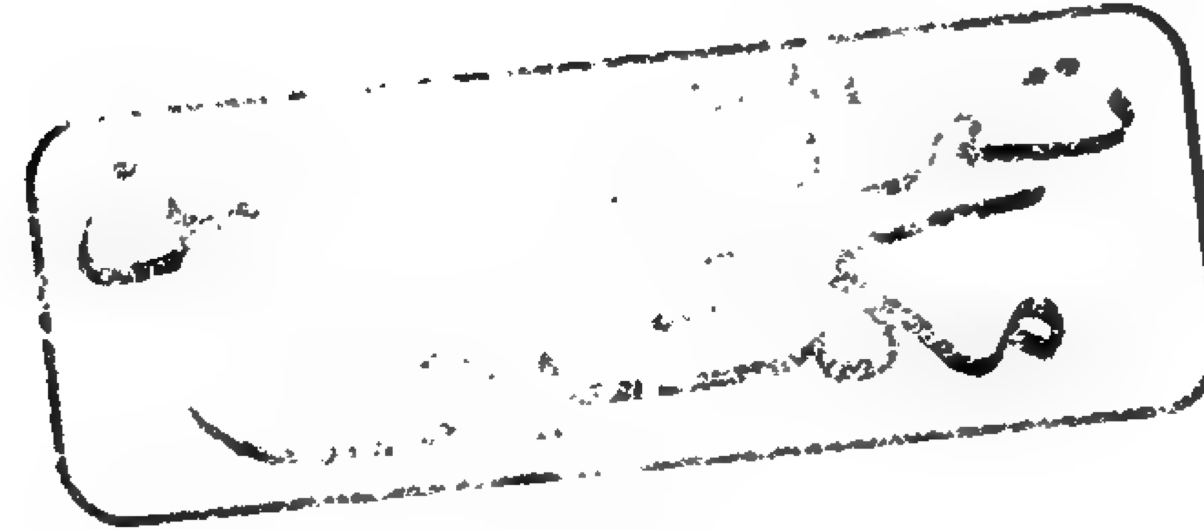
وفى السيرة النبويةالشريفة أن إحدى زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، قالت: إنه مات وفى رأسه ١٧ شعرة بيضاء.. وزوجة أخرى قالت .. بل عشرون !

وكل الرجال لايجرأون على النظر الى الرسول عليه الصلاة . والسلام. ولم يستطع أى واحد أن يعرف إن كان شعره قد ابيض. ولكن المرأة عندها هذه القدرة الفذة!

وحتى لاأظلم المرأة فإنها لاتصدق إلافى حالة واحدة فقط: عندما تسألها عن سن زوجها وحماتها!

ولكى أكون منصفا لها، فإننى أقول: إنها لاتكذب عندما تقول لزوجها: أنا الذى جعلتك تلبس أحسن لبس وتأكل أحسن أكل.. أنا التى أنقذتك من الشوارع والأرصفة!!

فكل الرجال فى كل التاريخ كانوا شحاذين ضائعين، حتى جاءت الزوجة وأجلستهم على عرش حبها وقلبها ومجدها..ـ تصور!



الحياة .. وأكثر بساطة!

ملكة بريطانيا زعلانه من رئيس وزرائها الزعيم العمالى تونى بلير لأنه رجل (بلدى).

فهو إذا تكلم رفع يديه إلى السماء ثم انه لايكف عن الضحك. والضحك من غير سبب قلة أدب.. ثم أنه كلما رأته زوجته شيرى القاضية التى تتقاضى عشرة أمثال مرتبه، فإنه يحتضنها ويشبك أصابعه فى أصابعها.. بل إنه فعل ذلك عندما سار على رجليه من بيته إلى مجلس العموم. وفى مجلس العموم تأبط ذراع زوجته. مع أن مجلس العموم هو المكان الذى تحتفل فيه الدولة بالملكة وليس بزوجة رئيس الوزراء.

ولما انتقل رئيس الوزراء إلى المقر الجديد رأى الناس أطفاله وقد ارتدى كل واحد زيا مختلفا.. ثم رأوا زوجة رئيس الوزراء وهى تنقل فساتينها وأحذيتها الكثيرة من السيارة إلى المسكن الجديد.. ورأوا

زوجة رئيس الوزراء وقد لفت فوطة حول وسطها لأنها كانت فى المطبخ.

وفى مجلس الوزراء طلب تونى بلير من الوزراء أن يقولوا له : ياتونى .. وأن يرفعوا الكلفة ويلغوا الألقاب بين الوزراء.

وفى يـوم إجازته رآه الشعب الـبريطانى وقد ارتدى البنطلون الجينز ـ رئيس وزراء بريطانيا العظمى بالجينز؟! يا دى الفضيحة الإمبراطورية!

وأكثر من ذلك لقد أعلن الوزراء أنهم لن يرتدوا فى الحفلات الرسمية لا الياقات البيضاء ولا الجاكتات التى لها ذيل.. وإنما سوف يحضرون بالملابس العادية، حتى لو كانت الملكة موجودة.. والتاريخ يعيد نفسه فعندما جاء العمال إلى الحكم سنة ١٩٤٥ انزعج الملك جورج السادس. فرئيس الوزراء كل يوم يصدر قرارا. ثم إن وزير الصحة السيد بيفان كان يحضر بالبدلة العادية المنفوضة الجيوب والبنطلون أيضا. ولم يحدث أن ارتدى سموكنج أو ردنجوت رغم أن الملك كان فى غاية الغيظ! ولم تنس ملكة بريطانيا، ولن تنسى حتى تموت أنها عندما زارت استراليا تجرأ رئيس الوزراء ولف يده حول وسطها الكريم ـ وكان يوماً أسود فى الصحف البريطانية المؤيدة للنظام الملكى ـ كيف يجرؤ رئيس الوزراء.. كيف يمد يده.. كيف يلفها.. كيف يلمس جسم السيدة العجوز الجالسة على عرش الامبراطورية التى تغيب وسوف تغيب عنها الشمس؟!

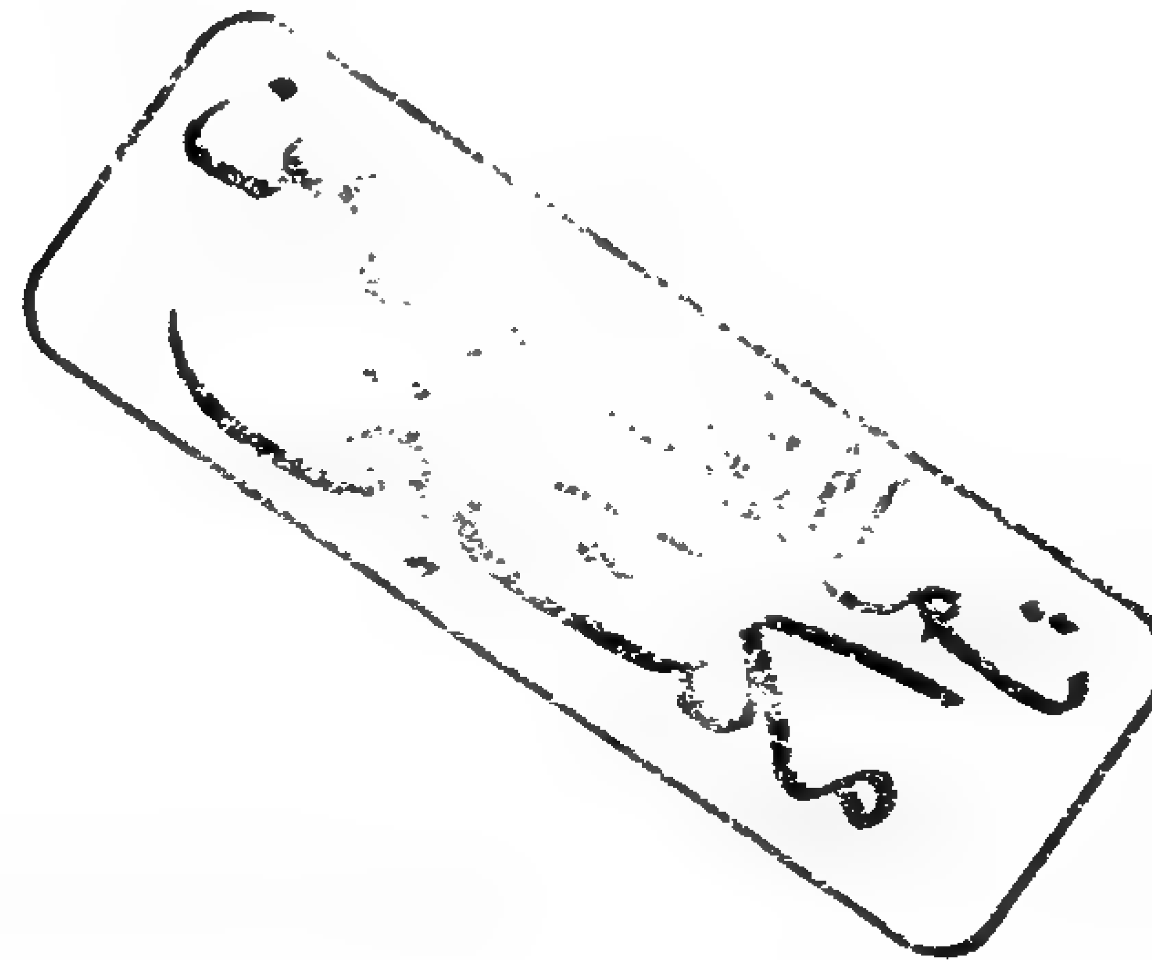
أكثر من ذلك أن الشعب البريطانى لاحظ أن تونى بلير يقلد الرئيس الأميركى كلينتون فكلاهما حول الأربعينات.. وقد استعان مثله بعدد كبير من المستشارين.. أما زوجته شيرى فهى الأخرى كانت محامية ثم صارت قاضية ممتازة تماما مثل هيلارى كلينتون التى كانت من أشهر المحامين وأغلاهم أجرا.. وهى أيضا قد احتفظت باسمها: شيرى بوث ولم تغيره لأنها ماتزال تعمل قاضية.. وكذلك هيلارى كلينتون لم تغير اسمها إلا بعد أن صار زوجها رئيسا للدولة.. واحتفظت باسمها هكذا: هيلارى رود هام كلينتون.. ولكن زوجة الرئيس الأميركى هى السيدة الأولى ولها دور سياسى وإدارى.. ولكن زوجة تونى بلير ليست هى السيدة الأولى. فالسيدة الأولى هى الملكة.. وليس لها أى دور ـ ويجب إلا يكون لها دور سياسى أو إدارى. ولذلك فهم يتهمون تونى بلير بأن أسرته ليست هى الأسرة الأولى. وإنما الأسرة الأولى هى الأسرة المالكة وليست زوجته هى السيدة الأولى ولايصح أن تكون..

ومن المؤكد أن شيرى بلير هى أشيك سيدة دخلت مقر رئاسة الوزارة. وأنها ترتدى ملابس أنيقة وأحذية غالية جدا ـ هى حرة بفلوسها. فهى تتقاضى عشرة أمثال مرتب زوجها رئيس الوزراء. وعندها حوالى مائة جزمة من أشكال وألوان مختلفة. ثم إنها رشيقة القوام ولاتزال فى ريعان شبابها.. تلبس وتقلع وتخرج وتتنزه كما تحب.. والذى تفعله بصورة عادية جدا، تراه الملكة وحاشيتها وأصحاب القواعد البريطانية الجامدة، خروجا عن آداب الحكم. وفى مقر رئيس الوزراء يوجد قط وكلب.. القط جاء من الشارع وبقى

اسمه: همفرى .. ولايستطيع أحد أن يطرده.. ولماحاول رئيس الوزراء السابق أن يأخذ القط منعوه.. لأنه من ممتلكات الدولة.. أما الكلب فهو الذى يقود وزير التربية والتعليم لأنه اعمى.. بقيت مشكلتان: الأولى أن رئيس الوزراء سوف يجعل القضاة يخلعون الباروكة من فوق رؤوسهم وتظهر رؤوسهم ككل خلق الله.. لأن هذه الباروكة لاتخيف أحدا.. ثم أن الباروكة كثيرا ما قفزت إليها البراغيث التى تلسع القاضى فيكون قاسيا فى أحكامه!!

ثم صالون حلاقة فى مجلس العموم.. إنه صالون رجالى.. ولابد أن يتغير أو يضاف إليه صالون حريمى لأن مجلس العموم لأول مرة يضم الآن أكثر من مائة سيدة!

وإذا كانت ملكة بريطانيا فيها نفس وتريد أن ترقع بالصوت فلتفعل ولتنتهز هذه الفرصة وتبكى حظ ولى عهدها وسوء حظه مع الأميرة ديانا، وحظ ابنها الثانى وزوجته فيرجى وبنتها وأختها.. إن رياحا جديدة قوية تهب على بريطانيا وغيرها من الدول فى الغرب والشرق.. لتكون الحياة أقل تعقيدا وأكثر بساطة!



الفائز كويتى؟!

١ ـ فاز كويتى بجائزة أحسن قصة للأطفال.

حضرت الاحتفال فى مدينة بولونيا الإيطالية.

وتلقى جائزته من السيدة «سوزان مبارك»، أما الفائز فهو د.«عبدالرحمن المطوع».. وهو الذى كتب القصة بالانجليزية وهو الذى رسمها أيضا. القصة عنوانها «تنط أو لاتنط».

إيه الحكاية: عاش رجل اسمه (النطاط) وزوجته اسمها (النطاطة) فى بلاد (النطاطين).. فكل الذين يولدون على شكل كرة تتدحرج وتنط..

أما هذان الزوجان فقد ولد لهما طفل نصف كروى.. فهو لاينط ولايتدحرج. وعيَّره الأطفال الآخرون بعجزه وعزلوه عنهم.. وانعزل لأنه أقل منهم وأضعف..

وحاول أن يجعل من نفسه شيئا مفيدا.. فجعل نفسه «قصرية» ورد فكانوا يملأونه بالتراب والماء.. حاول أن يكون «برنيطة» فكانوا يضعونه على الرأس ثم يلقون به فى الأرض.. ويوم نزلت الأمطار وغرقت الدنيا كانوا كلهم عاجزين عن النط والدحرجة.. أما هو قد تحول إلى قارب.. وراح هذا القارب يقترب من الكائنات الكروية الأخرى العاجزة عن النط والدحرجة.. واستطاع أن ينقذهم وأن يساعدهم جميعا.. فشكروه وقربوه منهم.. فكان التسامح بين الكائنات..

وذهب الابن نصف الكروى إلى والديه وقال لهما: لقد صدقتما.. فليست السعادة فقط فى أن يكون الإنسان كرويا ينط ويتدحرج، إن السعادة أن يكون الإنسان نفسه!

أما موضوع المسابقة فى هذا المعرض فهو: التسامح، التسامح بين الناس المختلفين.. كأن يكون الإنسان أسود بين البيض.. أو قصيرا بين الطوال.. فقيرا بين الأغنياء.. مريضا بين الأصحاء.. يجب ألا نعاقبه على ذلك فما ذنبه.. وإنما يجب أن ننظر ونرعى ونرحم.. وهذا بالضبط ما ينقص الناس فى كل مكان وزمان.. وفازت بالجائزة كاتبة لها قصة عنوانها (واحد شكل تانى).. اسمه كده.. وهذا (الشكل تانى) مختلف عن الآخرين..

وفازت كاتبة من إسرائيل. وحتى لاتجئ هذه الفائزة وتتسلم جائزتها من السيدة «سوزان مبارك» قررت إدارة المعرض أن يجئ الناشر ويتسلم عنها هذه الجائزة.، ولم يفته أن يقول كام كلمة فى

العضم!! للمهرجان وللجنة التحكيم ولجنة الاحتفال أيضا. فقد قال: طبيعى أن تفوز بهذه الجائزة أيضا واحدة من إسرائيل حيث لايوجد تسامح!

يقصد لايوجد تسامح بين اليهود والعرب.

ولكن الذى لم يقله إنه لايوجد تسامح بين اليهود واليهود.. فهناك اليهود الروس ويهود الفلاشا الأحباش. ويهود مصر الذين يسمون (القراءين) والذين لايدفنون فى مقابر اليهود لأن الحاخامات يعتبرونهم كفرة.. وهناك اليهود الشرقيون واليهود الغربيون.. والذى أمه يهودية وأبوه مسيحى أو مسلم.. والذى ولد من أب يهودى وأم يهودية دون عقد زواج.. كل هؤلاء لهم مشاكل فى المعاملة.. ولايوجد أى نوع من التسامح بين اليهود واليهود.. ولولا الحروب التى تذيب هذه الفوارق بين اليهود لتركوا العرب وقتلوا أنفسهم..

ولذلك ـ أقول ألف مرة ـ لو تم الصلح بين العرب واليهود لتحولت إسرائيل إلى جهنم يقتل اليهود فيها اليهود.. وأقول: لو .. لأن هذا لن يحدث. ولذلك سوف يبقى اليهود يحملون السلاح ضد العرب لاضد أنفسهم!



تنط أو لاتنط: قضية كويتية !

٢ ـ اسمها موسيقى. ولكن ليست فيها موسيقى من أى نوع. إنها مدينة ايطالية صغيرة. ولكن اكتسبت شهرتها من المعكرونة البولنيز.. ومن المعارض الدولية التى تقام فيها كل أسبوعين.. آخر هذه المعارض هو معرض رسومات الأطفال.. كتب الأطفال أو أطفال العالم.. إنه عالم مسحور بديع.. فيه من البساطه والفطرية والرقة والجرأة ما يجعلك تمشى على رأسك.. كيف أن رجالا ونساء لديهم هذه القدرة الفريدة على الإبداع.. إبداع خطوط ومساحات لونية وأشكال لاتراها فى حياتك العادية.. ما المعنى؟

هذا سؤال ليس له معنى. فأنت لاتسأل طفلا صغيرا يحاول أن يعبر فيطلق أصواتاً.. إنه لايقول كلاما واضحا. ولكن تعبيرا جميلا. حاول أن تداعب طفلا صغيرا لم يتعلم إلا القليل جدا من حروف الكلام.. سوف تشعر فجأة أنه ليس فى حاجة إلى أن يقول: فابتسامته ونور عينيه وحركة يديه وشفتيه ودهشته وبراءته كلها فى

غاية الجمال مع أنه لم ينطق بكلمة واحدة.. وكذلك رسومات الأطفال أو الرسومات لقصص وكتب الأطفال ومن كل الدنيا..

من الممكن أن تجد لوحة بيضاء تماما وفيها كلمة واحدة.. أو نقطة. ما المعنى؟

سؤال ليس له معنى.. وإلا ما معنى أن ينظر إليك طفل بوجهه الجميل وعينيه اللامعتين وشفتيه الجميلتين وحركة ذراعه وساقه ثم يطلق صوتا.. ما المعنى؟ هل هذا قبيح؟!

أبداً فى غاية الجمال!

وفى المعرض أعمال فنية فى كل من أسيا وأفريقيا وأوروبا وأميركا وأميركا اللاتينية.. عالم.. دنيا.. موجات.. عواصف لونية تهب علينا من كل مكان..

وقد تفننت الدول كلها فى عرض أجمل مالديها.. وأروع ما عندها من كتب ودوائر معارف وأفلام فيديو من كل وسائل التعبير لتعليم الطفل وامتاعه واسعاده..

واختارت هيئة المعارض واليونسكو السيدة «سوزان مبارك» لتكون ضيف الشرف باعتبارها راعية للكتاب وللطفل أيضا. وقامت السيدة«سوزان مبارك» بتوزيع جوائز الفائزين. وكان فى مقدمتهم طبيب كويتى شاب. ألف قصة بالانجليزية ورسمها. القصة عنوانها: (تنط أو لاتنط).. وموضوعها أن أطفالا يولدون على شكل كرة.. يتدحرجون وينطون.. إلا طفلا واحدا ولد نصف كروى.. فلا هو يتدحرج ولا هو ينط.. مختلف.. أقل من الآخرين!

موضوع المسابقة هو : (التسامح) بين القادرين على الدحرجة والنط، والعاجزين عن ذلك.. والتسامح مع الذين هم أقل وأعجز.. القصة بديعة رقيقة ناعمة.. وجاء الطبيب الكويتى من أميركا ومعه زوجته الشابة تلتقط له صورا.. أما سعادتنا جميعا فكانت فى السماء.. أن يفوز عربى وأن يكون هكذا قادرا على الكتابة والرسم.. وأن يكون ذلك فى غاية البساطة والجمال وأن يكون عالميا ـ هذا مكسب هائل للمثقف العربى.. وللطفل العربى والعالمى أيضا.

وقد استعد الطبيب الكويتى «نايف عبدالرحمن المطوع» لهذه المناسبة العالمية فأحضر معه عددا من الكتب والصور..

ما الذى أراد أن يقوله المؤلف الكويتى فى قصته: «تنط أو لا تنط» ـ هذه هى القضية..

ففى قصته نجد أن المولود الذى لايتدحرج ولاينط قد انعزل عن الآخرين.. وصار أضحوكة لهم.. وحاول أن يكون شيئا ما.. أن يكون قصرية ورد.. فملأوه بالتراب والماء.. حاول أن يكون برنيطة فلبسوه وألقوه على الأرض.. فلما أمطرت الدنيا تحول إلى زورق عائم.. بينما الآخرون عاجزون عن الدحرجة والنط وكاد الماء أن يغرقهم.. ولكنه هو ذهب إليهم وساعدهم على النجاة..

وكان أبواه قد قالا له: من الممكن أن يكون الإنسان سعيدا دون أن يكون قادرا على الدحرجة والنط!

فعلا. فالسعادة ممكنة.

والسعادة هى أن يكون الإنسان نفسه.. أن يكون على طبيعته!

هذه هى القضية.!

يا مرحبا يامرحبا!

رجل لطيف الشيخ «ابراهيم دعيج الصباح» محافظ الجهراء.. رأيته لأول مرة ملامحه دقيقة. كأنى عرفته قبل ذلك من عشرات السنين. فهو عنده هذه القدرة على أن يكون ودودا صديقا.. وبسرعة. ويسعدنى ذلك .. ودارت المناقشة فى كل شئ.. فى السياسة.. والدين والسيرة.. والديوانية.. ولم أكن أعرف أهمية الديوانية، لولا الذى رأيته على شاشة التليفزيون الكويتى، من حماس لها وضدها.. حماس الرجال وحماس الزوجات.. واحد يقول: ضرورية.. وواحدة تقول: إنها تحطم الأسرة.. وتحرم الزوجة والأولاد من رب الأسرة.. وواحدة تقول : بل الأبناء الصغار يجب أن يشتركوا فيها، ليعرفوا الدنيا.. وقد زادت الديوانيات فى الكويت .. وأصبح من الضرورى على أعضاء البرلمان أن يترددوا عليها، وأن يكسبوها إلى جانبهم فى الانتخابات.. وأنها جزء عضوى فى نسيج الحياة الاجتماعية فى الكويت ـ ولم أكن أعرف إلا بعض ذلك..

وتناقشنا فى «المسجد الاقصى».. كيف اسرى بالرسول عليه الصلاة والسلام من «المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» ـ ولم يكن هذا المسجد، قد بنى إلا سنة ٩١ هجرية، بضرائب الشعب المصرى لثلاث سنوات مقدما. جمعها الحاكم «قرة بن شريك»! وبعث بها إلى الخليفة «الوليد بن عبدالملك». وكان الجواب أن المسجد الأقصى كالمسجد الحرام: مكان لسجود وصلوات من كانوا قبلنا من اليهود.. وكثير من المعابد اليهودية تحولت إلى كنائس، وكثير من الكنائس تحولت إلى مساجد والعكس أيضا. وهذا واضح فى اسطنبول ، وفى مدينة قرطبة الأندلسية.. وأمير الشعراء شوقى يقول:

كنيسة صارت إلى مسجد

هدية السيد للسيد

أما الذى أسعدنى وسمعته، من الشيخ «إبراهيم دعيج الصباح»، فهو أنه جاء إلى مصر، ليحضر مهرجان «التآخى» بين محافظة الجهراء ومحافظة الدقهلية ـ بلدى وبلد كل شعراء مصر، وأم كلثوم، ورياض السنباطى، ومحمد الحلو، وإيهاب توفيق، وعلى مبارك، ولطفى السيد، وهيكل باشا، والشعراء: «على محمود طه، وإبراهيم ناجى، والهمشرى، وكامل الشناوى، وصالح جودت، والزيات، وسعيد عبده، والغمراوى، وخفاجى، وشرف، وأم الأستاذ العقاد، والممثلين: «فاتن حمامه، وعادل إمام، ومحمد صبحى، والهنيدى وسهير البابلى، ويونس شلبى ، وحسين الشربينى، وسعيد عبدالغنى، والشويحى، والمثال محمود مختار»..

وفى المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية، عاشت «شجرة الدر» التى حكمت مصر ثمانين يوما.. وفى المنصورة اعتقلنا الملك لويس التاسع، وحبسناه فى بيت القاضى ابن لقمان، أيام الحروب الصليبية.. والدقهلية هى المحافظة الثانية فى عدد السكان، بعد القاهرة وإن كانت فيها أكبر نسبه للمتعلمين فى مصر، وأكبر مستشفى للكلى فى أفريقيا وأشهرها عالميا أيضا! وكانت عندنا أكبر جاليات أوروبية.. فقط كنت أتكلم: الألمانية، والإيطالية، والفرنسية، واليونانية، والعبرية، وأنا ما أزال طالبا فى الثانوية.. فقد كانت هذه الجاليات الأجنبية، تعلمنا هذه اللغات، وتعطينا مكافأة مالية على ذلك..

وعندما حصلت على التوجيهية، كان ترتيبى الأول على مصر. ولاتزال صورتى معلقة على حائط المدرسة حتى الآن.. فقد جاء ترتيبى الأول فى التوجيهية، الأول أيضا فى مسابقة الفلسفة وفى تلك السنة خرج من فصل واحد، كل أوائل مصر: فى الفلسفة، والجغرافيا، واللغة العربية، والتاريخ، والرياضيات، وعلم الحياة. من فصل واحد.. فتعلقت صورنا، ولاتزال على جدران المدرسة..

ومن مزايا أهل هذا الإقليم، أنهم يتبرعون لبناء المدارس، وليس لبناء المساجد.. ويرون أن الأرض كلها مسجد .. ولكن يجب أن نوجه أموالنا إلى التعليم الفنى، وليس التعليم النظرى..

ومحافظة الدقهلية هى المحافظة الوحيدة فى مصر، التى يبلغ تبرعات مواطنيها مئات الملايين سنويا، لبناء المدارس ورصف الطرق..

مرحبا بالكويت فى بلدنا.. وإن كان يؤسفنى بسبب جلسات «مجلس الشورى» ألا أتمكن من الوقوف عند مدخلها، مرحبا بالشيخ «إبراهيم دعيج الصباح» ورفاقه من السلك الديبلوماسى الكويتى..

وهذه هى المرة الثانية، التى أجدنى ضائعا على موائد الكرام.. فأنا لا آكل اللحم ، ولم أذقه طول عمرى.. ولم أجد لى طعاما على مائدة الشيخ «إبراهيم دعيج الصباح » فكان لابد أن أبحث عن أية أعشاب مسلوقة..

وقبل ذلك من أربعين عاما، جلست إلى جوار الشيخ «جابر الصباح»، وقد ملأ الأطباق أمامى باللحوم ـ شكرا له.. ولاحظ فجأة أننى لا آكل اللحم .. فسألنى ؟

قلت: يا طويل العمر.. أنا نباتى..

قال: إذا أمامك الأرز..

ـ ولكن الأرز فيه رائحة اللحم.

ـ ولا صلصة..

ـ ولاصلصة.. ففيها رائحة اللحم..

فضحك، وقال لى: والماء؟

قلت : ولا هذا ففيه رائحة اللحم..

ـ إذا؟ !

ـ ولاحاجة.. دعنى أمت من الجوع!

أسماء غريبة..

فى مصر عائلات تحمل اسم معظم الحيوانات والطيور: الأسد والقط والفأر، والنمر ، والجمل، والسبع، والفيل، والديك، والعصفور، والحمامة، واليمامة، والغراب، والحوت، والقرموط، والحمار. نعم عندنا عائلة الحمار. والإنسان يندهش لماذا اختاروا مثل هذه الأسماء.

وهناك عائلات: أبو رأس، وأبو كف، وأبو القمصان، وأبو ليلى، وأبو مريم، وأبو بثينة، وأبو ستيت، وأبو شنب .

وهناك أسماء مثل: خيشة، وبومبة، والأعور، والأعرج، والأخنف، والحيوان، وسمكة، والقرش.

وأسماء للنساء مثل: ست أبوها ، وست إخوتها، وست آلاف، وكايداهم.

ومنذ أيام وجدت واحدة موظفة فى التليفزيون اسمها: رحمة الله وبركاته، وواحدة اسمها: ماكانش العشم.

ووجدت زميلاً صحفياً اسمه تروتر.. وعرفت أن تروتر هذا هو اسم الطبيب الذى تولى ولادته.

أما الأسماء الشاذة مثل: مقشة وخيشة وهباب.. فهى أسماء تنتشر فى الريف. أما السبب فهو أن والدة سيادته تخشى عليه من الحسد. ومفعول الحسد يذهب بمجرد أن يعرف الحاسد اسم الطفل أو الشاب الحليوة الذى أمامه. يسأل: اسمه بسلامته إيه؟

فيقال له: هباب الطين.

فيرد: أعوذ بالله وهل هذا اسم؟!!

إن هذه الدهشة والاستنكار تؤدى إلى إبطال مفعول الحسد، وبذلك يعيش هباب الطين فى صحة وعافية. فأم هباب الطين هذا لم تكن تلعب.. وإنما هى سيدة فكرت وقررت. وكان قرارها حكيماً!

كانت عندنا خادمة اسمها مبيوكة وأمها تقصد مبروكة، ولكن ادعت أن الموظف هو الذى أخطأ فى كتابة اسم ابنتها. والحقيقة. منع الحسد لمجرد أن يتساءل الناس عن حقيقة الاسم. فالأم تريد أن تضلل عين الحسود والحسود نفسه فلايصيب جمالها وحلاوتها بسوء!

والمهاجرون الأوروبيون عندما ذهبوا إلى أمريكا كانت أسماؤهم غريبة على الأذن والعين الأمريكية فيكتبها الموظفون كما سمعوها . وكان الشكل مختلفاً تماماً عن الأصل الألمانى أو البولندى أو الروسى أو الأسبانى!

وفى استراليا عرفت أسرة لبنانية اسمها أسرة اسكيف.. ولما ذهبوا إلى أستراليا سألوهم عن الاسم فقالوا: اسكيف.. ولأن كلمة اسكارف ـ أى إيشارب ـ ينطقونها فى أستراليا: اسكيف وعندما كنت عائداً من الخرطوم ومعى خادم من أريتريا وجدتنى فى مشكلة كبيرة لا أعرف لها حلا. فالخادم اللطيف الظريف المثقف المقاتل اسمه (عبدالرحمن قابض على سيفه حتى تتحرر بلاده).. وهذا هو اسمه هو وحده أما اسم العائلة فسطر آخر.. فإذا وقع عبدالرحمن على ورقة فإنه يكتب هذين السطرين.. وبلغته هو التى اسمها (تجرى)، ولم أفلح فى إقناعه بأن يكتفى باسم عبدالرحمن سيف.. أو عبدالرحمن قابض، وبعد أن عاد عبدالرحمن ليحارب فى صفوف شعبه فى حرب التحرير من الاحتلال الأثيوبى تلقيت مقالاً ظريفاً بعنوان: شكراً، وعرفت فيما بعد أن المقال ليس إلا اسمه واسم والده واسم العائلة المقاتلة!

هى صانعة الحياة..

المرأة هى الأم . ومن أجل أن تكون أما، فإنها تختار أقوى الرجال.. ومن أجل أن تبقى الأبوة طويلة، يجب أن تدفع الرجل إلى حبها.. فى الارتباط بها والحرص عليها والدفاع عنها والتضحية من أجلها.

ولأن المرأة شديدة القلق، لاتعرف الأمان.. لأنها ضعيفة.. ولأن فترات مرضها طويلة، فلابد أن يكون فى حمايتها وصغارها، من هو قوى قادر على العطاء، وعلى أن يجدد عطاءه من أجلها وصغارها أيضا.. وكان لابد أيضا من أن تتأكد لها هذه العلاقة الضرورية.. فكانت قوانين الزواج التى تضعها الدولة والمجتمع والدين.

هل الأمومة قد عوقت المرأة؟

نعم. ولكن الأمومة هى مالانهاية له من العطاء والحماية والحضانة والتربية من أجل استمرار الحياة.. حياة المرأة وحياة الرجل والمجتمع وبناء الحضارة.

فالمرأة تنفرد بالأمومة.. أعظم وأروع شكل من أشكال الإبداع.. إنها الموهبة الفريدة التى تقدر عليها المرأة ولايستطيعها الرجل، إنه أروع وأعظم فارق بين الاثنين.

ولكن التساؤل من حين إلى حين عن : أيهما أعظم.. أيهما أقدر.. أيهما أكثر عطاء.. أيهما أعمق تضحية: المرأة أو الرجل، هذا السؤال معناه أن المرأة لاتزال تحب أن تلعب دور «التضحية» وأن الرجل هو المعتدى.. هو القاتل.

ولكن يجب ألا تنخدع بهذا الدور.. فالمرأة لاتكره أن تلعب هذا الدور.. وإنما هى تحب أن تبدو الضحية.. الضعيفة.. المغلوبة على أمرها.. المثيرة للشفقة. فإن حدث فإن المرأة تحب أن تنظر من وراء الدموع.. فالدموع لاتدل على أنها بالغة الألم شديدة الحزن.. وإنما الدموع هى نشاط زائد فى غددها الدمعية.. غسيل لعينيها لترى أوضح وتنفذ أعمق.. فالمرأة تكون فى تمام قدرتها على الملاحظة وهى تبكى.

ولكن الرجل إذا بكى انسدت الدنيا أمامه.. قامت الدموع بدور الطوفان يقطع المواصلات ويهدم البيوت ويعطل الحياة كلها.. ولا كذلك دموع المرأة.

والمرأة تحب أن تكون الضحية لمن يفترسها من الرجال الذين تحبهم.. ففى شعورها بالضعف أعظم متعة لها.. وفى شعور الرجل بأنه القوى الجبار الوحش الكاسر.. أو الذى يقوم بهذا الدور ما يضاعف سعادتها أيضا.

فهذا الظهور بالضعف أو التظاهر، يقوى قدرتها التفاوضية.. والرجال يضيقون بدموع المرأة.. لأنهم لايعرفون أن الدموع لاتعنى شيئاً خطيراً، بل إن الدموع تؤكد لنا خطأ تربويا هاما.. فنحن عندما كنا صغاراً قيل لنا: الدموع للمرأة.. والرجل لايبكى !

وهو خطأ تربوى فالمرأة لأنها تبكى فإنها تفرج عن نفسها، تخفف من توترها فالدموع صحة. والرجل لأنه لايصح أن يبكى، فإنه يضغط على نفسه ويكبت ويكتم.. وهذا الضغط يؤدى إلى احتباس رغباته وغضبه وإضطرابه وقلقه.. ولذلك إذا بكت المرأة استراحت، وإذا بكى الرجل مات، وكثيرا ما رأينا الأم التى تقول: إنه لاحياة لها بعد موت عزيز عليها.. تبكى وتصرخ وتلطم وتمزق ملابسها وتضع الطين على رأسها وتتمرغ فى الأرض.. ثم لاشئ بعد ذلك. فكل هذا الذى فعلته، هو تنويع لأشكال التخفيف من الألم والتوتر النفسى والعضلى.. بينما الرجل يبكى جالسا، ثم يسقط ميتا!

فالحزن يقتل الرجل، ولكنه لايقتل المرأة.. والعش والبيت من صنع الرجل للمرأة وأولادها.

والرجل هو الذى أقام الأسوار واخترع الأبواب والنوافذ والمفاتيح والأقفال والأسلاك الشائكة والأسلحة. ثم من أجل بقاء البيت والأم والأولاد، كان الاتفاق على عدم الاعتداء والتعايش السلمى والسلام.

ليس الزواج ..

لم نعد نعرف الآن إن كان الشخص الواقع على الأرض فناناً استعراضيا ممتازاً، أو هو سكران على الآخر!

* الفرق بين الفن الاستعراضى والملاكمة أن فى الفن الاستعراضى حركات ولمسات مرفوضة فى الملاكمة!

* أنت لاتندم إلا إذا أنت هزمت نفسك أولا!

* من أهم مبادئ الديمقراطية أن الشخص الغلطان له حق!

* طبيب الأسنان هو الشخص الوحيد المسموح له، بأن ينظر لك من فوق لتحت!

* الرجيم: يجعل الأيام طويلة والوجبات قصيرة!

* الأعشاب كالهموم تتكاثر بسبب الاهمال!

* الشخص الذى انقذته من متاعبه، لن ينساك عندما يقع فى متاعب جديدة!

* أكثر المصائب تقع من العامل الذى لايفكر، ومن المفكر الذى لايعمل!

* الديبلوماسية السرية من النادر أن تكون ديبلوماسية، وأن تكون سرية أيضا!

* إذا كنت تشكو من ارتفاع تكاليف العلاج، فهذا هو أكثر الأمراض انتشارا فى العالم!

* أحد أسباب الاقلاع عن الزواج: الخوف من تكاليف الطلاق!

* الطلاق هو الشئ الوحيد الذى سيتفق عليه اثنان لم يتفقا على أى شئ آخر!

* انهما كلمتان أمام المأذون فيكون الزواج، وكلمتان لاندرى بهما اثناء النوم فيكون الطلاق!

* الاميركان هم أكثر شعوب الدنيا استعداداً لدفع أى شئ من أجل الحرية ـ انظر إلى ارقام الطلاق كل يوم!

* سهل جداً أن تتزوج، صعب جداً أن تستمر على ذلك!

* إذا شبع الايمان، مات الخوف جوعا!

* مهم جداً أن تعرف دينك، مهم أكثر أن تطيعه!

* الرجل الاقتصادى هو الذى يقدم افكارا لكيفية استخدام فلوس الآخرين!

* بعض التعليم قد يكون ضارا، ولكنه أقل ضررا من الجهل التام!

* أسرع طريقة ليكون لك اعداء، هو ألاتكف عن الشكوى لأصدقائك!

* لماذا لاتستمتع بالاشياء الصغيرة، انها كثيرة جداً!

* يصبح الخطأ خطيئة، إذا لم تقم بتصحيحه!

* لاتبالغ فى أخطائك، اترك ذلك لأصدقائك!

* الفاشلون هم أبرع الناس فى خلق الاعذار!

* التاريخ هو فن التوفيق بين الحقيقة والخرافة!

* التعصب هو أسهل طريقة لكى ترفض معرفة الحقيقة!

* قطار الفشل يجرى على قضبان الكسل!

* الخوف من الفشل هو أبو الفشل!

* لايصافح الناس من يصر على أن تكون قبضته من حديد!

* شجاع من يصارح الناس ـ ولكن لاصديق له!

* يظل الأصدقاء معا، حتى تفرق بينهم الديون!

* غلطة أن تنصت إلى صديقات زوجتك، غلطة أكبر ألا تفعل ذلك!

* لو عرف الرجال ماذا تقول النساء إذا جلسن معا، لما تزوج إنسان!

* لاتصدق انك هكذا محترم فى عينى زوجتك جرب ألا تعطيها ما تريد!

* المرأة لاتبكى عادة، وإنما عندها نشاط زايد فى الغدة الدمعية!

* الرجل إذا بكى ضعف نظره، المرأة إذا بكت ازدادت قوة وحدة!

* المرأة لاتكذب بحكم العادة، إنها تكذب بحكم الطبع!

* امرأة لاتكذب، لم تصبح بعد امرأة!

* الزواج هو الفترة الزمنية التى يكتشف فيها الرجل أنه تزوج امرأة لايعرفها، وما كان ينبغى له ذلك!

* الإنسان هو الحيوان الذى ينام مع عدوه فى فراش واحد!

* حكمة: لكى تتحمل عذاب النار بعد عمر طويل ، كان لابد أن تقترب منها بالزواج!

* الحديث الشريف يقول: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.. وإذا تزوجوا أيضا!

* لاالنجوم مجموعة لانها ترتعش ولا المرأة كاذبة لانها لاتصدق أبدا ـ إنها طبيعة الاشياء والنساء!

* إن أمى أعظم امرأة فى العالم ـ ولكن ليس هذا رأى أبى ولا أمها!

* كيف أرى أمى ملاكا هبط من السماء، ويراها أبى عفريتا خرج من تحت الأرض؟!

* ابنك هو إنسان خرج من ظهرك ليكسر هذا الظهر بالجحود!

* أقسى وأقصى أنواع العذاب: أن تتعذب بالزواج وبعد ذلك بالاولاد!

* لاتصدق أصدقاؤك دائما ولاتكذب أعداءك دائما ـ سوف تحتاج إلى عمر طويل لتعرف هذه الحقيقة المؤلمة!

قالوا!

في أيام الخطوبة تراها أجمل واحدة في الدنيا.. في أيام الزواج: تراها كأية واحدة في الدنيا.. وبعد سنوات من الزواج تراها انها اسوأ واحدة في الدنيا!

* أصدق ما في الصحف: اخبار الموت ـ حتى هذه فيها كذب وفشر كثير!

* لكي تشعر بالتواضع قليلا: اقرأ الاعلانات عن الوظائف الشاغرة والتي لاتستطيع أن تشغلها!

* كثيرون منا ينسون أن يضعوا قواعد متينة للقصور التي يقيمونها على الرمال!

* سوف يكون عالمنا أفضل لو زادت أحلام قادتنا ـ أحلامهم لا كوابيسهم!

* من أحلام الغد، وقرف الأمس، تولد أوهام اليوم!

---

* النجاح: أن تكون قدماك على الأرض، ورأسك فوق السحاب!

* غلط أن تعرض على فتاة الزواج وهى تقود سيارتها ـ بل غلط فى أى وقت!

* لايمكن أن يحتل التليفزيون مكان الصحيفة، لأنه لايستطيع أن يطرد الذباب!

* الفرق بين الصحف والتليفزيون: ان الصحف تنشر الجريمة، والتليفزيون يخرجها!

* لاشئ يدل على غضبك إلا تصورك أنك كسبت حماتك إلى صفك ضد ابنتها؟!

* لاتستعجل فى الحكم: فلن تكون هذه آخر خناقة بينك وبين زوجتك على أى شئ!

* اسوأ الازواج اثنان: من يعرف القانون ومن يجهله!

* هات ورقة وقلما واحسبها: كم دقيقة تحسب فيها زوجتك ان يطيل الله عمرك، وكم سنة تحسب فيها أن الله يأخذك ويأتى بمن هو أحسن منك!

* لا الأعزب ولا المتزوج: قادران على فهم المرأة!

* أن يكون عندك أصدقاء لأنك غنى ليست معجزة.. ولكن أن يكون لك أصدقاء ولست غنيا فهذه هى المعجزة!

* الأمل يجعلك ترى مالا يراه الناس، وتسمع مالا يسمعون وتحقق مالا يستطيعون!

* لا أحد يصعد الجبل بمجرد النظر اليه!

* لن تكتسب احترام الناس، الا باحترامك لهم!

* الزمن يجعل الأثاث غاليا، والإنسان رخيصا!

* لايتفق اثنان فى سيارة واحدة على النوافذ التى يجب فتحها أو إغلاقها، ولأية درجة!

* عرفت كيف أخدع الدبلوماسيين: أن أقول الحقيقة فلايصدقونى!

* الذى يحاول أن يصلح بين اثنين كالذى يطعم تمساحا ويتوقع فى النهاية أن يأكله التمساح!

* الدبلوماسية بلا مدافع، كالموسيقى بلا أدوات!

* أكاذيب كتبناها بالقلم، لاتمحو حقائق كتبناها بالألم!

* القاهرة هى المدينة الوحيدة التى ينطلق فيها الصوت أسرع من الضوء والأكاذيب أسرع من الحقائق!

* رجل أراد أن يؤكد لزوجته أنه هو سيد البيت، فاشترى لها مرآة!

* سكوت المرأة هو أخطر أسلحتها ضد الرجل!

* الحياة تبدأ فى الأربعين وكذلك الروماتيزم!

* الرجل الذى استخدم يديه وفشل، فسوف يستخدم عقله لكى ينجح!

* من يبحث عن إنسان بلاعيوب، سوف يفعل ذلك طول عمره!

* من الحكمة أن يكون لك أصدقاء فى الجنة وفى النار أيضا!

* ليس أصعب من ضبط النفس فى زمن النجاح!

* فى الطريق أشواك كثيرة، نحن لانشعر بها عادة إلا عند السقوط!

---

* أن تبكى المرأة ليس دليلا على حزنها العميق، ولكن على نشاط غدتها الدمعية!

* كان قيس مجنونا، لأنه رأى فى ليلى مالايراه الناس، فنظم مالا يصدقه الناس.. وما لا تستحقه ليلى!

* كل شمشون له دليلة، وكل دليلة لها دليلة تنتقم لشمشون!

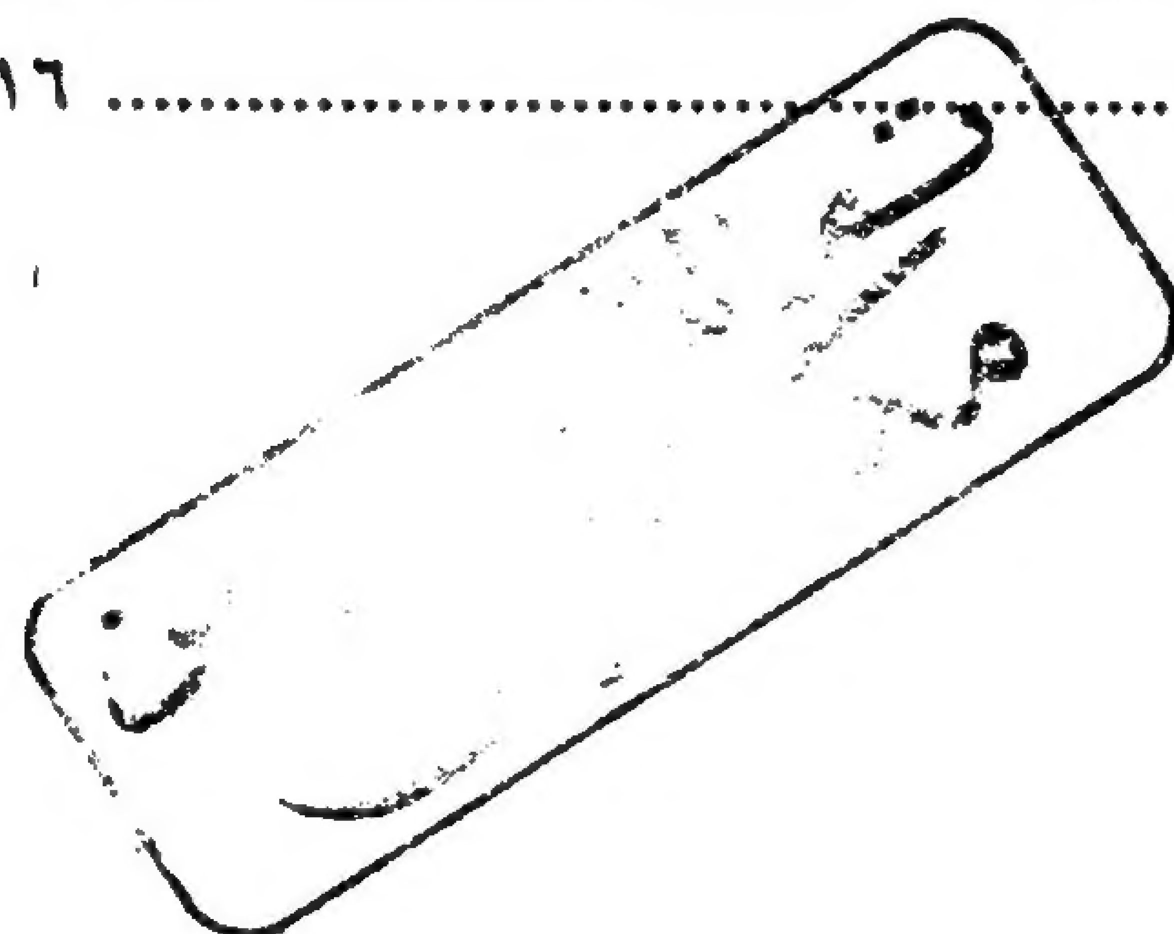
* فى ضوء الشموع نظم الشعراء روائعهم، ولكن الشموع نفسها لاتقرأ ولاتكتب ـ وكذلك معظم النساء!

* ما الذى رآه قيس فى ليلى ورميو فى جوليت والشاعر دانتى فى بيارتشه والشاعر بتراركه فى لورا والقديس أبيلار فى هلويزه: لم يروا الا مجسماً من صنع كل واحد منهم فأحبها.. أحب نفسه!

* لست غلطاناً إذا أحببت أكثر من امرأة .. غلطاناً أكثر إذا أحببت واحدة فقط.. مجنون إذا أحببت واحدة كثيرا وطويلا!



الفهرس



٩٨/١٠٥٨٠

رقم الايداع ---------------------------- I.S.B.N.
977 - 10 - 5867 - 4